BOBST LIBRARY
3 1142 01725 5533

DATE DUE

BOBST LIBRARY
3 1142 01725 5533

NEW YORK UNIVERSITY
Elmer Holmes Bobst
Library

Donated by
the Massoud Family
of Egypt and the United States
in honor of
YEHIA MASSOUD
and
MUHAMMAD MASSOUD
from whose library this book comes

هديه منى
الى
حضرات الافاضل
اصحاب جورنال (المنبر) الاغر
المؤلف
محمد
مصر فى ١٢ ابريل ١٩٠٧

٥٦٨

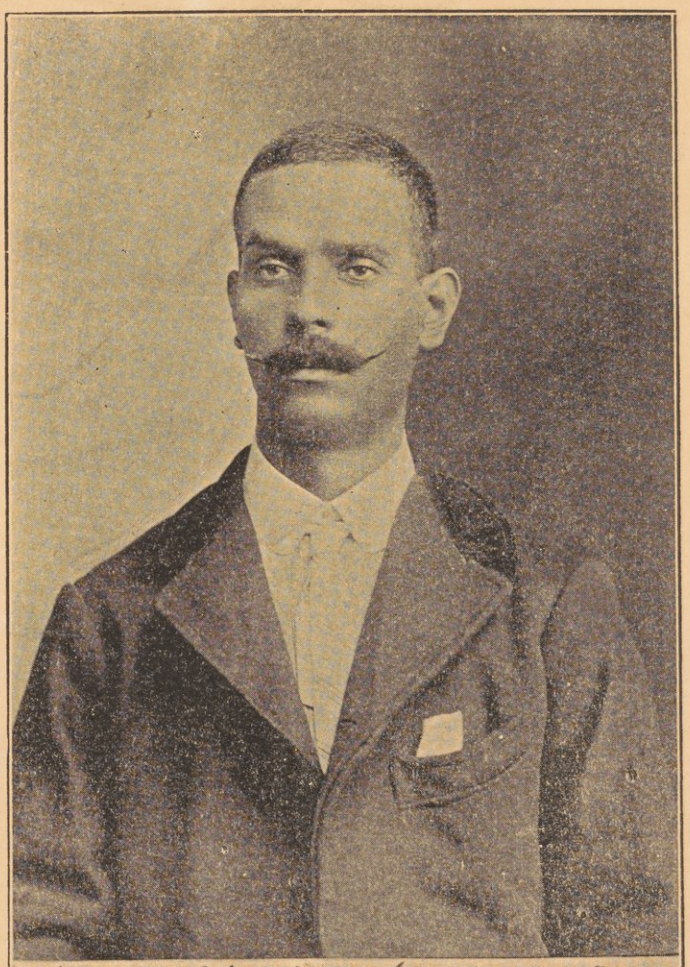

القرآن العظيم هو الكنز الثمين في العالم

احمد بدوي النقاشه ولد سنه ١٨٧٢م

Naqqāsh, Aḥmad
Kitāb falsafat al-Islām wa-madaniyat al-Qurʾān

كتاب

فلسفة الاسلام ، ومدنية القرآن

تأليف

﴿ احمد بدوى النقاش ﴾
(حكيم وفيلسوف ربانى)
(أحد ضباط الجيش المصرى بالسكة الحديد السودانية)

الجزء الاول

« حقوق الطبع محفوظة للمؤلف »

﴿ طبع بمطبعة المؤيد بمصر سنة ١٣٢٤ ﴾

٥٦٨

B
741
.N28
1906
v.1
c.1

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الاله الواحد الحق المبين . خلقنا سبحانه بحق لكمال قدرته ، وألهمنا الارشاد لشكره وعبادته . والصلاة والسلام على جميع الانبياء والمرسلين . « وبعد » فقد نظرت مستقرئا حال الامة الاسلامية ، وما هى عليه من التأخر فى الترقى والمدنية ، وبحثت مع الباحثين فى علة هذا الانحطاط . فرأيت أهم العلل هو زيغها عن صراط الله الرحيم ، وانتهاجها منهج عوج سقيم . ولقد أرشدنى الله تعالى الى بيان أصل الداء ، وما اختلف فيه العلماء ، والفلاسفة القدماء . مما كان سببا لهذا الضعف الظاهر فى كل شيء ، فأبنت ذلك فى هذا الكتاب بمبادىء واضحة حقة بديهية يوضحها القرآن العظيم ، بعد أن كانت في عدة قرون مضت غامضة خفية . وبهذه المبادى العالية الجليلة يظهر للعيان كيف أن متبع القرآن يجب أن يباهى الفرقدين فى سموه وتمتعه بالمدنية الحقة والكمال . وقد سميته « فلسفة الاسلام ، ومدنية القرآن » . وأسأل الله الكريم أن يكون فيه نفع للمؤمنين ؟

(بأى دين يتمسك الانسان ؟)

الدين هو المبدأ الثابت الذى يعتقد المرء بصحته ويجزم بلزوم السير عليه الى النهاية فى كل أعماله الذاتية ومعاملاته للخلق والخالق ظاهرة وباطنة واذا تأملنا للناس والمبادىء التى يتمسكون بها نعلم كم من مبادىء فى بنى الانسان وكم تتعدد الاديان غير أن الجميع باطل الا واحدا (لان الحق فى ذاته لا يتعدد) كما يعلم ذلك الانسان من تأملاته العقلية الحقة فى جميع الاديان والمبادىء الانسانية العامة . ولكن كيف يتحصل الانسان على ذلك ؟ أي كيف يميز ويثبت لنفسه أحقية مبدأ واحد حق من جميع هذه المباديء والاديان ؟ وما هو هذا المبدأ أو الدين الواحد الحق بين الجميع ؟

اذا انتخبنا دينا من الاديان ووضعناه اجمالا مفضلا على الجميع بلا برهان يظهر بطلان الآخرين لكان كل يتمسك أيضاً بأفضلية مبدئه أو دينه — فانتخاب الافضلية اذا يجب أن يكون ببحث وتأمل واستبصار يقنع النفس ويهدىء الفؤاد طبيعياً بلا تردد أو شك بسيط — وكيف ذلك ؟ ان الانسان اذا ألقى من فكره كل شىء وتأمل لشخصه الذاتى ببساطة وجد نفسه انه هو ذلك الخلق الجميل الكامل ذو العقل الذى تخترق أفكاره آيات الكون والعامل فى الارض بحريته يقلبها كيفما شاء — يظهر من العجائب ما يقرب من المدهشات المعجزة — لا ينتهى فيه التصور الى حد ولا الروح الى الجمود — يجد فى نفسه شخصاً ترجمت عظمته أنه من أحسن المخلوقات شكلا وفضلا وعلما واقتدارا — ولكن من الاسف لم يعرف الانسان هذا للآن ما هى حقيقة ذاته الكلية أو ما هو واجب ذلك الانسان الحق فى الارض ؟ — مضت القرون العديدة وتقلبت المخلوقات حيثما شاء الخالق فظهر الانسان ووجد نفسه بحالات مختلفة على درجته هذه الخصوصية العالية والنظام الكامل: فمن أين أنت أيها الانسان ولماذا أنت كذلك والى أين مصيرك — خلق هذه درجته وهذا فضله واضح يجب أن يعرف أصله ومصيره ليجعل سيره لائقا لمركز وجوده وفضائله التى تتجسم أمامه تدريجياً على ممر الزمن وتترجم له بوضوح انه أفضل مخلوق يمكنه احتضان الكمال

« من أنا ؟ »

دين الانسان أو مبدؤه الحق الذى يتمسك به ويسير عليه لا بد وأن يكون لغرض توجيه النفس لنقطة تتوهم فيها أو نتيجتها السعادة الكلية لها حسب أميالها غير أن النظر الى هذه النتائج المسعدة تختلف باختلاف تأملات النفس ذاتها فيما اذا كانت هى حقة تسعد أو هى أوهام تتبعها على غير هدى فيكون سيرها كالسابح فى بحر لجى بلا ساحل لا يعرف له نتائج حقيقية — وقبل أن يعرف الانسان كيف يكون سعيدا بالطبع يحتاج لمعرفة شىء عن نفسه وطبائعها الفطرية التى تؤول بها الى السعادة الحقة فان قال الانسان لذاته من أنا جاوبه الفكر بأن هذا السؤال مسبوق بشىء فى النفس يعد أساساً جوهرياً لانسانيتها ألا وهو الفكر الموجب لهذا السؤال السابق فبه تتميز الحقائق وينتقل الانسان من وادى التأمل الى وادى الامعان في كل شىء — فالانسان بالنظر لاساس كماله الانسانى يعبر عنه أولا بالفكر ولولاه لكان بعيداً عن هذه المنزلة العالية فى الحياة ولكان أقرب شىء الى البهائم والجمادات

« هل الفكر ثابت ؟ »

يتأمل الانسان كثيرا فى كل شىء فلا يجد حدا لوقوف تجاربه وأفكاره وكأن الكون يتجدد أمام عينيه كلما تجدد فكره وبالعكس تتجدد أفكاره بلا حد كلما تغيرت حوادث الكون أمام عينيه — فالفكر فى ذات الانسان يتقلب اذا بلا حد كما يرى العالم حول عينيه بلا حد محدود — والانسان يعجز عن أن يحيط بما علم انه أساس لنفس انسانيته الذاتية الذى هو الفكر كما يعترف بالبداهة أيضاً أنه يعجز عن أن يحيط علما بما حوله من ذلك العالم المتسع الفسيح الا بعض الشىء منه — وعلى ذلك فالفكر غير ثابت بل ولا محدود أى ان أساس الانسان مجهول لذاته وان معرفة أجزاء الجسم وفضائل أعمال الانسان العالمية المختلفة لا تجاوب جواباً مقنعاً عن معرفة حقيقة أساس الانسان الكلية وان نفس هذه النتيجة تحصل بداهة اذا أراد الانسان أن ينظر نهاية لفكره فى العالم أو وقوفا عن تحديد ما هو فوق فكره في هذا العالم الظاهر الذى يلمس واذا فمن اللازم استخراج نتيجة بديهية لاساس الانسان ونهايته لا تردد فى حقيقتها وهى بدء الانسان ونهايته (العجز) وذلك بالنسبة لاقتدار علمه وعمله الذاتى فى نفسه أو فى العالم

« طبيعة الفكر والعالم »

جهل الانسان لشيء لا يمنعه نفسه من الحكم على ما جهله حكماً عقلياً ربما كان أقرب الى الحقيقة كأنه علم يقينا بهذا الشيء وهذا يطابق نواميس الخلقة الطبيعية الكونية فان سنن العالم تقريبا متشابهة عند التماثل وكثيرا ما علم مجهول بقياسه على معلوم وان الترقى التدريجى لكل شيء فى العالم لم يك الا من استخدام أو تطبيق النواميس السالفة بعضها بجانب الآخر فتنتقل من حسن الى أحسن وكلها سلسلة متصلة ببعضها ومرتبطة تمام الارتباط . فالفكر الانسانى غير ممكن حصر طبيعته من حيث تغيره وتنقله الغير محدود فى دائرة يعبر عنها تعبيرا دقيقا لا مراجعة فيه وشاملا لكلياته كما أن الانسان لا يمكنه أن يعبر عن العالم تعبيرا دقيقا ولو اجمالياً شاملا لحقيقته الكلية (اللهم الا البعض الظاهر) فالفكر فى وجوده الذاتى أشبه أيضا بوجود العالم الذاتى — لان العالم كله حركات فمن أفلاك واجرام تسير وأرض تنبت ومخلوقات لا حد لها تحيا وتموت وتتجدد وتزول وبالطبع جواهر هذه المخلوقات لا تؤول الى العدم وان آلت الى التغير الكلى على ممر الزمن — فيقال كذلك عن الفكر انه خلق متحرك لا يقف عند حد ولا يعدم وان آل الى تغيرات لا حد لها

ولرب سائل يقول ان الانسان بموته يعدم فينعدم معه كل شيء فنقول هذا مستحيل كلية فان العدم معناه (لا وجود) أو المحو الكلى من الوجود فلا سماء تشمله ولا أرض تجمعه وهذا محال بعد موت الانسان — فالانسان بموته تنفصل روحه عن جسمه لتوجد فى محل آخر وجسمه ينفصل ليتحلل الى مواد أخرى مع عدم اعدام شيء حتى ولا ذرة واحدة لا من روحه ولا من جسمه لانه (لا عدم لشيء خلقه الخالق) وبمثله العالم أيضاً ففناؤه المستقبل وتغيره الكلى التدريجى الذى سيؤل اليه لا يثبت اعدامه من الوجود بل يتغير ليؤول الى شكل آخر أشبه بموت الانسان الذى سيؤول بشكل جديد مستقبل كما هو وان تغير

« من المحرك للفكر ؟ »

الفكر أينما توجهه لا يخمد ولا يقف كما سبق غير انه هل هو شيء متحرك لذاته بلا نظام أو تابع لآخر يحركه كيفما شاء — نرى واحداً من الناس يتفكر فى السماء وآخر

فى الارض وثالثا يدرس علم الطب وآخر يزرع الارض وغيره يكافح ويحرث والكل يتبعون مايترا آى لافكارهم واذا أراد الانسان حصر أنواع توجه الافكار فى بنى الانسان عجز بل اذا قطعنا النظر عن ذلك فان كل انسان فى نفسه الذاتية يمكنه كيفما شاء أن يغير فكره من موضوع الى ألف موضوع أو مالاحد له من المواضيع كالذى يطالع كتابا علمياً فان تيار فكره يسير متغيراً فى مواضيع لايمكن للانسان حصرها واذا فالفكر على مايظهر تابع لآخر يسوقه ويستخدمه فيما يريد ومن هو ذلك المحرك ؟ هو القلب فحقيقة الانسان اذاً هو القلب والقلب هو الانسان ولكن الفكر هو الانسان أى مرشده وهاديه ودليله وبه اكتسب القلب اسم الانسانية وفضائلها فوان كان القلب أصلا والفكر فرعا تابعا مستخدما لكنه الفرا فى جوفه كل الصيد وكلاهما لازم للآخر ويكاد أن لايتميز أحدهما عن الآخر فى كفتى الميزان فى الافضلية بالنسبة لتشكيل هيكل الانسانية

« الارادة الانسانية — خلاصة الانسان »

اشتراك القلب مع الفكر فى الاتجاه والنظر في أى موضوع يسمى بالارادة الانسانية لان ذلك يشتمل على اجمال مطلب الانسان الكلى من جزئيه اللذين تكوّن منهما بكليته وتسمى بهما انساناً — فالقلب اذا عمل بأعضائه وجسمه شيئاً بلا فكر معه خرج بجملته من مرتبة الانسانية الى البهيمية وكذلك الفكر اذا سار بمفرده عن القلب لايكون الا حلما أو خيالا لاتأثير له بشىء على الانسان ولا يحرك فيه شيئاً وكأنه أمر زائد زائل واذا فالارادة هى خلاصة الانسان

« ماذا يجب أن يريد الانسان ؟ »

الانسان من حيث فضله الظاهر لايجب أن يكون كالنبات خاضعاً للصدف الطبيعية ولا كالحيوان بلانظام مقبول واضح بل يجب أن يكون فى مركز لائق لانسانيته وارادة كل انسان لاتحدّ ولا تقيد ولا تحصر كما تعلمه كل نفس فى ذاتها بالبداهة فاذا قلنا ماذا يجب أن يريد الانسان — فنحن نقصد النقطة العامة التى يوجه الانسان ارادته الخاصة اليها ويحول ارادته واغراضه المختلفة الاخرى اليها حتى تجتمع النتيجة العامة عند نقطة واحدة هى النقطة المرادة التى نتساءل بوجوب اتخاذها للحصول على السعادة

وللمطالع أن يختار بنفسه مبدأ يتا كد ان توجه ارادته الكلية اليه والسير عليه يكون فيه سعادته ويتعقل بذاته وباستقلال فكره نتائج مبدئه وليحكم بضميره على صحته من عدمها بما يراه من الاسباب ثم ليقس نتائج مايختار على نتائج ماقد اخترته أنا بنفسى فان كانت النقطة المقصودة واحدة فليسر معى — وان كانت وجهته وجهة أخرى فليسر حيث شاء وليوضح نتائج فوائد مبدئه (فانى والحق يقال) بحثت فى جميع المبادىء المختلفة فلم أجد الا نقطة ومبدأ واحداً هو الحق (لان الحق في ذاته لا يتعدد)

وانى لم أختره تقليداً لأحد أو بلا تعقل وتجربة أوبلا تأكد كلى أن سعادة النفس تنحصر فيه سعادة تلمس باليد وتترجم بحقائقها ظواهر الطبيعة

« وما هو ؟ وكيف ذلك ولماذا ؟ »

قد استخرجنا مما سبق نتيجة للانسان خاصة لاتفارقه مع بداهتها وهى أن بدء الانسان ونهايته فى الحياة العجز أو بالاحرى أول علم الانسان وآخره العجز عن الكمال اذ لو تأمل الانسان لذاته مرة أخرى وعد عقله من أفضل مايرى فى الخلق لرآه فى ذاته ولكن لا يعلم كيف وجد ولماذا وجد وان أعجبته الطبيعة ونظامها فشىء وجد نفسه فيه من غير أن يعرف له أساساً جوهريا لتعليل وجوده وفى آن واحد لايجزم كيف تكون نهايته الحقه الكليه . . . . وهكذا . . . وهكذا فمهما عددنا فضائل الانسان ومجده العظيم الذى اكتسبه فى هذه الحياة وجدناه قد اكتسبه بوسائط في ذاته أو فى العالم يعجز عن معرفة أساس حقائقها الكلية أو نهايتها الكلية المستقبلة (اللهم الا اذا أعلمه الخالق سبحانه) ومهما اختار الانسان فى ذاته أو من المخلوقات شيئاً وجعل لنفسه اليه وجهة يتبعها كمبدأ يسير عليه ويتوهم فيه سعادته الذاتية الكلية لم يجد وجهة يرتاح لها قلبه وعقله ارتياحاً طبيعياً صحيحاً الا أن يتخذ وجهته الخالق سبحانه وذلك لان الانسان مهما قلب بصره فى المخلوقات وجد فى نفسه الا فضلية على الجميع مهما كانت وان كان نظام الخلق جميلا يدهش — وهذه تجعله مضطراً للتفكر (ان كان يعقل) فى الوجوب للالتجاء والتوجه ولزوم وجود من هو أكمل منه من كل وجه اذ يجد فى ذاته الانسانية عدم الكمال المطلق مع علمه انه أفضل وأحسن الخلق عموماً فلا يلبث فى أن يتفكر أوهو لا بد أن يتفكر أنه لا بد للخلق من موجد

خالق غير منظور فهناك يهدأ القلب فى الحال ويعلم ان هذا الطارق للنفس من أول دواعى هدوها وسكونها وان وجود خالق يعلم ماهية أساس الخلق وكيفيته فى الايجاد والنهاية أمر لابد منه حتما بشعور طبيعى لاتردد فيه

واذا قطعنا النظر عن ذلك وتتبعنا طبيعة الفكر والقلب والتزمنا الرجوع الى نقطة توافق طبائعهما البديهية لنا علمنا أن الفكر مادام من طبيعته يجوب كل شىء بلا حد ظاهر والقلب يريد كل شىء ويحرك تيار الفكر حيثما شاء بلا حد فسعادة الانسان الطبيعية هى توجيه ارادته لنقطة ووجهة تحيط بطبيعتهما المذكورة أى ان أساس كمالها أن تكون أزلية البداية لان أساس جوهرهما الكلى مجهول البداية لذات الانسان أبدية النهاية أيضاً لانه لاحد يقفان عندحده وأيضاً تكون هذه النقطة مطوقه بكمال مطلق يفوق هذا الكمال الانسانى الزائل لتكون بمثل هذه الصفات الكماليه أحق بتوجيه ارادة لها كارادة الانسان الجميل وبالطبع تلك هى صفات الخالق سبحانه فهو الاول الازلى بلا بداية والآخر الابدى بلا نهاية والكامل المطلق الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير

وعلى ذلك ففطرة الكمال الانسانى تحتاج فى سيرها الطبيعى الى توجيه الارادة الانسانية للخالق سبحانه حتى ينتهى بها الى السعادة الحقة التى لاتنكر أحقيتها عن جميع الاوجه والنقط الاخرى العالمية التى يختارها الانسان الا كل مكابر - ولان كل شىء رجع الى طبيعته الفطرية كان ذلك رجوعا الى الحقيقة الكلية التى لاتردد ولا تناقض فيها « ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور » ولا يمكن اقناع كل نفس بهذه الحقيقة بمجرد القول بل تحتاج كل نفس للبحث والتأمل مع التجربة فى هذا الموضوع باخلاص واذ ذاك تحار كل نفس وتسلم بالعجز نهائيا وتذعن بلزوم توجه الارادة الانسانية خالصة كطبيعتها للخالق سبحانه

هذا وان أول من بحث فى هذه الحقيقة واحتج على من لم يوجه نفسه الى التأمل الحق الموصل لمعرفة الخالق المعبود سبحانه وتعالى هو الخليل ابراهيم عليه السلام حيث بعد احتجاجه على قومه بأفول الكوكب والقمر والشمس وافهامهم ان ماينتقل ويتغير لايصلح أن يكون الها يعبد وتقصده المخلوقات فى حوائجها أنكر عليهم وتبرأ أخيراً من كل شىء

وتمسك بحقيقة أعلنها للملأ هى الاحق من الجميع فقال « انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين » أى لايشرك بالخالق شيئاً فى العالم ولا يتخذ مبدأ آخر غير هذا فاذا فعل ذلك كل انسان وتأكد من عجزه الذاتى فى المبدأ والنهاية علما وعملا من عدم وجود مبدأ يرتاح له قلبه غير توجيه وجهه للخالق مع صحة التثبت بالايمان والاخلاص له تعالى كان مبدؤه هذا هو المبدأ الحق مبدأ الخليل ابراهيم عليه السلام أو هو مبدأ التسليم للخالق سبحانه أو (الاسلام) أى تسليم النفس بالارادة (القلب والفكر) توجها باخلاص الى الله سبحانه وان جميع المبادى الانسانية باجتماعها حول هذه النقطة وموافقتها لنظام الانسان الخلقى الفطرى هى ما تسمى (دين الاسلام) وخلاصتها القرآن العظيم كلام الله تعالى فانه (فطرة الله التى فطر الناس عليها) ولأجل كونه من الله تعالى كان هذا الدين الهياً محضاً (ان الدين عند الله الاسلام) وهو كما سيراه كل مطالع أحسن المبادىء عموما وأحقها بالاتباع لانه يهدى القلب ويطابق مباحث القلب والعقل وتأملاتهما الفطرية فى المبدأ والنهاية مع احاطته بكل شىء فى العالم يطرق فكر الانسان. هذا وبسبب عدم اتخاذ الجنس البشرى كله هذا المبدأ الحق انقسم العالم الانسانى الى مبادىء لاحد لها فتولدت الديانات الكثيرة المختلفة والمذاهب العديدة التى لا يمكن حصرها ومنشأ هذه الاختلافات أن كل فريق يتوهم السعادة في مبدئه مع ان ما أوضحناه لايخالف طبيعة الفكر الحقة وأن وجود الله تعالى لا ينكره أحد مهما تكيف اعتقاده الذاتى

وعلى ذلك فاذا قيل بأى دين يتمسك الانسان : فالجواب الحق الذى لامراء فيه هو أن يتمسك بدين الاسلام

(وجود الله تعالى لاينكر)

لما كان عقل الانسان هو مرآة هدايته فهو يترقى فى العلم وفى كل شىء ويتتبع الاسباب من سبب لآخر حتى يصل الى نقطة عالية هى أس أفكاره سائلا نفسه عنها وهى : من الذى أوجد هذه المخلوقات . أو من الذى أوجدنى على ظهر الارض ولم خلقت ولم

أتمتع أو أتألم أو أعذب . ولم أموت . وما هو الغرض من هذا الكون . وما هو الغرض من وجودي فى هذا الكون . وماذا يجب علىّ أن أفعل .... الخ

طبعا . هذه أهم وأعلى نقط يتساءل الانسان عنها ويميل العقل لمعرفتها حتى اذا عرف من الذى أوجده ولم خلق . والغرض من وجوده . وماذا يفعل سعى في الارض كما يشاء وكما يرى فى نفسه ومن نفسه من علم وعمل مطمئنا عالما بالغرض الذى يعمل لاجله وأساس علة وجوده فيكون كالخبير الذى عمل التصميم الكافى والاستدلال الهادى قبل القدوم على العمل حتى يصل الى الغرض المقصود مستريح البال مطمئن الخاطر . أما نحن فنقول له تجد الجواب على كل سؤال تريده في كل شىء فى دين الاسلام وتعلم ذلك مما سأوضحه لك فى القريب العاجل .

فأول سؤال بل أعلى نقطة يستفهم عنها الانسان هو معرفة الخالق عز وجل لهذه الطبيعة أو الكون الذى أدهشه منظره واحكام بنيانه فنقول له : ان الخالق لهذا الكون هو الله تعالى وهو كما خلق الكون خلقك أيضاً وأوجد لك هذا العقل . ولا بأس عليك من هذا الاستفهام فهو يريد منك ذلك لان تعرفه . بل خلقك لتسأل هذا السؤال لتستدل عليه بنفسك أو بواسطة هذا الكون الذى أدهشك منظره .

ولما كان اختلاف العقائد بالنسبة لله من بنى الانسان كثيرا كان من الانسب أن نحصر اعتقاد أفراد العالم الانسانى على اختلافهم بوجه عمومى حتى نستنتج من عقائد الجميع كيف أنهم يعرفون الله تعالى بلا استثناء . غير أنهم يختلفون فى التعبير عنه لفظا وان الالفاظ التى يفرضونها اذا خالفت روح الاسلام كانت مخالفة لحقيقة ما تشير اليه قلوبهم وأعمالهم أو أن أعمالهم تشير لغير ما تشير اليه ألفاظهم فلا مطابقة بين الحقائق في العمل والاعتقاد مطابقة صحيحة الا بالاعتراف بوحدانية الله وانه الخالق المطلق المتصرف وان من حاد شعرة عما توضح فى القرآن بخصوص معرفة الله كان فى ارتباك عن الحقائق منغمسا فى الضلال البعيد . فالناس فى اعتقادهم بالنسبة لله أو أديانهم ينقسمون الى أربعة أقسام كبرى وهى :

(١) الدين الاسرائيلى وأصحابه اليهود وهم متفرقون فى سائر أقطار الدنيا

(٢) الدين المسيحى وأكثر أهله النصارى المنتشرون فى أوربا وأمريكا وغيرهما

(٣) الدين الاسلامى وأكثر المسلمين انتشارا فى ممالك الدولة العلية العثمانية ومصر وبلاد العجم والهند وبلاد العرب والتتر وشمال أفريقية وأواسطها وغيرها

(٤) الدين الوثنى مع الاديان الفلسفية وهو ينتشر فى الهند والصين واليابان وغينا وبلاد الكفرة في افريقية وكنادا وبعض البرازيل وبارغواى وغيرها .

فأصحاب الدين الاول والثانى يؤمنون بالله وببعض أنبيائه وأصحاب الرابع لا يؤمنون بالله ولا بأنبيائه أما الدين الاسلامى فأصحابه يؤمنون بالله وحده وبجميع أنبيائه بلا استثناء وهو يوضح حقيقة هذه الاديان كلها والفريق المعوج الذى يسلكه كل من لم يتدين به بأجلى بيان وأعظم برهان فهو لجميع الخلق كمصباح من نور يهدى من أهتدى به الى الصراط المستقيم

ولما كان موضوعنا الآن مختصاً ببداهة وجود الله تعالى وكان أصحاب الدين الاول والثانى والثالث يؤمنون بالله ويعرفونه مما عرض عليهم من آيات الله البينات في التوراة والانجيل والقرآن كان الاحق بنا أن نوضح كيف ان الامم الوثنية والفلسفية يعترفون بوجود الله وكيف تتوصل باقرارهم أنفسهم وأعمالهم الى أنهم يقرون بوجود ذلك الخالق الواحد بقطع النظر عن شركهم وسوء تعبيرهم عن ألوهيته المطلقة ليكون ذلك أقوى حجة على ضلالهم وليزداد الذين آمنوا بالله ايمانا وتعلقاً بربهم الكريم .

ولست الآن فى مقام التميز بين الاديان الثلاثة الاولى أو ايضاح نقطة الخلاف بينهم فكفى اليهود والنصارى أن لا يؤمنوا بالنبي والقرآن وان كانوا لا ينكرون وجود الله تعالى وكفانا من الله تعالى أن أوضح لنا في القرآن الكريم الخلاف بيننا وبينهم فتشربتها عقولنا بالقبول والارتياح وأعلمنا أن لا خلاف بين أوامره الى جميع أنبيائه فيما يختص بوحدانيته سبحانه ولزوم العبودية لذاته وحده وجلاله فصرنا بها من الموقنين لا نفرق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون . وما أحسن ماقاله عظيم من الحكماء بخصوص اختلاف الاديان حيث قال مايأتى « أرى أديانا كثيرة متناقضة وكلها باطلة خلا دين واحد . فاختلاف الاديان وتباينها وتضادها ناشئ عن مطامع الرجال واثمهم . والدين ثابت فى قواعده وجوهره ولكنه يختلف فى صورته الخارجية فينشأ عن ذلك الخرافات والخزعبلات والبدع. ومن أخطر الامور للحكمة البشرية البحث عن ثبوت الدين واتحاده فى قرون كثيرة مع طروء

التقلبات والفساد على صورته وقد ملىء تاريخ الدين بأخبار التقلبات والفساد ومع ذلك يرد الانسان الى مرجعه وهو الله سبحانه وتعالى . ولا تزول جميع الحقائق من الدين وان اكتنفته أغلاط عظيمة وستر بظلمات مدلهمة . اه » ونحن اذا راجعنا هذه الحقيقة التى دونها هذا الحكيم وجدنا ان جميع الاديان السابقة لدين الاسلام وبالاخص الاسرائيلية والمسيحية وما طرأ عليهما من التغيير مما هو ثابت فى تاريخهما من الانقسام واختلاف العقائد فى الدين الواحد منطبقا على قول الحكيم السالف بخلاف القرآن العظيم فهو باق كما نزل وجميع المسلمين فى دينهم واعتقاداهم فى القرآن متحدون وهو بعناية الله سيكون كذلك الى يوم القيامة وان اختلاف آراء العلماء من المسلمين وانقسام الامة وفشلها لا يرجع بالعار على القرآن العظيم بل على الامة نفسها التى لم تعرف كيف تقتبس النور منه بدل وقوعها في ظلمات الجهالة فالقرآن مازال محفوظاً كما نزل من عند الله تعالى وليس كالكتب الاخرى السماوية التى سبقته وهى دون حقائقه بمراحل للمتأمل المنصف بسبب التغيرات التى طرأت عليها في قرون عديدة ولقد قال جل شأنه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » أما الذين لا يتدينون بدين من الاديان السماوية من بنى الانسان فيمكننا أن نحصرهم فى ثلاثة أقسام

(١) رجل لا يتمسك بدين من الاديان بل بما يوحيه اليه فكره ومنهم الفلاسفة وكثير منهم يؤمنون بالله تعالى

(٢) رجل تمسك بالطبيعة وموادها ونتائج ظواهرها ومنهم الطبيعيون والماديون الذين لا يعترفون بالله

(٣) رجل قد اختار لنفسه شيأ من المخلوقات الها وعبده ومنهم الوثنيون على اختلافهم وغيرهم

فاذا فرضنا أنا أحضرنا رجلا من النوع الاول قد مكنته التجارب وسألناه ماذا يجد فى نفسه وأجاب جوابا عقلياً خالياً من الغرض بسيطاً لقال : أجد أنفاساً فى نفسى متصاعدة وعقلا يتصور وقلبا يخفق وبطنا تأكل وأجد نعمة أتمتع بها ثم موتا سأذوقه كغيري

ولو سألناه كيف معاملتك مع الناس ؟ لاجاب : أعامل الناس بالمعروف أحيانا فأجد ارتياحاً فى نفسى وكذلك اذا عملت احسانا وبالعكس ينقبض صدرى اذا ارتكبت سيئة وقد رأيت كثيراً انى اذا آذيت انسانا أو تعديت على أحد أصابنى شىء من نوع

مافعلت رغماً عن نفسي . ونظرت بالتجارب ان إذلالي لغيري ظلما يرجعني الى الذل . وكم من مرة رأيت أناساً يتعدون على غيرهم بالقتل فلا ألبث قليلا حتى أجدهم مقتولين وربما كان قتلهم بالصفة التي قتلوا بها غيرهم ثم أرى أيضاً نظاما عجيبا في الكون ثابتا فمن بحار وأنهار تجري وأشجار تنبت وحيوانات وأناس تحيا وتموت .

فاذا سألناه بعد ذلك ! ماذا تشعر من نتيجة ماأوضحت وما رأته عينك ولم توضحه ؟ أجاب ان ماأدهشني هو مراقبة أعمال بني الانسان من قوة عالية ظاهرة خفية فلو كان للانسان نظام كالاشجار مثلا حين توضع بذورها في الارض فتنبت نوع شجرها لقلت ان وجودنا وأعمالنا هو شيء طبيعي ثابت وصرت كالطبيعيين ولكن رأيت بعيني كم من ظالم لغيره ينتقم منه ولو بعد طول المدة وكم من قاتل غيره وقد مضت عليه السنون ثم قتل بنفس الصورة التي قتل بها غيره . فمراقبة مثل هذه الحركات الدقيقة وغيرها على نوع بني الانسان الذي هو اكثر حرية في العمل من جميع المخلوقات شيء يضطرني لان أتفكر بل وأشعر بقلبي بلا جدال وتردد أنه لابد لهذه المخلوقات من مدبر مهيمن عليها بسيطرته المطلقة ولكن لاتراه عيني وكلما أردت ادراك هذه القوة العالية المدبرة بفكري عجزت باهتا ورأيت بحثي عبثا . اذاً ماهذه القوة الهائلة المدبرة لهذا الكون الهائل مع هذه المخلوقات التي يعجز الفكر عن حصرها ؟ فنقول له !! ان مايعترف بوجوده قلبك وتشعر بعظمته الخفية ونظامه العجيب بين المخلوقات بعد تجاربك وتأملاتك هو الله سبحانه وتعالى وهو المبدع لهذه الكائنات بقدرته .

وقد تمسك كثير من الفلاسفة بهذا المبدأ ولكنهم على اختلافهم لاينكرون وجود الله وأبديته ومهما تمسك أحدهم بمبدأ مهما كان نوعه وتظاهر بعدم الايمان بدين من الاديان السماوية فان ابحاثه العقلية وكثرة تجاربه تضطره أخيراً لان يعترف بوجود الله تعالى وبقطع النظر عن هذا الفرض فاننا نذكر هنا ماقاله فيلسوف فرنساوي من أشهر الفلاسفة حيث تمسك لنفسه بمبدأ كان عنوانا لتقدم كثير من بني جنسه وهو قوله : — « افتكر بذاتك ولا تحكم على شيء بمجرد القول . — ومن ضمن أقواله : ان تشغيل العقل هو أشرف الامور التي نمارسها على الارض وقد أثبت وجود الله بدلائل عقلية قال فيها :

اذا شككنا فى كل شىء لا يمكن أن نشك فى كوننا نشك . فالشك هو الافتكار وعليه فلا يمكن الشك أننا نفتكر فوجود الفكر لا يقتضى برهانا آخر . واذا لم يمكن الارتياب فى كوننا نفتكر لم يمكن الارتياب فى كوننا موجودين فنشعر بوجودنا كلما افتكرنا . فاذاً الافتكار دليل الوجود . ثم يقول ماهى صفة الفكر : صفته أن يكون غير منظور ولا ذا ثقل ولا ذا امتداد بل بسيط فبساطة الفكر تؤدى الى بساطة النفس التى تفتكر وهى المعبر عنها بكلمة : أنا . واذا كانت النفس بسيطة كانت خالدة أبدية . ثم قال . : من أنا المتصور الابدية؟ أليس واضحا انى لست أنا الذى أحدثت هذا التصور السامى عن ادراكى الذى لا أقدر أن أبين حقيقته ولا أن أطرحه عنى فهو نيّ ولا يخصنى . فهو يخص اذاً موجود آخر واجب الوجود أبدياً كاملا وهو الله سبحانه وتعالى . وبذلك فالناس لا تعرف الكون معرفة صحيحة لا يخالطها شك الا بمعرفة وجود الله الواحد الحى الازلى . — ومن المعلوم ان تصور قوة سامية الهية موجود في كل عقل على اختلاف طبقات الناس . ففى هذا التصور عنصر وجود هذه القوة العلوية المعبر عنها بالله الواحد . والتناقض ظاهر بين تصور الوجود وعدم الوجود لانه كيف يتصور شىء موجودا وهو غير موجود وهذا التصور خلقى مغروس فى العقل طبعاً . ومن ثم فالنقص فى العقل البشرى يقتضى الكمال فيما هو أعلى منه وهذا الكمال لا يكون الا فى موجود أسمى درجة من الانسان فهذان أمران بينهما أشد العلاقة فى الحكم على حقيقة الوجود كما هى فى العقل البشرى فلا يمكن أن ننخدع بهما . وعلى ذلك فالاشياء الخارجة التى نراها ونلزم أن نسلم بوجودها ليست ضربا من الوهم ولا شباحا تصورها لنا المخيلة فمن وجودها يجب الحكم بوجود موجدها وهو الله الخالق سبحانه وتعالى »

هذا ما قاله فيلسوف فرنساوى من أكبر الفلاسفة وقد تمسك بمبدأ هو عدم تصديق شىء بمجرد القول بل بعد البحث فيه بالذات بحثاً عقلياً

واذا انتقلنا الى النوع الثانى من بنى الانسان وهم الطبيعيون أو الماديون رأينا من مبادئهم أنهم يشيرون بوجود الله تعالى رغم نكرانهم للاديان السماوية وفقط هم يشركون بالله تعالى ويقولون أقوالا ينبذها العقل الصحيح وان من خلال اعتقاداتهم وألفاظهم يرى المتأمل الخبير انهم يقرون كباقى البشر بوجود هذا الخالق الذى أشار الى وجوده كل مخلوق وان اختلفوا

فى التعبير عنه بما تقضيه قدرته المطلقة وحسن نظامه بين عباده المؤيد فى القرآن الكريم ولذا نكتفى بأن نذكر بعض اعتقادات للطبيعيين والماديين لنكذبهم بنفس كلامهم ونوضح زيفهم عن الحقيقة فنقول :

يقول بعضهم الطبيعة تنقسم الى قسمين ممتزجان ببعضهما ومتحدان وهما الله والمادة أو الهيولى فالله الاصل الفاعل الموجود أو العامل وهو العقل المطلق والعلة السائدة العامة وهو عبارة عن نار حية أو روح ناري أو بالاحرى نور ساطع حار يولد كل شيء بنظام كالصانع الحاذق يصنع بنواميس وحذق واتقان وهذه النار تتضمن كل الجراثيم القائمة بها الاشياء بأشكالها أماهى أي النار فليس لها شكل خاص بل تشكل كل شيء تولدت من نفسها وتبقى الى الابد وبحركة مستمرة فجوهر الله اذاً غير مدرك وهو فرد صمد قضى على نفسه أن لا ينقض نواميسه وهذا لا ينافي استقلاله المطلق وارادته المطلقة أما المادة أو الهيولى فهو الاصل المنفعل غير المحدود المستمر القابل للتكييف بكل شكل وصورة .اه

والمتأمل لهذا التعبير يجده متناقضا لا يستريح لقبوله العقل من أوجه كثيرة . اذ كيف يقولون ان الله والمادة ممتزجان ببعضهما ومتحدان ثم يقولون عن الله انه مستقل وذو ارادة مطلقة فذو الارادة المطلقة لا يضطر للامتزاج بشيء ثم يقولون عنه انه جوهر وكيف علموا انه جوهر . وما معنى قولهم انه جوهر ثم يقولون انه غير مدرك ويفرضون انه نار وغير ذلك مما لا دليل عليه مع هذا التناقض الظاهر فى التعبير. والحقيقة ان أفكارهم هذه تنطبق على بعض صفات الروح ممتزجة بشيء من الكفر .

والغرض من سرد أفكار هؤلاء القوم هنا انهم يشعرون بحقيقة وجود الله وانه غير مدرك وهو مستقل فى ذاته الابدية وانه مطلق الارادة . أما باقى فروضهم من القول بأنه نار أو ممتزج فهو ضلال قد امتزج بهذه الحقائق التى يعترفون بها وكان من أحقهم أن يخضعوا للحق المطابق لفطرة العقل كما هو موضح فى القرآن من ان الله تعالى أزلى لا شريك له ولا شبه له فى مخلوق أو تخيلات أفكار وانه هو الخالق الذى أوجد كل شيء بقدرته وبمطلق ارادته وأنه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) . وما أحسن النظام الذى أوجده الله فى مخلوقاته كما هو موضح فى القرآن الكريم مما سيوضح بعد وان تصريحهم بلفظ الله اشارة بالاعتراف

بوجوده تعالى أما تعبيرهم الذى سبق فهو كفر قد تعمدوه لأنفسهم لا يغنى من الحق شيأ

أما النوع الثالث من بنى الانسان وهم الوثنيون على اختلافهم فكذبهم فى عبادة شىء غير الله ونسبة الالوهيـة له شىء لا يحتاج الى برهان . اذ ماذا تفعل قطعـة من الحجر مثـلا تشكلت بيدهم على شكل الانسان وصارت صـنما ثم هم يعبـدونهـا ويقولون انهـا الاله . وما معنى أن ينسبوا لكل شىء فى الارض الها خاصاً به مما يكون عرضة لنزاع الالوهية بينهم وليرغب كل اله فى الاسـتقلال ومحاربة الآخر كما تقتضـيه النواميس الظاهرة ولعلا بعضهم فوق بعض مع اننا لا نري شيأ من ذلك ولا حس ولا صوت ولا تأثير لاحد فى المخلوقات غير الله الواحد الخالق المطلق المسيطر فوق عباده كما يثبته تاريخ الانسان

هـذا وان الوثنيين مع شركهم وكفرهـم فان وجود الله عنـدهم له ألف دليل أو دلائل لا تحصى وفقط هم منقادون لاوهامهم لعدم التفكر وتمحيص الحقائق الظاهرة طبيعياً وعقلياً ليستدلوا بها على وجود الله الواحد

وفى كل شىء له آية * تدل على أنه الواحد

ولنضرب لذلك مثلا فرضيا بسيطا فنقول

نزل رجل كافر يعبد البحر ويعتقد انه هو الاله مع رجل مسلم يعرف الله خالق كل شىء فى مركب صغيرة ليصلوا بها الى الشاطىء الثانى من البحر فاستمروا فى سيرهما حتى اقتربا من الشاطىء وهناك هاج البحر وماج واشتد الخطر عليهما فاستغاث المسـلم بربه أما عابد البحر من كثرة ماناله من الخوف والهلع صار يشعر بقلبه وعقله كانهما يتجهاز رغما عن نفسه الى السماء وكأنه يطلب النجدة من الله خالقه ولـكنه لا يعلم لم هـذا الشعور فسأله المسلم بعد وصولهما الى البر سالمين ماذا تشعر بوجدانك فأجابه بما قام بقلبه وأنه دائما بهذه الصفة سواء كان الخطر الذى يتهـدده فى البر أو البحر أى انه يشـعر بانجـذاب قلبـه الى السماء لا الى البحر الذى يعبده ولا يمكنه أن ينجيه من هذا الخطر الذي يكاد يبتلعه مع انه معبوده فأجابه المسلم بأن شعورك هذا الذى تضطرك نفسك اليه وتشعر به هو موجه لله تعالى موجد المخلوقات ورغما عن شعورك هذا بوجوده فهو منزه عن كل الصفات المنسوبة لمخلوق أو لاوهام فى العقل فليس كمثله شىء وهو السميع البصير

صماً وبكماً فتراهم من طبيعتهم الفطرية يشيرون بيدهم الى السماء بوجود الخالق فهذا شيء لايمكن نكرانه من جميع المخلوقات في بنى الانسان فمهما اختلف اعتقادهم وشركهم أو كفرهم بالله فسيطرة وجود الله على جميع عباده واحدة ولكن البعض يشرك به والبعض يجحده عمداً من عند أنفسهم فهو القاهر فوق عباده وهو اللطيف الخبير وان وجوده تعالى لانكران له من أحد أبدا وان أساء البعض عنه التعبير أو أشرك به أو كفر «ولئن سألتهم (الكافرين) من خلق السموات والارض ليقولن الله أفلا تتقون» فالاسلام يعرف ذلك الخالق المهيمن أحسن تعريف يرتاح له القلب والعقل بما يليق لكماله الفائق كل كمال فما أكثر فضل الله على كافة الخلق بدين الاسلام الهادى الى الصراط المستقيم وعلى كل حال فجميع أفراد الجنس البشرى يعترفون بالبداهة بوجود الله تعالى وان تنوعت أفكارهم الخصوصية اه

« ماذا يجب أن تكون صفات الخالق (سبحانه) » ؟

يولد الانسان منا طفلا لايدرى أينما كان ولا كيف يكون فيتربى بين يدى والديه حتى يتعلم كيف يأكل ويتكلم ثم يتقوى تدريجيا حتى يصير شابا ثم رجلا كاملا وفى كل أدوار حياته يكون كثير التأثر والتأمل بكل مايحتاط به علاوة على مايتغذى به من العلوم الكثيرة المتنوعة حتى اذا أراد يوما أن يعرف اجمال حياته ونتيجة تعلمه وتجاربه لايلبث أن يندهش من أدوار الحياة التى لانهاية لها ومن عجزه عن حصر كل شيء فى العالم فلاتمضى عليه هنيهة حتى يتفكر فيمن بيده ملكوت كل شيء وقع تحت بصيرته فيضطر بنفسه الى اكبار وتعظيم الخالق المنظم وتقديسه وكلما ازداد فى المخلوقات تأملا وزاد فى نفسه علماً كلما زاد اجلال نفسه لخالقه واعترف أخيراً بكمال الله المطلق الذى هو فوق كل تصوراته النفسانية .

فكما ان وجود الله تعالى لايمكن نكرانه من أحد مطلقاً فان كمال الله المطلق هو كذلك يعرفه كل من تفكر بحق ولو قليلا فى خلق السماء والارض وما بينهما ولا يمكنه الزيغان عن نسبة الكمال المطلق لله الخالق سبحانه وتعالى

ولذلك كان كمال الله المطلق أساس كل شيء فى الوجود فالطفل بعد ولادته وتقدمه

فى السن تدريجيا لاينطبع فيه شيء ولا يعلم بشيء الا من المخلوقات التى تحيط به والعلوم التى يتعلمها بحيث كلما دخل فى السن الى الرجولية كلما زاد فى معرفة الاله حتى اذا كان تأمله حسنا وعلومه صحيحة تأكد في النهاية بهذا المبدإ وهو كمال الله المطلق ومتى وصل اليه وتمسك به أمكنه به أن يعرف كل شيء فى السماء والارض ويعرف الغرض الكلى من نفسه ومن الجميع ومن هنا يبتدأ للدخول فى معرفة الحقيقة أو الدين وأسراره الجميلة.

ولذلك جعلنا كمال الله المطلق ولزومه فى كل مشتملات مقاصدنا هو الاساس الوحيد الذى نبنى عليه مباحثنا وأغراضنا اذ به كان كل شيء وبه تأسس كل شيء بلا استثناء. وهو الاساس الوحيد لكل علم وفلسفة صحيحة مطابقة للواقع الذى لايحتمل الظن ولانه أمر تكتسبه النفس بذاتها بالتفكر الصحيح والتجربة فاذا كان أى انسان لايعترف بكمال الله المطلق ولا يسلم به مبدئيا قبل دخوله فى غمار كشف أسرار العالم ودين الله الحق فليرح نفسه مؤونة المطالعة فى هذا الكتاب وليهم على وجهه أينما شاء وعند ما تضطره الحوادث وتأملاته الحقة فى أحواله الشخصية والاحوال العالمية الى حقيقة هذا الاعترف فليقبل على طرق أى باب يريده وانى شاء فبحار العلم مفتوحة ونور الحق لايدخله الا المنتصر للحقيقة

وعلاوة على ان كمال الله المطلق معترف به من كل مخلوق فان صفات الله تعالى الذاتية مطوقة بالكمال المطلق الذي هو فوق العقول البشرية وذلك لان الاعتراف من الكل بوجود الخالق سبحانه مما يوجب أن يتسلق به المخلوق الى التأمل فيمن سبق الخالق فلا يجد أحدا لان المسبوق حادث ونسبة الحداثة لله تعالى تنفى عنه كونه الخالق سبحانه بل غيره وهذا يضاد الاعتراف الاول البديهى الذى هو فى فطرة كل مخلوق وهو لزوم وجود الخالق ومن هذه التفكرات لا ينتج العقل غير شيء واحد هو أزلية الخالق سبحانه وتعالى وما دامت الازلية لله تعالى أول شيء من كمالات الله لانها أول شيء يطرق فكر المخلوق مهما كان تأمله بسيطا فليبحث من هذه النقطة الاولى عن النسبة الكائنة بين علم المخلوق ومباحثه عن هذه الصفة وبين الوصول الى حقيقة شيء من الصفة المذكورة بعد هذا البحث حتى اذا وجدنا أن المخلوق قرر شيأ بذاته فى هذا المبحث الأبتدائى فاننا ولا شك نتخذه أنموزجا لجميع المباحث الاخرى عند ما يصادفنا شيء من كمالات الله المطلقة المختصة

بذاته العلية التى لا حد لها

فليبدأ المطالع فى تصور الازلية التى لا بداية لها .... فماذا نجد بعد أن يجيب طلبنا فى هـذا التفكر !... لا نجد غـير ذهوله ووقوعه فى التيـه ولا ينتهى فكره بتخيل الازلية فالفكر نفسه يبهت وينتهى بالوقوف ولا يصل الى طريق به يعرف كيف يتخيل الازليـة خيالا بسيطا — فاذا سألنا المطالع عن آخر طاقة للفكر أمكنه أن يتصـور أثناء ذلك يقال ان آخر حد لفكرى قبـل توهانه وعجزه وقف عنـد حد البداية وهذا الحد بالطبع كما سبق ليس من صفة الله الاولى وهى الازلية المذكورة فالحد المذكور فى الحقيقة هو حد بدأ المخلوق نفسه في ذاته وهو حد نهـاية أفكاره عنـد التسليم بالعجز أثناء كيفية تفكره فى الازلية — أما الازليـة المذكورة التى اعترفنا صراحة بلزوم نسبتها لله الخالق فتصورها اذاً فوق العقل وليس للمخلوق من تصور شىء من كمالات الله المطلقة غير العجز المطلق وأن ختام نتيجـة التفكر في شىء من كمال الله تعـالى هو اجلال الله تعـالى جهد اسـتطاعة القلب وهو كل الغرض من الخلقة . وبذلك كان من اللازم حتما أن يكون اجمال صفات الخالق « سبحانه » هو الكمال المطلق

والافكل من أراد من بنى الانسان مكابرة فليبحث عن عدم لزوم الازلية وليفدنا عن نتائج مباحثه لنشطب على مانخطه الآن كما اذا كان أحد يدعى بالوصول الى تخيلها خيالا بسيطا فليفدنا ونحن منتظرون وعلى ذلك فتخيل أى صفة من كمالات الله المطلقة الذاتية شىء فوق التصور بل بمعزل كلى عن كل تصورات المخلوق وتخيلاته وفروضه وبذلك يتقرر معنا مبداء ثانياً يجب أن نتمسك به من الآن ونجعله أساساً لمباحثنا لانه مبداء ثابت لا يتغير الا وهو عجز المخلوق المطلق عن ادراك شىء من كمال الخالق الذاتى فالمخلوق وتصوراته بمعزل تام مطلق عن ادراك صفة من كمال الله تعالى . واننا لم نختر صفة الازلية لله تعـالى فى مبحثنا هنا الا لـكونها هى أول أمر بديهى يصادم أفكار المخلوق اذا بداء فى التفكر فى الخالق . فان لزوم اعترافه بوجود الله تعالى وكونه هو الخالق وحده يتوصل به الى لزوم أزليته . وبهذه الصفة الاخيرة يتدرج الى لزوم التسليم والاعتراف بعجزه المطلق عن ادراك أي صفة من كمال الله المطلق فى وجوده كهذه الازلية .

وبتأييدنا لهذه الحقيقة بالطبع يتأيد تبعاً لها كل صفة كمالية تنسب لله تعالى . فكل ماينسب لله تعالى يجب أن يكون عجز المخلوق المطلق عن ادراكه أساس مبحثه فيه أو ان كل مايتعلق بالله تعالى أساس الاستدلال على حصره فى ذهن المخلوق ضرب من المحال . وان من فرض لنفسه شيئاً من ذلك فهو فرض لما فى نفسه وليس لما يدعى الوصول اليه من تخيل شيء من كمال الله المطلق فذات الله الكماليه وتصورات المخلوق عن أي شيء منها بينهما حد العجز المطلق لهذا المخلوق . وعلى ذلك كان الاستدراج فى لك اللسان فى مثل هذه المباحث عن ذات الله تعالى ضرب من الجنون والهبل . فمن كان به داء الجنون فليقل فى ذلك ماشاء وليتجادل على نفسه بما يشاء فان كاسر رأس نفسه لايستحق الشفقة اذا كان هو لايبالى بالالم الذى يجلبه بيده وهو يعلم بنتيجة خسرانه والسبب فى تأييد هذا المبدأ واتخاذنا له أساساً لمباحثنا هو ان كثيراً من الناس اذا ذكر لهم شيء يتعلق بالله تعالى يجرهم أحيانا الى سوء الفهم فى الله تعالى ويتخيلون مالا يليق لكماله المطلق فاذا تدرجوا فى مباحثهم تشعبت امامهم الاوهام الشيطانية فيضلون أنفسهم وما يشعرون . وربما يتوهم البعض ان غمار هذه المباحث فيه شيء من زيادة العلم وما هو الا غور فى الضلال أللهم الا اذا تمادى المخلوق بجهده في مباحث الخلق وكيفياته وكل مشتملاته فهناك تنكشف له فوائد حقه جليه — أما وان كمال الله المطلق وكل مايتعلق بذات الخالق فأمر فوق العقل على ان تخيل شيء من كمال الله تعالى يوجب تخيل أى صفه من لزوميات كمالاته كالازلية مما أثبتنا انه بين المخلوق وبين تصورها العجز المطلق بديهياً وخلقة العقل الفطريه غير قادرة على سبر غورها فهذا المبدأ أيدناه للعاقل الذى لايجب أن يفقد زمنه فيما تقرر حتما عجزه الوصول اليه وكأنه اذا تمادى فى ذلك يرمى باتعابه وجهد أفكاره في الهباء بلا نتيجة . — . وعلى ذلك اذا تأكدنا من لزوم نسبة شيء للخالق وأردنا البحث عن حقيقة مايجب أن يقال فيه لانجد غير كوننا نقول به وبأنه يليق لكماله تعالى فقط بما لا امكان للوصول الى تخيله . فمن أراد مكابرة غير ذلك فعبثا يحاول وان هذه المحاولة نفسها تهدم أساسه الحق الاول وهو كمال الله المطلق مما يلتزم به الى الرجوع القهقرى لينظر من نفسه ومن حوادث الخلق مايأتى به مكرهاً بلزوم كمال الله المطلق مما يكون معه كالدائر حول نفسه لايمكنه التخطى الى الامام

خطوة مفيدة . بخلاف من يقتنع بضربة العجز من أول وهلة ويسلم بلزوم كمال الله المطلق في كل مايتعلق به فانه علاوة على تمسكه بالحقيقة والحق الظاهر الواضح فهو لاينقطع عن تأملاته في الخلق ونظام الله فيه عن حكم طالما يتمنى السعادة الذاتية بالزيادة منها فكلما ازداد بالمبدأ الاول تمسكا وهو كمال الله المطلق كلما ازداد من المبدأ الثاني باكتشافه العلوم العلمية رقياً واسعاداً واكتشافاً جديداً يحلو له معرفته وفحصه. فكانه بهذه الصفة في الحقيقة يتدرج الى الكمال تدريجياً فاذا تحول عن أحدهما رجع الى النقص بما لا يفيده شيئاً كما سبق فيضطر الى التمسك بهذين المبدئين حتى الموت وكان الكمال معلق بحياة أخرى غير هذه يستمر بمجموع الخلق تدريجياً الى الامام وان المحال فقط في هذه الحياة هو تخيل شيء من كمال الله المطلق كما ان أول شيء واجب حتما هو لزوم الاعتراف بهذا الكمال الذى لاحد لنهايته

وعلى هذين الاساسين كمال الله المطلق وعجز المخلوق المطلق بنى التوحيد الالهي أى الاختصاص والتفرد بالالوهية لله تعالى وما يليق لها من الكمال وعبودية كل مادونه تعالى اذ ان ذلك هو كل الغرض من الخلقة أو هو كل العبادة — ومن العبث أن يحصر انسان خلاصته ويحصى أبوابه . فالتوحيد لا يقوم بالعلم الانساني بل هو أمر روحاني قائم في القلب وهو فطرى في كل الخلقة مبدؤه اعتراف الكل بوجود الخالق بلا استثناء أحد أو شيء وقد اكتفينا بالاشارة الى أساس بنيانه فانها اشارة عامة لجزئياته وكلياته مما يكون في طاقة كل راغب في البحث فيه فخلاصته تقديس الخالق بما يليق لكماله وهو لا يكون الا بالتفكر الذاتي ورغبة القلب الذاتية وهو الامر الوحيد الذى لا يجب حصر أبوابه فهو في الحقيقة يبتدأ مع المخلوق من بدء خلقته الى الابدية التي لا حد لها . فهو علم الله المطلق بما يختص بعلاقته بالمخلوقات — وكل مخلوق في ذاته وأحواله سائر في بابه على اختلاف جنسه وأعماله . فهو خلاصة الكل وخلاصة كل علم وكل شيء وان أكمل ما يمكن التوصل منه باحسن فائدة في هذه الحياة وأعظم غاية لا نقض فيها للانسان خاصة هو أمر واحد لا ثاني فيه أيضا : هو تلاوة القرآن العظيم . — . فيه يجد كل مطلبه . وتوحيد الله وتقديسه لا يحتاج للحصر في دائرة معلومة . فكما أنه أمر روحاني قلبي علاقته الكلية بالخالق وحده فمن الخطأ حصر دائرته في علم مخصوص فكل

حركة وسكون لله تعالى فيها اجلال وتوحيد (وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وقد أبدنا هنا أن أساس بنيانه هو كمال الله المطلق وبازائه عجز المخلوق المطلق تحوطا للقارىء فى كلام الله تعالى الذى هو التوحيد من أن تشتط به شياطين الضلال فيتمائل لنفسه شيأ من كمال الله تعالى مماثلا له من الخلق فهو القاهر فوق عباده وأن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

فقول الله تعالى هو السميع ليس معناه أن يكون لله تعالى آذان مثلنا أو سمع كسمعنا البسيط بل سمع يليق لكماله المطلق وهكذا فى كل ما يماثل ذلك فى القرآن العظيم

واذا كان هذا كذلك فكل مايقال عن الخالق سبحانه يجب أن لا يكون به رائحة النقص أيضا بل كل شيء ينسب للخالق سبحانه يجب أن يكون مطوقا بالكمال مثل البراهين العقلية والفروض الانسانية فيجب أن يكون الاكمل منها فى العقل والاليق لجهة الكمال والعزة هو الذى يجب نسبته للخالق سبحانه ان كان هناك ضرورة للنسبة ولما كان الانسان أول شيء يخص ذاته هو العجز المطلق عن أن يحتاط بكل شيء علما كان الاليق فى العقل أن يسلم الانسان من أول وهلة وبلا كثرة بحث (أو فليبحث حتى يجد البرهان نسبة الكمال للخالق سبحانه حقا) أو تردد ان كل مايرد على الفكر بالنسبة للخالق يجب أن يكون محاطا بالكمال اللائق لمقام الالوهية العلية ألحقه فاذا رأينا بنظر سطحى ان زبدا من الناس نعرفه انه مستقيما ثم نجد من الله تعالى انه جازاه بشيء فى نظير عمل خفى عن أبصارنا فلا يجب اذا جهلنا الاسباب أن ننسب الظلم للخالق سبحانه بل يجب أن نسلم مبدئياً بكمال عدل الخالق (سبحانه) فان ذلك يتبع مبداء التسليم (أو الاسلام) الذى يعتبر أساساً للدين الاسلامى كما توضح وان قصر مفهومنا عن كشف الحقيقه هو السبب فى عدم العلم بالحقيقة — وهذا الحال يجب أن يكون فى القرآن العظيم بكلام الله تعالى كله حق في العقل والواقع — فاذا رأينا آيتين متشابهتين في موضوع فلا يجب أن نؤول واحدة منهما بما فيه عدم نسبة الكمال للخالق سبحانه بل الحقيقة هو ماقبلها العقل ووصل بها الى كمال الخالق سبحانه فاذا قصرت عقولنا عن كشف حقيقتها فيجب دوام البحث مع التسليم بموافقتها للاخرى التى نفهم من مؤداها كمال الخالق سبحانه حتى تنكشف لنا الحقيقة ونسبة عدم الكمال للخالق سبحانه

فى أى شيء هو وقوع في الفتنه التى تودى بالمفتون الى الجحيم فلو كان لى لسان يمكنه استخراج ألفاظ كاملة جديدة أو عقل يمكنه الاستيلاء على كل اسم جليل حسن يليق للخالق سبحانه لسميت الله العظيم وقدسته به — أولو كان لى قلب من حديد حجمه يسع السماء والارض لخشعت به طائعاً مختاراً منشرحاً لله الخالق سبحانه — ولو كان لى دموع تملأ البحار جميعها لسكبتها امام الملأ علامة حبى الشديد وانخضاع نفسى لرحمة الخالق ولو كنت فى الجسم بحجم جميع الناس والمخلوقات لتصدعت ووجل قلبى من خشية الخالق ورهبته الجليلة — الله أحد — الله اكبر ماأكبره — الله تعالى سابق الكل لم يلد ولم يولد — الله تعالى رؤف ماأكثر رحمته — الله الصمد — الله الهواحد تفرد — الله تعالى خالق العالم وما فيه بأمره — الله تعالى هو الذى جعل لنا كل وسيلة للمتمع بالنعم ولعبادته — هو ذلك الذي تشعر بملء قلبك نوراً عند ما تؤمن به — الله تعالى هو ذلك الذى باستدلالك الذاتى على وحدانيته الحقة ومعرفته بما أوجد فيك من عقل وتبصر تصغر السماء والارض فى عينيك — الله تعالى هو الواحد الذى ان تسلط عليك ظالم قاهر واستسلمت له متضرعاً لانقاذك أوجد لك ارتياحاً واطمئنانا فى القلب بأنه يسمعك لتبصر حتى يأمر بقهر ظالمك فى وقت لايحيد عنه ولا يمنعه عنه مانع — الله تعالى هو الذى يمدك ان ضاق صدرك من أمر برحمته ورزقه

الله هو الذى يلهمك بالعلم والمعرفة ويعلمك من حيث لم تكن تعلم . الله هو الذي أوجدك فى بطن أمك من حيث لاتعلم ثم أخرجك وأوجدلك من يحفظ أعمالك ويراقب حركاتك وسكناتك كتابيا الى انتهاء أجلك . الله هو الذى يريد منك أن تتبحر فى العلم لتؤمن به وتعرفه وتكون أكثر الناس حبا اليه (والذين آمنوا أشد حباً لله) . وهو يريد منك أيضاً أن تعترف له بالوحدانية وبالقدرة بما أوجد فيك من شعور واحساس . الله لاتنفعه عبادتك ولا تهمه ولكنه يريدها منك رحمة منه على نفسك . فهو كما أنعم عليك بنعمة الوجود يريد منك أن تتضرع اليه وتخشاه ليعطيك نعمة الخلود فى التمتع بعدموتك بالجنة . الله لااله الا هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم . الله هو المنظم للعالم وللممالك. الله هو الذى رفع الناس بعضهم فوق بعض درجات بحق فى الرزق والعلم والقوة والمال

والاولاد . لاتفتكر أبداً انك اذا عبدت الله وقدسته تنفعه بشيء بل تأكد ان ذلك لصالح نفسك فقط . الله يحب منك أن تعبده . الله لا يريد أبداً منك أن تنساه لحظة قصيرة . بل يريد منك أن تتذكره دائماً وتخشاه لان فى ذلك سعادتك الذاتية وهو يريد لك السعادة . الله هو الذى يبيد الامم وينشىء غيرها . الله هو الذى يسمع حسيس النملة على الارض ويعلم بما تفعله . الله هو أقرب لنفسك من تصورك فى نفسك ويعرف مايقوله غيرك عنه وعن الناس وعما تفعل وتعزم . اذا وسوس لك ضميرك بشيء ردىء ضد الله فاعلم ان ذلك من الشيطان ويريد الله منك أن تعمل كل جهدك حتى تفتكر فى الله كل شيء حسن ينشرح له صدرك . لاتيأس من وساوس صدرك الرديئة عن الله فمنحك الله عقلا لمكافحتها وهو يكافئك اذا جاهدت نفسك وحولتها بأى كيفية للاخلاص والخشوع اليه . اذا رأيت انشراحاً من اداء عمل نهى عنه الله فى القرآن فاعلم انك فى شرك بالله وفى ضلال . خلق الله العقل وجعله خارجاً عن حد ذاته اللائق بها كل كمال فمن أين يصل العقل لمعرفة هذه الذات العلية . الله اكبر من كل شيء يمر على الفكر ويتصوره العقل مهما بلغ فى الارتقاء لامثيل له مطلقا وان تصور العقل شيأ واعترف الانسان بأن ذلك هو الله فهو وهم باطل لاحقيقة له . فالله موجود ولكنه محتجب عن عقولنا وسمعنا وأبصارنا وافهامنا . نحن نشعر بوجوده ولا يمكن لاحد أن ينكر ذلك ولكن هذا الشعور لايدخل معه تخيل ذلك الوجود بشيء يقع تحت اللمس أو السمع أو البصر أو الفهم . فهو ذلك الواحد الفرد الصمد الذى أمر أن نكون فكنا كما نحن وكما كان أسلافنا وكما كانت وتكون السماء والارض وجميع من خلق ويخلق فى الحاضر والاستقبال .

« هل يوصلنا القرآن العظيم الى السعادة العامة فى الحياتين ؟ »

اذا كان هدو القلب وارتياح الفكر لا يكون الا بمبدأ الاسلام للخالق سبحانه أو بدين الاسلام وأن هذا الدين فيما يختص بالانسان وبالعالم موضح فى القرآن العظيم فيجب أن يكون القرآن العظيم فى وضع يليق لمتبعه : وهو أن يكون فى سعادة فطرية كلية . وأن يكون كله حقائق ثابتة كلية لا نقض ولا ابرام فيها . وما دام أساس الانسان مهما كانت درجته العجز عن أن يحيط بكل شيء علما فقرآن عظيم هذا وصفه لايجب أن يكون واضعه

انسانا لان الانسان كما قررنا لا يمكنه أن يحيـط علما بكل شيء علما حقا كليا بل هو كلام الله تعالى ولذا كان ممتازا لانه :

أولا : يوافق السير الفطرى لطبيعة الانسان ونظام العالم

ثانياً : يوضح علوم العالم

ثالثاً : تعجز المخلوقات عن الاحاطة بعلمه الكلى أو بالاتيان بمثله

وما دام يحتوى على ما تقدم فمن المؤكد أن يصل السائر على مبادئه الى السعادة العامة الحقة ولا ينبئك مثل خبير .

« الفلسفة الربانية »

الفلسفة على العموم هى استنتاج نتائج حقـة بالفكر بدلائل واضحة معلومة بديهية فالظن لا يسمى فلسفة لانه مجرد قول بلا دليل عقلى أو دليل علمى بديهى ولما كان القرآن العظيم كلام الله تعالى بصفة خصوصية مشتملا على كل حقيقة واضحة فى العالم (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) غائبا وحاضرا كان لابد أن نستنتج منه بالفكر كل حقيقة مطابقة للواقع فهو ان كان أس الحقائق البديهية فهو أيضاً أس الافكار الحقة المختلفة المطابقة لكل حقيقـة فكرية — لذلك كان الباحث فى أحوال العالم المختلفة ومتخذا هذا الكتاب دليله يجب أن يحافظ على النقط البديهية التى يوضحها هذا القرآن الكريم وتكون الفلسفة الناتجة من اتباع أساسات القرآن العظيم وآياته هى الحقيقة من كل مبحث وعلم مهما كان واتباع هذا المسلك بمثل تلك الفلسفة يسمى طبعاً فلسفة دينية لان الدين اذا أساسها وهو القرآن العظيم — ولما كان الغرض من ذلك هو تعليم حقيقـة الكتاب واكتشاف فضائله وانطباقه على كافة العلوم على اختلافها بحقائقها الواضحة على ما فيـه بطرق نيرة بينة كان الاولى تسمية مثل هذه الفلسفة فلسـفة ربانية لان الغرض منها تعليم الكتاب (القرآن) الذى هو منسوب للرب سبحانه ثم اظهار كيف يطابق ما فيـه لكل النواميس العلمية الصحيحة على اختلافها واتخاذه أساساً لكل شيء وذلك اتباعا لما أيديناه ولسبب قوله تعالى (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) فان تسمية الله تعالى لا يتغير الغرض منها على اختلاف الكتب السموية لانها ترمى كلها لغرض واحد وان

كانت تلك التسمية خصت أناساً من أمم مضت قبل الاسلام — فالطارق لهذه المواضيع بثاقب فكره شرطا أن لا تكون نتيجة مبحثه مخالفة لاي دليل واضح في القرآن أو مخالفاً للعقل أو للمباحث العلمية الواضحة يسمى فيلسوفا لاستخراج نتائج فكرية مقبولة لهذا التطابق وربانياً لانه بذلك يشير لحقائق القرآن العظيم المطابق للعقل ولكافة العلوم العالمية المختلفة — وهذا المبدأ يطابق كلام الله تعالى أيضا وأوامره فى الدين لان المؤمن الذى علمه الله تعالى شيأ من علمه مكلف ببيانه للناس بقدر استطاعته ليصلح المعوج منهم ولتسير الامة على اختلاف الاجيال فى تقدم مستمر لا يعوقها شيء وهى كما هى متعشقة فى عنق الدين

(العقل والتجارب العلمية والقرآن)

الآراء العقلية التى لا تثبتها التجارب العلمية وتخالف القرآن لايجب أن لايعتد بها لانها بذلك تكون من الظن . أما التجارب العلمية الصحيحة فهى على كل حال توافق العقل فاذا ظهر ان ظواهر القرآن تخالف هذين الامرين معاً فلنعلم اننا فقط عاجزين عن كيفية التطبيق مما يحتاج لزيادة التعقل في فهم الغرض فقد يكون القرآن العظيم مطابقاً لها كل المطابقة ولكن العلة فى الفهم السقيم ولنتأكد على كل حال ان القرآن العظيم لايخالف العقل ولا التجارب العلمية بحال من الاحوال فاذا فرض واستمر عدم التطابق يجب أن نعمل بما يوافق العقل والتجارب العلمية والتمسك بظواهر القرآن بلا تأويل فان عدم التطابق اذاً لايكون من القرآن العظيم مطلقاً بل من الانسان — وان ذلك لايجب أن يوقفنا عن حد العجز بل يجب المواصلة باجتهاد حتى تظهر الحقيقة — ولنعلن القارىء مرة ثانية : ان القرآن العظيم لايخالف العقل مع التجارب العلمية والعملية الصحيحة .

— أسباب الفلسفة الربانية —

أما الاسباب التى دعتنى لابتكار الفلسفة الربانية فهو جمع الامة الاسلامية على اعتقاد واحد ولزوم ارتباطها برأي واحد وبيان الاسباب التى دعت أو تدعو الى فشلها وتقهقرها فى الارض واتخاذ أنجع الوسائل لدوام رفعة شأنها وايضاح كيف ان اتباع القرآن العظيم يسوقها دائما الى الصف الاول من بين الامم كما هو واجبها الاول اللائق لمقام القرآن العظيم ومنزلة حقائق كلام الله الابهج سواء فى الاعتقادات أو الاعمال اذ لايخفى على بصير ماوصلت

اليه الامة الاسلامية الآن من الذل والانحطاط والتقهقر والتشتت حتى لا نبالغ اذا قلنا ان الامم الاخري الغير الاسلامية القوية قد حلت قيود الرق والعبودية من أعناق السود لتضعها فى أعناق كل من تمسك بالدين الاسلامى أو أطلق عليه اسم مسلم مهما كان جنسه وشكله — وهذا أولا من أحوال المسلمين أنفسهم . ثم من جهلهم بحقيقة دينهم الباهر وما ترمى اليه أغراضه الجميلة — واننا نقول انهم يقولون عن أنفسهم مسلمين اسما فقط والحقيقة ان مركزهم الذى هم فيه الآن هو اللائق لهم مع انهم لا يعتبرون بشىء والقرآن العظيم امامهم كالنور الساطع وكأنهم لا يبصرون .

وقد مضى عليهم قرونا متطاولة وهم فى جمود مع استمرار الانحطاط لان الاسلام فى بداء ظهوره كان كشعلة نور ظهرت فى العالم بقوة فملأت الاصقاع وأضاءت المعمورة ثم انطفأت مباشرة وبسرعة بعد الخلفاء الراشدين وهذا الزمن القصير الذى أسس كل مجد ظاهر في الارض الآن قصير جدا ولا يعد شيئاً بالنظر لما يستحق القرآن العظيم من المجد والاعتبار . بل ان الزمن الطويل الذى مضى على الامة الاسلامية للآن وهى فى تلاش مستمر تدريجى بالنسبة لحقيقة مركزها التى يجب أن تكون عليه قد أيد نهائياً وبلا تردد أكبر عار على أمة كان يجب أن تقلب الارض وتجعلها فردوساً لاقامة العدل بين الامم ولسعادة البشر فى الدنيا والآخرة .

وان النفس لتقشعر مشمئزة اذا نظرت نظرة اخلاص لتاريخ الامم الاسلامية وأحوالها العامة الحقيقية — وكيف هى فى سيرها ضد مبادىء الدين على خط مستقيم واذا كنا نقول ان الامم التى تعتنق الاسلام تقدر بخمس سكان الكرة الارضية تقريباً وان هذا الجزء يوجد فيه خمسة أجزاء فى المائة يغيرون على الدين ويتمسكون بحقيقته ويخلصون لله تعالى فيه «مع ان هذه النسبة يشك فى حقيقتها» لكانت هذه النسبة فاضحة أيضاً لتلك الامم ووصمة عار أبدية وألما يؤخذ صدور المخلصين الذين يعلمون قدر القرآن العظيم حيث كان الاحق في تلك المدة أن يحل دين الله الاكرم تدريجياً بين أغلب الامم — كيف يكون مركزنا العام امام الله تعالى بين الامم فى تاريخ البشر اذا استمر بنا الحال على هذا المنوال بلا شعور لما يجب علينا وبلا اصلاح عام متين .

نعم — قد تواجد كثير من المخلصين لله فى الدين بعد بهجة الاسلام الاولى وأرادوا أن يعالجوا تلك السموم القتاله التى دخلت فى جسم الامة وصارت حائلا بين القرآن وتقدم الامة بسبب تشعب آراء علماء السوء أعداء الله والدين واختلافاتهم الخرافيه فى مواضيع تافهة كانت سبباً لتجزأة الامة فى الاعتقادات ولكنهم عجزوا على حسن نيتهم أن يبدوا آراء قاطعة تقنع العقلاء وتهدي النفوس الى الحقيقة التى لاتتعدد فصدقوا فى شىء وزادوا الطين بلة في أشياء ولهذا استمر سقوط الامة متوالياً بقطع النظر عن تلك الادواء المسكنة البسيطة وهى مازالت الى الآن ويخشى عليها من التلاشى الأدبى الكلى لانها الآن وصلت الى حد من الانقسام والفشل بما لا مثيل له في تواريخ الامم . وداؤها الحالى هو من نفس الداء القديم من تلك السموم المنبثة فى الدين وصارلها في القلوب أصول وفروع وقد استفحل هذا الداء وظهرت أعراضه السيئه واضحة لقيام الامم الاخري الغير اسلامية بما هى كانت أحق به . اذ لايعرف المريض درجة انحطاطه من المرض الا اذا خالط الاصحاء ونظر بعينيه كيف يكون التمتع بالصحة الحقه — ولا يخفى ان الامة كالجيش العرمرم الذى يقوده رئيس واحد تحته رؤساء يتبعون أوامره بلامناقشة وتردد . فالله تعالى ولى الامة الاسلامية ان تمسكت بالدين وحقائقه لا الاوهام المنسوبة اليه — والقرآن العظيم هو مركز رئاستها الذى تستاق منه كل أمر والعلماء هم القواد للامة ولا يمكن لجيش أن يتولى النجاح اذا استقى الرؤساء الثانويين من مركز الرئاسة أوامرا وآراء متضادة متناقضة ترمى الى أغراض متباينه أوان يكون سلوك الافراد بمنزل عن سلوك الرؤساء فان هناك يكون الفشل العام المؤكد .

فالسبب اذا امتنع زال ما نتج عنه فما على المخلصين اذاً الا أن يوضحوا الاسباب الحقة التى دعت الى فشل علماء الاسلام أولا فى كيفية انطباق آرائهم المختلفة على القرآن العظيم ليتكون من الجميع رأى واحد وليس الوفا من الآراء كما هو الآن ثم تهيىء الدواء الحق الذى يجمع الجميع حول دائرة واحدة ونبذ الآراء التى تخرجنا عن دائرة القرآن والعقل تابعين الاحسن المفيد وهذا لا يكون الا بعمل ومصادقة مجمع علمى يتركب من مشاهير علماء الاسلام في الارض ليكون كمؤتمر اسلامى عام وبذلك يستولى الحق على الباطل وما هذه الحياة الا جهاد وعمل لانتصار الحق على الباطل والدنيا ما دامت لا بد من الترقى المستمر

وتنافس الحق للباطل أمر لا بد منه وان الكمالات السالفة للامم لا تعد شيأ بالنسبة لناموس الترقى المستمر الذي يرافق الجنس البشرى وكل ذلك أمور تدعو قادة أفكار الامة الاسلامية لاتخاذ خطة عامة جديدة بها يمكنهم أن يجمعوا الامم المختلفة الاسلامية حول نقطة واحدة مع مطابقة القرآن العظيم على المصلحتين الدنيوية والاخروية — وبذلك يظهر حسن تأثير القرآن العظيم فى الامم اذا جعلنا رائدنا الحزم والتعقل والعمل بلا ملل ليعلم الناس جميعا أن تاريخ اتباع هذا النور هو التاريخ الذى لا مثيل له فى السعادة البشرية العامة فى الارض

« أصل الفلسفة الربانية »

ان أصولا يمكننا بها الجمع بين الغرض من العلوم والتجارب المتنوعة مهما كانت وبين القرآن العظيم كلام الله تعالى أو بالاحرى كشف حقائق القرآن العظيم لانطباقه على كل حقائق العالم لهى أصول حرية بالاعتبار وتكون في اعتبارها أحسن وأكمل اذا اقتبسناها من نفس القرآن العظيم أو هذا القرآن نفسه هو الذى يرشدنا الى أصولها — والحقيقة . لقد ضل من لم يتخذ القرآن العظيم أساساً لكل شيء — فنصوصه الجميلة تؤيد هذه المبادىء اللائقة له فهو (هدى للناس) على اختلاف أجناسهم ومشاربهم ومعلوماتهم وتجاربهم . ولا يخفى أن الفلسفة الربانية تنحصر فيما يوضح علاقة المخلوق بالخالق سبحانه وهذا لا يكون الا بانطباق كلام الله تعالى على كل الحقائق العالمية فهى لذلك تبنى على أساسين متينين أحدهما يتعلق بالخالق سبحانه وتعالى وثانيهما يتعلق بالمخلوق — أما ما يتعلق بالخالق سبحانه فهو وجوب كماله المطلق فى وجوده الذاتى — وأما ما يتعلق بالمخلوق فهو تمام حرية ارادته الذاتية فى هذه الحياة وعجزه — وعلى هذين الاساسين كان مفتاح الفلسفة الربانيه أو مفتاح معرفة حقائق القرآن العظيم وانطباقه على جميع الاحوال العالمية مهما كان اختلافها — وكما تقدم من وجوب اقتباس كل مبدأ حق من القرآن العظيم فان هذين الاساسين يشير اليهما القرآن العظيم نفسه ليستخرجهما كل متبصر بفكره الذاتى لبناء أصل الفلسفة الربانية عليه وذلك في قول الله تعالى (أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والارض الا بالحق وأجل مسمى) فهذا أصل الفلسفة الربانيه وهى تشير على كل مسلم أن يتفكر فى نفسه وبحرية فكره طبعاً لاستنتاج أمرين أحدهما : لم خلق الله العالم ولم كان خلق السموات والارض حقاً وليس باطلا . وثانيهما

لم يكون هذا الخلق لاجل محدود مسمى عند الله تعالى . ولو تمعنا لهذين النقطتين نجد في الحقيقة انهما أهم الاسئلة التى تهم الانسان بالذات دون غيرهما لان الانسان يمكنه أن يدير هذين السؤالين على ذاته لانه خلق كالسماء والارض بالضبط فيقول ماهو الغرض من وجودي وهل وجودى بقدرة الله تعالى أمر حق أم باطل . ثم ليقول ثانياً : هل أنا مخلوق لاجل معين ولمستقبل آخر؟ أو يقول من وجه آخر لم أموت وما هو الغرض الاساسى لهذه الحياة التى يتبعها الموت وهل توجد حياة أخرى مستقبلة ؟ — وبالطبع اذا عرف الانسان كل ذلك بنفسه وتفكره الذاتى كان على بصيرة من حقيقة وجوده العام فيتأكد من شخصه وليكون فى حياته على علم وبصيرة وأساس متين.

﴿ هل الخلق بالحق ؟ ﴾

ان اشارة الله تعالى فى القرآن العظيم الى معرفة الخلق بالحق يتعلق بالتفكر الذاتى للنفس كما قال تعالى «أولم يتفكروا فى أنفسهم ماخلق الله السموات والارض الا بالحق واجل مسمى» دلالة على أمرين : أحدهما : ان حقيقة هذا التفكر لايختلف فى الناس أن تفكروا فيه باخلاص فلم يوضح الله تعالى لهم السبب لاستنتاجه بأنفسهم لان (الحقيقة لاتتعدد) والثانى ان هذا التفكر هو من الاسباب الاولية المعرفة حقيقة وجود الانسان الذاتى الذى لولاه لمضى حياته فى تخبط عظيم كمن بنى أساسه على شفا حفرة من الماء — حتى اذا فرض وعلمهما الانسان من الغير دون أن يتفكر بذاته وعرفهما معرفة سطحية بلا ميل ذاتى لاستخراج ذلك بالنفس لافائدة له من تلك المعرفة السطحية فهو عندها كمن يكتب على الماء — فالتفكر فى النفس أمر حتمى على كل حال لان ذلك أساس السعادة الذاتية — فليفتكر معى القارىء ان شاء لان ماسأبديه الآن هو ما أنتجه تفكرى الذاتى والحقيقة فى ذاتها لاتتعدد — فأقول ان اعتراف الانسان بأن الله تعالى وحده الخالق للسموات والارض دون غيره تحتاج للتأمل فى السماء والارض تأملا صحيحاً ولا تتقيد بنقطة معلومة أو علم مخصوص. بل مطلق التأمل فى أى مخلوق ينتج هذه النتيجة البديهية — وما دامت هذه النتيجة تحصل عليها الانسان بفكره فليرتق فكره قليلا الى النظام الجميل والتركيب المتناهى فى الكمال الذى تشتمل عليه المخلوقات فان النظر الاجمالى الابتدائى فى المخلوقات هو الذى وصلنا الى وجود الخالق —

أما النظر التفصيلى فيلجئنا الى الاعتراف بنقطة ثانيـة وهى : فى أى درجة من القـدرة والعظمة والكمال هذا الخالق سبحانه كما سـبق ونزيد على ذلك انه اذا كانت العـلوم التى نستخرجها من التأمل التفصيلى فى المخلوقات تدهشنا لجمالها ودقتها وكثرتها ثم في آن واحد نعجز عن الاحاطة علما بكل ماحولنا وظاهر امام أعيننا فمن البديهى المؤكد أن يكون الخالق سبحانه الذى أوجد تلك المخلوقات أحق بالكمال المطلق الذى يعجز العقل البشرى عن تكيف حقيقته فهو تعالى الواحد القادر وهو اذا فى ذاته أعلم بذاته ويجب حتما انه لامفر لنا من الاعتراف له بالكمال المطلق . فهو اذا خلق السموات والارض لامر واحد حق وهو « كماله الذاتى المطلق » الذى يفوق العقول البشرية لانه اذا كانت الاحاطة علما بحقيقة المخلوقات التى خلقها ونراها بأعيننا ونعترف له تعـالى بأنه الواجـد لها حتما فوق العقول البشرية فمن الهبل وقلة الادب أن لانعترف له تعالى بالكمال المطلق أو أن نتجادل فى ذاته وهو الذي أمر وجوده حتما من أول البديهات الاولية التى يعترف بها شعورنا الذاتى

فاذا فرضنا انه تعالى لم يخلق شيأ ولن يخلق فى المستقبل وكان كما هو في وجوده الاسمى فان الخلق وعـدم الخلق المطلق لايؤدي به تعـالى الى نقص أو زيادة في كماله المطلق لان من الكمال المطلق حرية الارادة فى الخلق حرية مطلقة ثم مطلق الحرية أيضاً فى بدء الخلق أو كيفيته ثم بقاؤه أو فناؤه — مع اننا نعترف بالبداهة ان الخلق من أول كمالات الالوهية وهو ما كان وهو المنزه تعالى أن يوجد فى نتيجة ما أراد خلقه حسب مشيئته التى لم يسـبقها مشيئة أخرى وجه لاعتراض معـترض مجادل للافضلية الظاهرة من الوجود عن العـدم للمخلوقات لمكافحتها فى البقاء وطلب الحياة بلا استثناء فالخلق أمر حق بسبب واحد فقط وهو ارادة الله المطلقة فى وجوده بلا شرط غير كمال الله المطلق الذى نعجز عن طرق بابه عجزاً كلياً — فاذا كان كمال الله المطلق من أول اختصاصات الذات الالهيـة فان العجز المطلق بازائها هو من أول اختصاصات العقول الانسانية ـ والامر الوحيد الذى نعترف به من النتيجة التى نستخرجها من تجاربنا وتأملاتنا الذاتية الـكثيرة هو لزوم الا كبار والتعظيم والاجلال باخلاص واحترام لهذا الخالق (سبحانه)

وهـذا فى الحقيقة هو الامر الوحيـد اللائق لنـا بازاء وجود الخالق سـبحانه والحد

الوحيد الفاصل بين الطرفين . ولرب قائل يقول ان وجود الخلق على ماهو عليه قد استدعاه اذا كمال الله المطلق لعلة تليق لكمال الله تعالى فى ذاته وان نتائج أبحاثنا العلمية والعقلية فى ذاتنا عن هذه العلة هو لزوم الاكبار والاجلال لله تعالى لاغير . ألم يك من الجائز أيضاً أن يكون الخلق ملازما لازليته تعالى لانه من كمالاته الخلق بل ويجب أن يكون الخلق ملازما له تعالى بلا انقطاع ؟ . . . — فنقول لايخفى ان الكمال المطلق هو ان يكون المتصف به فريداً في كل ماينسب اليه — والله تعالى ليس بالشيء أوالمادة الخاضعة لنواميس قهريه لان ذلك ينافى الالوهية والكمال المطلق — فتخيل وجود الخلق ملازما لازليته تعالى مما يكون منه مشاركة الخلق للخالق فى هذه الصفة الكمالية وهو ينافى كمال الله المطلق فى الانفراد بكل شيء وأن اس الكمالات الالهية الاسبقية فى الوجود — على ان من كماله المطلق أيضاً الارادة المطلقة . فبداء الخلق يجب أن يكون تحت مشيئة عندما يريد ذلك كما أراد وبما يشاء أيضاً فلاسلطان على ارادته — وهذا لايكون الا اذا كان الخلق حادثا في وقت ما أراد وجوده فيه بنفسه وبداء انشائه هو بارادته المطلقة بما يقتضيه كماله المطلق من كل وجوهه بلا علة نلتمسها نحن اليه فهو تعالى فى ذاته العلية أعلم بما فى ذاته الجليلة — فاذا فرض ملازمة المخلوق للخالق فى الازلية أنمحى تمييز الخالق من المخلوق لان الخالق بادىء بايجاد المخلوق والمخلوق مبدوء به فالاسبقية أمر حتمى للخالق سبحانه تدل عليه البداهة من الوجود وبذلك يكون هو السابق لكل شى وهو وحده المتصف بالازلية وما يتصل بها من الكمال ـ والمخلوقات حتما حادثة فى وقت ما أراد الله تعالى فيه بمطلق ارادته فى ايجادها فكانت بقدرته وبعلمه كما شاء وأراد ولن تزال أمام البصائر خاضعة لسلطانه القاهر — وعلى ذلك فخلق الله تعالى حق لاباطل لان الله تعالى فى وجوده وألوهيته المطلقة من حيث تمام القدرة على عمل كل شئ حق وعدل كما قال تعالى أيضا فى الآية (ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) وهذا اشارة على تمام القدرة على كل شئ وعدم ذهاب الخلقة لا يكون الا بالحق وعلى ذلك فكل مايصدر عن ارادته حق ووجود الكون ونظامه مبنى على هذا الاساس المتين الذى لايمكننا التنحى عنه شعرة — ومن جهة أخرى اذا فرضنا ان الخلق باطل كان واجب العدم

الكلى بعد هذا الوجود الجميل الذى نراه ونلمسه بأيدينا فان ذلك ينافيه نفياً باتا قاطعاً أمر عام بديهى للكل وهو مجاهرة المخلوق للبقاء ومكافحة الموت الذى يشبه العدم وانشغال قواه الطبيعية الكلية لمقاومة هذه النقطة الوحيدة وهو الفناء بكل الوسائل وعلاوة على ذلك فان العلوم والتأملات العقلية تثبت استحالة أيلولة النفس والمادة الى العدم بعد الموت — ومن النادر جداً بين المخلوقات على اختلاف أنواعها من جماد ونبات وحيوان من يختار الموت الا من يكون اختيار الموت عنده لعلة يقصد بها السعادة الذاتية على نوع ماحسب حالته الوجودية وهذا الامر البديهى وحده يثبت مقدار كون ايجاد الله تعالى للخلق حق من كل وجه حسب الاسلحة التى تتدرع بها طلباً للحياة وما أكثرها فاذا كانت المخلوقات فى ذات وجودها البديهى حق لحرصها على البقاء والنمو فبالاولى علة بدء ايجاد الله تعالى لها أو خلقها أحق من هذا الوجود الذاتى الذى نعلم حقيقة لزومه من مقدار تلك المكافحة الشديدة التى تلازم كل حى فى الارض والسماء لاستنشاق التمتع بحياة البقاء وان النواميس الطبيعية أيضاً تثبت هذه المكافحة الذاتية فى كل موجود بكيفيات متنوعة لذلك كان خلق الله للعالم حق مطلق لاتعليل فيه غير اجلال الخالق سبحانه الذى أوجده

﴿ الخلق لاجل مسمى — ولماذا ؟ ﴾

تأيد مما سبق للبصير ان كمال الخالق (سبحانه) أمر لازب يستلزمه وجود هذا العالم ونظامه الهائل المدهش — كما ان المشاهد للحس ان الخالق واحد لاثانى له يدل عليه انتظام العالم بأحكام لاتنازع فيه ولا مشاركة . اذاً فالله تعالى هو الاله الواحد الحق فى وجوده ومشيئته ونظامه لان الانسان يعجز أن يوجد شريكا له تعالى ويثبت له خلقاً أو عملا لم يوجده الله الخالق الحق من قبل وغاية مايعمله الانسان ويستجد تحت نظره من الامور المستحدثة والاختراعات هو تنوع استخدام ماخلق الله تعالى وتقلبه بحسب المهارة والمواهب المخلوقة من قبل فى نفس الانسان من قبل الخالق (سبحانه) — وعلى ذلك فالله تعالى متسلط فوق الخلق عموما بلا استثناء بالالوهية المطلقة الحقة — وبالتناظر بين الخالق سبحانه والمخلوقات يجب أن تكون المخلوقات اذاً من جهة أخرى بلا استثناء فى وضع العبودية الحقة أيضاً للخالق سبحانه ولكن مخلوقا كالانسان عالى التميز واسع التأمل يمكنه أن يثبت

تعليل هذا التناظر بفكره والرابطة التي يجب أن تكون بين العبد والمعبود سبحانه

(وكيف ذلك ؟)

اذا تقرر ان ألوهية الخالق سبحانه واحدة لاثانى لها وبازائها الخلق فى وضع العبودية فمن أول مفارقات الالوهية والعبودية أن يكون الاله تعالى تام القدرة في كل شيء بالنسبة للمختص بصفة العبودية — فاذا ضربنا مثلا لتقريب الفهم واظهار صفة هذا الفرق وشبهنا بلا تمثيل تقلب الانسان لاى جماد بسيط يقدر على تقلبه كيفما شاء كالقلم الذى يكتب به مثلا بقدرة الخالق سبحانه فى المخلوقات وتقلبه لها وامكانه التصرف بها كيفما شاء — فان كمال الله تعالى المطلق يتعالى أن تكون المخلوقات التى أوجدها بمطلق ارادته ومشيئته من حيث لم تكن أن تكون علاقتها به (تعالى) كعلاقة القلم بالانسان من حيث القدرة عليه اذ لا ارتباط بين القلم والانسان غير التسخير والمساعدة للنفس فى الكتابة أو عدم الفائدة الكلية ليكون القلم واجب العدم ولا يكون قلما ان كان وجوده مع الانسان لاجل لاشيء للطرفين — مما يخرج الانسان عن حالة الكمال المطلق لو أردنا أن ننسب له ذلك فرضا كما هو مختص ولازم للخلق (سبحانه)

واذاً يجب أن تكون نسبة المخلوقات لله تعالى في وضع نسبي أفضل من نسبة قدرة الانسان على القلم نسبة تليق لمن له الكمال المطلق الذى لا يمكن للعقل البشرى أن يتخيل النقص فيه فاذا قلبنا الطرف فى كل شيء وفرضنا فروضاً لاحد لها كالفرض السالف لم نجد نسبة تليق لمن له الكمال المطلق كهذه النسبة التى لا تليق مهما كان التنوع بل نجد كما ان الله تعالى واحد فى وجوده وكماله يجب أن تكون نسبة الخلق له تعالى نسبة خاصة أيضاً لامثيل لها فاذا ترقينا درجات بالفكر وقلنا بفرض آخر نتوهم انه أفضل من الكل كنسبة الانسان للخالق (سبحانه) وكان فرضنا مبنيا على ان الانسان الذى هو أحسن المخلوقات والمنظور له عقل ولسان وحياء وان الله تعالى يحرك بقدرته لسانه وقلبه لذاته العلية بالاعتراف له بالالوهية ولنفس الانسان بالاعتراف عن ذاته وغيره بمطلق العبودية — فان قدرة الله تعالى فى مثل هذا التحريك الجبرى لمطلق التسلط والقدرة لا يثبت كمال الخلقة الانسانية

المشاهد وفى ان واحد لا يثبت حقيقية العبودية المذكورة وكمال ألوهية الله تعالى المطلقة لان المضطر والقاهر لمطلق القدرة لا يظهران حقيقة خالصة حره لا تقبل التعليل واذا فهذا الغرض باطل أيضاً علاوة على ان المشاهد للحس بخلافه

وبما ان كمال الله تعالى وألوهيته المطلقة حق خالص لا تعليل فيهما كما هو الواجب اللائق فيجب أن تكون النسبة بين الخالق سبحانه والمخلوقات (الحرية المطلقة) للمخلوق ليعترف للخالق سبحانه بالالوهية المطلقة ولنفسه بالعبودية بما يراه ويتأمله بحرية وباخلاص فى نفسه والمخلوقات فان ذلك الانسب والاليق للطرفين

واذا لا بد من وجود حكم مستقل فى النفس يبين لها حقاً كيف هى ليست مضطرة فى الاعتراف المذكور وانه بمكنها عمله أو عمل ضده فى آن واحد وفى أى وقت تشاء أو كيف هى على حق أو باطل اذا اعترفت أو لم تعترف وهذا الحكم يجب أن يلازم النفس ولا يفارقها مطلقاً وان يكون من دأبه اظهار حقيقة كل شيء تطرق النفس بابه وان لا يخطأ كلية في شيء — بل يسير ويتأمل بنظام موافق لفطرة العالم الخلقيه والحقيقة الكلية بالنسبة لذاته وللخالق سبحانه تأملا بظهر الحقيقة من كل وجوهها

(وما هو هذا الحكم الحق)

« وهل هو موجود فى النفس ؟ ومن أوجده ؟ »

أما هذا الحكم فهو (العقل) وهو مما أوضحناه سالفا بصفته حكما بين الخالق والمخلوق يعتبر كانه شيء آخر خلاف الانسان وطيفته الوحيدة أن يكون كمرآة حق للانسان يظهر لها كل حقيقة كلية لا شبهة فيها

ومن جهة أخرى اذا تأكدنا ان الخالق لكل شيء هو الله تعالى فالعقل هذا اذا مخلوق آخر خلاف الانسان وضعه الخالق سبحانه فى الانسان ليقوم بهذه الوظيفة العالية ومتى تأملنا فى نفس العقل وأحكام تحقيقاته فى النفس والعالم تندهش أكثر بل نلتزم بوجوب كمال الخالق المانح لمثل هذه العطيه العجيبة ونعلم ان هذا العقل لم يوضع الا (كأمانة) من الله تعالى مع النفس كما سماه الله تعالى فى القرآن العظيم باسم (الامانه) ليظهر لها كيف هى على حالة الكمال الخلق أولا ثم وجوب كمال الخالق المطلق ثانياً ثم التثبت والتأكد

ثالثاً من أول شيء منحه من الخالق للمخلوق حق مطلق الا وهو : حرية المخلوق الذاتية والتي بسببها استوجب أن يمنح هذا العقل العظيم

وما دامت هذه الحرية لعلة وحيدة هي الاعتراف الحق للخالق سبحانه بالالوهية الحقه والعبودية لنفس المخلوق فليس بعيداً أن يتواجد في الناس والخلق من يعترف بالالوهية للخالق سبحانه ويتواجد منهم من لا يعترف بها كما هو شرط الحرية أو يتواجد من يعترف بالالوهية ثم يسحب هذا الاعتراف ثانياً ويجحد أو يتواجد من لا يعترف بها أولا ثم يثبتها أخيراً كما هو المشاهد في الناس بمثل هذا التنوع الكثير والذي به تنوعت الديانات والاعتقادات وتغير الاديان

ولكن الله تعالى من جهة أخرى جعل في الجميع نفسا واحدة وعقلا واحداً يناسب وضع كل خلقه وطريق الاعتراف للجميع واحد غير ان الخلق من أنفسهم قد اختلفوا وادعوا بسبب حريتهم المذكورة

اذا تقرر هذا وكانت أنفس بني الانسان واحدة (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) والعقل الممنوح للجميع واحد (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا) ويتواجد من يعترف بالالوهية للخالق سبحانه ويتواجد في الناس من لا يعترف بها فيجب الفصل اذاً بين الطرفين وايضاح الاسباب التي دعت لهذا التفريق والتضاد في أمر جوهري هو كل الحق الواجب للجميع باعتراف العقل وهل هي أسباب حقه لكليهما أو اختارها البعض لنفسه هزؤاً وسخرية ممن لا يعترفون بالحقيقة

ولذا جعل الله تعالى هذه الحياة وحدها لهذا الاعتراف وحده وجعل حياة أخرى (الآخره) ليظهر للناس ما اختلفوا فيه في هذا الغرض الوحيد وليحاسبهم بحق كيف استعملوا عقولهم ومواهب خلقتهم فيما خلقهم لاجله — ولرب سائل يقول : لم يكون التفريق والتأبد في نفس هذه الحياة نفسها وان لا لزوم للخلق الجديد والموت والتغير المقبل؟ فنقول : بداهة ان الله تعالى هو الذي خلق الخلق في باديء الامر بلا واسطة أحد وهو الذي يحفظه بقدرته الآن ويحفظ نظامه فليس من الصعب عليه تعالى أن يعيده بعد فنائه فان ذلك بالبداهة يضاً أسهل من وجوده أولا حيث لم يكن مع عدم عناء الله تعالى في شيء عند الخلق الاول

وبخلاف ماتقدم فمن العدل أن يكون وسط الاختبار للحصول على هذا الاعتراف أوعدمه من الخلق واحد وان تعلن فيه النتجة التى سيؤول اليها كلا من الطرفين فى الحياة الاخرى بصفة انذار اوتبشير (حتى لايكون للناس على الله حجة بعد الرسل) كما هى وظيفة الرسل والانبياء الكرام عليهم السلام فى هذه الحياة وليختار كل انسان ماشاء ويعمل ماشاء ليوضع في الحياة المقبلة في المركز الذى اختار لنفسه السير عليه فى هذه الحياة (ومن كان فى هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) وذلك أولى وأحسن لحسن نظام الخالق ومطلق القدرة وليكون الموت وحده اعلانا للمخلوق بمطلق عجزه الذاتى الدال على مطلق عبوديته ان جحد اثناء حريته فى حياته الوهية الخالق الحقه

فاذا فرض وجعل نظام التفريق فى نفس هذه الحياة فبالطبع سيأتى وقت تنتهى المخلوقات جميعا بدورها في الاعتراف وعدمه فالاولى والاحق ان يكون كل وسط قائم بذاته على نفس هذا الترتيب الحالى الذى نراه باعيننا من قيام الامم وفنائها ادوارا متعاقبه وليكون هذا التعاقب أشفق على الانفس من اتخاذها أحسن الطرق التى توصلها للحقيقة بعد ان تدرس نتائج من فات عليها من الامم فهو نظام اليق لمن له الكمال ومطلق الرحمة (وهو أرحم الرحمين)

ولذلك اذا قيل ماسبب الموت والفناء فالجواب لسحب حرية الاراده من المخلوق وليوضع كل في الحياة المقبله في المركز الذى اختار بحريته السير عليه في هذه الحياة

وبالتأمل نجد أن الانسان ليس هو المخلوق الوحيد فى العالم بل نجد هذه السموات التى نعجز عن تحديدها والارض الواسعة وما عليها فيجب ان تكون كل المخلوقات فى السماء والارض بلا استثناء على مثل هذا النظام ونفس الغرض — وهو أمر حق يوضحه القرآن العظيم أحسن ايضاح سنكشفه للمطالع في القريب العاجل حتى بذلك قال جل شأنه : أولم يتفكروا فى أنفسهم ماخلق الله السموات والارض الا بالحق وأجل مسمى — فالخلق بالحق لكمال الله (تعالى) المطلق وألوهيته الحقه — والخلق (الشامل للسموات والارض وما بينهما) لاجل مسمى بسبب منحه من الخالق سبحانه الحرية المطلقة وما يلزم لها زمنا ما في هذه الحياة لغرض حق واحد هو الاعتراف بها عن نفسه بالعبودية وللخالق (سبحانه)

بوحدة الالوهية (لااله الا الله) وان الله تعالى قرر على نفسه عدم مساس هذه الحرية المذكورة فى هذا الزمن المحدد لهذا الاعتراف الحق بمطلقة الحرية المذكورة حتى قال تعالى اثباتا لهذا فى مواضع متعددة فى القرآن العظيم : «ولولا كلمة سبقت من ربك» أى لاتسحب ولا تتغير لانها حق وهى : عدم مساس حرية من يعترف بألوهيته تعالى أو يجحدها أو يكذبها فى هذه الحياة لانها وقت تجربة فقط محدود بل لابد من ترك كل يفعل مايشاء وسيوضح الحق من الباطل ويتميز في حياة أخرى غير هذه تقدر خلقها بعد فناء هذا العالم «لقضى بينهم» أي في هذه الحياة ولكن لامقاضاة «فيما كانوا فيه يختلفون» من الاعتقادات والاعمال المختلفة وبذلك كان الخلق لاجل مسمى حتما ليفنى ويتكون بدله عالما جديداً للفصل فى هذا الغرض الاساسى لوجود العالم

(بعض صفات الروح)

قلنا بسبب حرية الارادة فى الانسان منح الله العقل للانسان ولما كان هذا العقل من الامور الهامه التى بحث فيها كثير من أفاضل بنى الانسان ولم يزالوا في اختلاف بالنسبة لحقيقته وكنهية اتصاله وعلاقته بالنفس الانسانيه رأينا أن نخط بعضا من ملحوظاتنا الخاصة أولا عن الروح لانها مرتبطة بالعقل وهى بذاتها أيضا من الامور الاكثر ابهاما عن علم الانسان وتلك الملحوظات هى من تأملاتنا الخاصة فى النفس ومن اشاراة القرآن العظيم ثم نوضح هذا العقل ومركزه بعد ذلك بقدر ما يصل اليه تأملنا فى المخلوقات والتجارب العلمية الصحيحة

ولقد أغمض كثير من علماء الاسلام عن الاشارة اليها مع انها كل الصيد فى جوف الفراء وجعلوا قول الله تعالى : «ويسئلونك عن الروح . قل الروح من أمر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا» من ضمن الاسباب التى ارتكنوا عليها فى تثبيط الهمم فى عدم التفكر يوما فى ذلك الجوهر الحى الخفى.

على أن قول الله تعالى ذلك لم يك لهذا التثبيط من الهمم. بل لان الله تعالى اذا ذكرها بالتفصيل الخاص فتح أبواب العلاقات المختلفة بها أيضاً مما لاحد لنهايته بسبب ارتباط المخلوقات ببعضها — فترك التعبير عنها لكثرة العلم . فكلما كثر علم الانسان بخلق الله

تعالى كان أقرب الى ادراك حقيقة الروح . وان قول الله تعالى (مافرطنا في الكتاب من شيء) اشارة الى ان كل علم الله تعالى فى الخلق محصور فى الكتاب فكثرة العلم الانسانى اذا متوقف على الاجتهاد الذاتى للانسان ليقتبس من كلام الله تعالى وبما يعلمه من المخلوقات مايوصله الى العلم بأى شيء يريده

على ان قول الله تعالى (وكل شيء فصلناه تفصيلا) من الامور التى تضرب على أيدى أولئك اليائسين فى معرفة الروح ليتأملوا جيداً فى كتاب الله تعالى وسنة الخلق والعلوم المتنوعة ليعرفوا تفصيل الروح فان حقيقة العلم بها تفصيلا موجود فى القرآن العظيم غير ان ذلك متوقف على الاجتهاد الذاتى لمن يريد البحث فى هذا الموضوع بصفة خصوصية . وأن قول الله تعالى انها من أمر الله تعالى واعقابه ذلك بقوله تعالى «وما أوتيتم من العلم الا قليلا» ليك لقصد عدم ايضاحها أو الضرب عن ذكرها — كلا — بل لان العلم بحقيقتها يحتاج لطرق علوم كثيرة يعجز الانسان عن حصرها وان قول الله تعالى انها من أمر الله تعالى اشارة لاجمال هذه العلوم بأقرب لفظ يوصل الانسان الى الحقيقة الاساسية . وهذا لايمنع تفصيل هذه العلوم تفصيلا كلياً وجزئياً في القرآن العظيم يتوصل لها الانسان اذاً باجتهاده الذاتى فما عليه الا طرق أبوابه وقد جعل الله تعالى للانسان دليلا صادقاً لكل أمر يريد معرفة حقائقه كلياً وجزئياً من قوله تعالى (وكل شيء فصلناه تفصيلا) ليتأكد أن تفصيل العلم بحقيقة الروح مفصلا فى القرآن العظيم تفصيلا واضحا وانها لم تخرج عن حصر الله تعالى لهذا التفصيل الذى عم كل شيء فى الارض والسماء مهما كان . وقد ذكرنا آراءنا الآتية عن الروح بقدر ماوصل اليه اجتهادنا وعلمنا من التأمل في النفس والعالم والكتاب ولاتكلف نفس الا وسعها .

فالظاهر بالبداهة ان الانسان يتركب من شيئين متضادين أحدهما الحياه وهى الروح والثانى جماد وهو المادة وكل له صفات خاصة تقوم به

فاذا اقتبسنا من كلام الله تعالى بعضاً من صفات الروح وطبقناه على مانراه من تأملاتنا الخاصة العقلية نجده من الحقيقة بمكان عظيم حيث قال الله تعالى عن النفس أو الروح الانسانية: « ونفس وما سواها فألهمها فجورها» وتقواها فمنه نقول ان طبيعة الروح الفطريه هى التمييز

العزيزى بما يضرها وينفعها أو الفصل بين الطيب والخبيث لذاتها بواسطة ثلاثة أمور الاول القوة المميزة لها وهى العقل والثانى الحواس والثالث الالهام فاذا لامستها نار عرفت منها الضرر فى الحال وهذا التميز لم يوضحه لها العقل بل ذات جوهرها الغريزي يميز بأن هذا الملامس من النار مضر لها وان أكثر أعمال الحياة يجد الانسان من نفسه الهامات غريزية توضح له الحق من الباطل قبل وقوعه وان كان العقل لا يكشف أسبابه العلمية

فمثلا كثير من الناس يعافون الطعام اذا وقع الذباب فيه وتشمئز منه نفوسهم وان سألتهم عن السبب أجابوك بأن هذه غريزيه النفس فيهم ولا يعلمون لها سبباً عقلياً فهذا الشعور الطبيعى كله حقيقة لان العلوم الطبية أثبتت سوء تأثير العدوى بكل الامراض المهلكة من هذا الذباب الذى يعتبر عدواً لدوداً لذلك كان الهام النفس من الامور الحقه التى لا يجب الاستخفاف بها وبعض من الناس يسير فى طريق مقطوع مثلا مع آخر فيشعر ويلهم من نفسه وقوع الاذى من الغير فان لم يتبصر فى الهامه هذا الذي وجده فى نفسه من غير مناسبة عقليه أو علميه واستخف به فليس بعيداً أن يقع فى هذا الاذى ثم يحكى لغيره بأن هذا الضرر الذى أصابه كان يلهم ويشعر به قبل وقوعه غير انه استخف به فوقع فيه وهذه أمور لا تنكر من كل نفس وشواهدها متعددة ممكن لكل نفس أن تضرب لذاتها من تجاربها الامثال فالروح فى ذات جوهرها الخلقى وطبيعته أشبه بالفرازة التى تفرز الطيب من الخبيث من غير أن تعرف هى أسباب هذا التميز خلاف كون جوهرها خلق فيه هذه الخاصية من الحواس التى تعتبر لها غريزيه بقطع النظر عن العقل المتصل بها والالهام

ولما كان كل مخلوق له واسطة يتصل بها بغيره بقصد الحياة أو المكافحة الحيوانية فالروح بها جزء مميز معلوم يقوم بهذه الخدمه لباقى أجزاء الروح التى تعتبر فى ذاتها جوهر واحد أبدى فى الحياة لا يتجزأ وهو الجزء العلوى منها فهو من أفضل أجزائها نظراً لوظيفته لانه الواسطة فى حياتها ومقاصدها المختلفة ومركزه فى الانسان مؤخر الرأس فوق العنق وهو مايسمى فى الطب بالنخاع المستطيل أو هو المسمى شجرة الحياة أيضاً لنفس هذا الغرض والاهمية أو هو مركز العقل لانه أيضاً مركز شعورها والهامها بل واحساسها العام بينها وبين غيرها وان كان المركز العام للحياة هو القلب ولايضاح أهمية هذا الجزء

من الروح الانسانية نجد أن . — . من تأمل لجميع المخلوقات علم بسنة التشابه وهو ان المخلوق بكليته لا يتعرض للمكافحة والصدام فى الحياة بل جعل الله فى كل نفس واسطة فعالة لتكون بها الصلة بين مركز المخلوق العام وعمل ما يقوم بحفظ الحياة فيه والعرض منها حتى ينتهى دور وجوده . — . فاذا تأملنا للشجر مثلا وجدنا ان الجزور هى الواسطة فى حياة الشجرة كلها بحيث اذا أعدمنا جزءً من الجذور لا تنعدم الشجرة بأكملها ويمكنها أن تخرج غيرهم من أصلها الثابت وهو الجزع . وفى آن واحد لا يمكننا أن ننكر ان الجذور هى السبب في حياة الشجرة واذا تخيلنا اعدام الجذور كلها وأوقفنا وظائفها فاننا بذلك فى الحقيقة نعدم الشجرة بأكملها فكان حياة الشجرة متوقف على جذورها كما ان الجذور لا توجد ولا تتولد الا حيث يوجد الجزع . وبذلك كانت أهمية ارتباط الجذور بالجزع ارتباطا متلازما لا ينفك مطلقا . واننا لا يمكننا التنازل أيضا عن الاعتراف بان الجزع هو الاصل العام لحياة الشجرة بحيث يكون كل ماهو دونه جزء منه واهمية الجزء تقل أو تكثر تبعا لوظيفته التى تقوم بحياة الجزع نفسه الذى هو فيه كل حياة الشجرة . وهذا الحال تنطبق تماما على الجيوش وتحركاتها المختلفة ووظيفة الكشافين ومركزها العام وامداداتها وغير ذلك ومثل ذلك روح الانسان أيضا فان مركز الروح العام هو القلب كالجزع وكلها مرتبطة ببعضها من مركزه وان شكل الروح العام هو الشكل الذى نراه فى جسمنا المادي لان الجسم ليس الا من عمل الروح الفعال الدائم وهو ليس الا كلباس للروح وهو يشكلها بالضبط فى كل اجزائه .

والروح ليست فى جزء مخصوص بل هى عامة فى جوهرها أشبه بالجسم الانسانى تماما فى تركيبه فاذا قطعنا يد الانسان مثلا والقيناها على الارض فان جزء الروح الذى على شكل هذه اليد لا يقطع . بل تنكمش فى ذاتها وما يقطع هو المادة وحدها فقط دون غيرها بحيث اذا امكننا لحمها فى الحال بعد القطع وامكننا ارجاعها لوضعها الاصلى لا يلبث جزء الروح الذى انكمش انه يؤول اليها بالضبط لانه لا يمتد الا في وسط يليق له حسب الفطرة التى خلقه الله عليها . واليد المقطوعة مكونة بالروح حسب فطرتها وشكلها فاذا فرضنا ولحمنا الزراع في يد من الخشب مثلا لا تمتد اليه الروح مطلقا لانه لا يوافق فطرتها أيضا . —

كما ان جذور الشجرة لاتغوص فى الحديد لانه صلب لايوافق الفطرة التى فى قوة روح الشجرة وهكذا . — . فكما ان مركز روح الانسان العام هو القلب وهى اشبه بجزع الشجرة من حيث كونه مركز حياتها العمومى الاصلى فان الجزء العلوى فى الراس وهو النخاع المستطيل الذى هو مركز المجموع العصبي ومركز الادراك والفهم والعلم وغير ذلك لم يك لعموم الروح الا كالجزور من الشجرة فبالجذر تحيا الشجرة .وبالنخاع المستطيل تحيا الروح . والجذور تعتبر أساسا لحياة الشجرة وان كانت الجذور في الحقيقة جزء منها كما ان النخاع جزء من الروح العام مع انه هو اساس حياتها الكلية أيضا

ومن تفرس جيدا فى الانسان والنبات على هذا التناسب الذى ذكرناه وجد ان الانسان هو عكس النبات فى الخلقه تماماً . فالنباث ثابت فى الارض والانسان بالعكس يحيا فوق الارض متحركا كيفما شاء والنبات يمتص الاغذية وما به حياته من أسفله بواسطة الجذور والانسان بالعكس يبحث بجذور روحه وهو النخاع المستطيل الذى فيه مركز العقل عما يسد مطالبه فى الحياة لتدوم به حياته ثم النبات يخرج ثمره من جزئه العلوى جدا والانسان بالعكس تخرج ذريته من جزئه السفلى جدا ولا عبرة بالافخاذ فانها للجسم كالاغصان والافاسفل الانسان هو آخر السلسلة الفقريه وهكذا فسبحان الخلاق القادر العظيم فعلى ماتقدم يكون الجزء العلوى من الروح وهو النخاع المستطيل المذكور وعلاقته فى الخارج ومع القلب كعلاقة الجذور من الشجرة الى الساق فالاثنان مرتبطان ببعضهما ارتباطا لايمكن انفصامه مطلقا والروح فى ذات جوهرها لاتنقسم لان كل انسان يشعر بالابدية الروحية وان تأكد من حصول الموت وانما اذا قطعنا بعضا من اجزاء الجسم لاتؤثر على نظام الروح الحيوى كالاذرع والافخاذ فلا تتجزء تبعا لذلك الروح بل تنكمش فى ذاتها والاذرع والافخاذ المقطوعة بؤلان الى التحليل والفناء لعدم وجود روح فيهما واذاً فمن خواص الروح اذا لم تجد وسطا يلائمها ان تنكمش فى ذاتها حتى تصير كنقطة صغيرة جدا مع دوام الحياة فيها والقدرة على العمل وهى تنبسط فى الوسط الملائم لها وتنفرد بقوة الحياة الغريزية فيها وتعمل فى المادة التى تلائمها لتكتسب شكلها الاصلى فالرجل الحى اذا تعرض للموت بسبب عدم ملائمة الوسط الذى فيه فان اجزاء روحه تجتمع فى نقطه واحدة

فى اعلا جزء من النخاع المستطيل ثم ترتفع الى السماء بطائرها الى حيث يريد الله تعالى كما سنوضحه كما ان الروح عند مايرسلها الله تعالى من السماء في روح يريد اخراجها منها بصفة التناسل فانها تجتمع كنقطة واحدة تنزل بالجماع فى الوسط الملائم لها فتتمدد فيه وتشكله بشكلها لتأخذ شكلها الاصلى الذى خلقه الله عليها وذلك مدة الحمل وبعد الولادة تستمر على الحياة لتبتدأ بعدها مباشرة لان تعمل باستقلال بامانة الله التى معها لتتم الغرض العام من الخلقة فالحياة نفسها قائمة فى جوهر الروح والوسط الملائم لحياتها من المواد المختلفة لم يك تنوع شكله الامن عمل الروح نفسها وان وظيفة الحس المختلفة ليست قائمة فى المادة من حيث اختلافها واشكالها بل قائمة فى نفس الروح وان اختلاف العضلات واجزاء الجسم المختلفة كالعصب وغير ذلك ليس الا رمزا للصفات المختلفة القائمة فى ذات جوهر الروح وان تلك المواد هى من عمل الروح الحيوى الملازم لجوهرها وهى لاتقف ولا تضعف أبدا وان تعطلت ببعض العوارض وكل صفاتها مرتبطة ببعضها ارتباطاً لاينفك الى الابد

فاذا فقد الجزء المادى من الجسم لايفقد جزء الروح المذكور بفقده فهو لها كبيت اوكلباس أو أشبه تقريبا بالسكين فى اليد التى تقطع فان اعدام السكين لايعدم قوة اليد وفقط يعطل عملها عن القطع واذا عادت السكين لليد لاتتأخر عن تأدية وظيفتها الماضية فالمادة لاتأثير لها الامن حيث الصفة التكميلية فقط لتأدية العمل بحيث اذا نزع فقدت الروح ادوات عملها الملازم لجوهرها ولكن لاتفقد خاصيتها فى تكوين غيره وترجع الى ماكانت عليه لو اعيد اذا امكن لاصل وضعه . — . ولكن ليس العكس اي اذا نزعت الروح من الجسم لاوجود لاحساس ولالتعقل ولالحركة مطلقا مع وجود نفس المادة بتمامها فى الجسم بلا نقصان شيء منها . لان صفة تكوينها واحساسها وعملها المختلف كان قائما بذات جوهر الروح الفعال الدائم المنتشر فى كل الجسم بشكله وليس فى تلك الاعضاء المادية التى لاتمكث طويلاً جامدة بعد نزوع الروح حتى تؤول الى رماد كاصلها وحينئذ فقوة الروح نفسها ليست فى مادة النخاع ولا فى غيره من المواد بل فى جوهرها الذاتى الذى خلقه الله عليها المرموز للدلالة على صفاته بتنوع تلك الصفات الجسمانية المختلفة مع وظائفها المتنوعة مدة الحياة فما الجسم للروح الا كلباس ليظهر صفاتها واشكالها واعمالها

المختلفة ولتتمم به الغرض الاصلى من وجودها بل ولتتمم به وظائفها القائمة فى ذاتها وملازمة لجوهرها ووجودها الابدي الدائم .

ويمكننا الاستدلال على ان جوهر الروح لايتغير قول الله تعالى : واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم (أى وهم أرواح مجردون قبل ان يتشكلوا مع المادة فى فى الارحام) وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا (ان تقولوا) أى بعد ان تتشكلوا فى الارحام وتولدون وتمنحون العقل والحرية فى الدنيا لمثل هذا الاعتراف فتنكرونه وتجحدونه بسبب حريتكم وتقولوا عند الحساب (يوم القيامة ان كنا عن هذا غافلين) أى في الحياة الدنيا — وان تذكير الروح وسؤالها فى الحياة المقبلة عما فات عليها وهى فى حالة التجريد من الجسمانية قبل الولادة وبما مر عليها فى هذه الحياة أيضا كما فى الآية السالفه يثبت أولا — عدم تغير جوهر الروح وخاصته الطبعية التى خلقه الله عليها ثانيا تثبت انه من ضمن صفات الروح ان ينطبع فى جوهرها كل مايرد عليها من المؤثرات مهما كانت حتى بذلك ترى وتعلم فى الحياة المقبلة مامر عليها فى حالتها الفطرية الاولى وحالتها التكميلية فى هذه الحياة الدنيا ايضا مهما تنوعت تلك المؤثرات فكما ان الروح من صفاتها الملازمة لجوهرها ابدية لاتتغير مطلقا فان من صفات جوهرها حفظ كل مايمسه حفظا أبديا لايزول منه مطلقا ايضا فهى كمخزن لاحد له كما انها حياة لاحد لها وان أثر اللذه والعلم والالم فى جوهرها أشبه تقريبا بتأثير التيار الكهربائى فى اسطوانة الجمع من الفونوجراف تماما بل هى أشد بكثير من غير نسبة تقريبا للطافة جوهرها ووجه الشبه هو لتقريب الفهم فقط والا فكل مايمسها يطبع فى جوهرها ولا يزول مطلقا وهذا من الغرابه فى صفة جوهرها فاذا تحركت يد الانسان بشىء فان تلك الحركة تتأبد فى الروح ويصير لها أثرا فى عمومها وفى مركز الروح العام وهو القلب ولاتزول منه مطلقا . ولكن أول أثر فى الروح يكون فى الرأس فى جزء الروح العلوى المشابه لجذر الشجرة بالنسبة لتعرضه أولا لاقل شىء يتعلق بحياة الشجرة وهو النخاع المستطيل السالف

فاذا شرب انسان شربه ماء فان أثر هذا النعيم يؤثر أولا فى الجزء العلوى المذكور ثم فى مجموع الروح الدال عليه القلب — وبمثل ذلك شهوة الجماع فهى بالصفة المذكورة .

فقلب الانسان لايتأبد فيه شيء الا فى هذا الجزء وشعوره بالنسبة للقلب يكاد ان يكون تأثير جوهره مع القلب كانهما فى نقطة واحدة . فاذ تأثر قدم الانسان بشيء فالى هذه النقطة العليا يصل . واذا تعلم الانسان علماً ففى هذه النقطة ينطبع ولو ان ذات الاثر فى القلب واذا سمع أونظر الانسان شيئاً فاليه يجتمع وهكذا وكفانا تشبيها لان نقول أنه للروح كالجذور للشجرة فلا شيء يؤول للشجرة الا من تلك الجذور المذكورة وهذامن الغرابة على قدرة الخالق فى خلق الروح بمكان عظيم

واذا أردنا ان نشبه وظيفه القلب مع النخاع المستطيل الذى هو رأس القوة العصبيه في حالة مايريدالقلب بنفسه و باستقلاله الذاتى أى شيء من الخارج بمساعدة الميزان أوالعقل التى هى كدليل حق تحت مشيئته فلنتصور اننا نقبض بيدنا على عصاة طويلة من أحد طرفيهاونحركها بيدنا مثلا يمينا وشمالا ولا تظهر فى العصاة غير طرفها الاخير فقط فان الناظر لطرف العصاة يتخيل له انها تتحرك وحدها فقط . ولكن الحقيقة ان اليد هى التى تحركها وان حركة طرفها الاخير المقابل لقبضه اليد أشبه تماماً بالجزء العلوى من النخاع المستطيل فى الجزء المسمى شجرة الحياة فى الطب -- . ولكن الجزء المذكور مع القلب ليس منفصلا عن جوهره كما تنفصل اليد من العصاة بل الجميع جوهر واحد متصل انما الغرض من هذا المثل هو الارتباط الكلى ببعضهما حتى نقول ان مافى القلب هوفى العقل (لان هذا الجزء مركز العقل كما سنوضحه) ومافى العقل هو فى القلب غير ان العقل جزء من كل مع زوال منفعة الكل اذا أعدم هذا الجزء وذلك لانه تقريبا كجذوز الشجرة بالنسبة للساق فى كونه جزء منها وهو عليه حياة الكل بواسطة (الساق وهو مازال جزءاً من الكل وان كل الصفات الانسانية التى نراها فى الاعمال الانسانية والعلوم المختلفة لم تلك الامكتسبة للروح بواسطة شيء زاد عليها فى هذه الحياة وهى الامانة . أوالعقل

(الامانة أو العقل)

الامانة هى مانسميه بالعقل ولكن لفظ الامانة اكثر استدلالا للرمز على حقيقة وظيفتها والغرض من وجودها ولذا كان اسم العقل فى القرآن العظيم الامانه أوالبصيرة أو الميزان أوالنور وهى فى الطب مجموع وظائف الرأس أوهو المخ مرتبطا مع الروح

وتلك الامانة هى كما سبق المنحة الالهيه الوحيدة التى بها تم دور الخلقة الانسانية وغيرها فى هذه الحياة وقلنا لسبب وجودها في المخلوق كان مستقلا فى ذاته بتمام الاستقلال وكأن الله تعالى بعد ان يمنح المخلوقات تلك الامانة ليضعهم في هذه الحرية الجميلة يقول للجميع اعملو ماشئتم انى بما تعملون عليم

فالامانة أو العقل هى سر الانسان المجهول فهو ينظر كل شىء نظرات مستحكمة نقاده وهو كالنور كما سماه الخالق فى القرآن العظيم يبصر كل شىء ولا يزول مادام الانسان حياً هذا السر هو الذى به تعلم به ماتشاء جهد استطاعتك واجتهادك فى غدوك ورواحك . فان همت نفسك لزيادة العلم به ذلك ماتشاء واذا أخمدت نفسك فى الخمول وقف تحت مشيئتك عند الطلب — وكأنه خادم بث العلم فى ذاتك بما تشاء اوهو عبد ارشادك الى الحق في أى شىء تريد وفى أى موضوع فى العالم ترغب — . انظر أيها الانسان الى رجلين توأمين من بطن واحدة أحدهما كدوجد وتعلم وتلقن العلوم بكد واجتهاد والى آخر وقد ركن بنفسه الى السكون وعدم التفكر والتعليم تجد فى الاول نفسا حية وضاءة وانسانا كاملا ومن الثانى مسشودعا للتحليلات العضوية لاتفرقه عن كبش القطعان يأكل ويمرح حيث لايدرى من العالم شيئاً جديداً فما الفرق بينهما وقد تشكلت صورة الاول كالثانى وروح الثانى من الاول فى نزولهما من بطن امهما وهما شخصان كواحد متساويان لايتميزان .— فما هذه الميزة التى انتجها العلم وما هو السبب فى تحصيله أشىء زاد على الاول ناقصا من الثانى ؟... كلا !! ام كان يعجز الثانى عن ادراك الاول فيما لو استعمل وسائطه السابقة !! كلا ... فما هى اذا تلك الصفة الانسانية التى تقف نوراخادما تحت الطلب تتلألأ فى رأس كل منهما وتشبع الروح بنورها متى نهضت الروح بنفسها وتتبعت حقائق دلائلها فى كل ماتريد حتى كان بذلك الفرق بين من تعلم ومن لم يتعلم ؟!! أقول لك ان ذلك من الامانه !!! وباستعمال تلك الامانه واتباعها هو الذى ميز الاول على الثانى على ممر الزمن . والفرق الظاهر بينها دليل على انها هى كل أسرار الانسان . فالاول سعيد والثانى شقى والاول نور والثانى جهل والاول قوة والثانى ضعف وغير ذلك والسبب استعمال الاول للامانه واتباعها وترك الثانى لها فمعرفة الغرض منها معرفة الانسان من حيث كونه أفضل الخلق فهى نور الانسان

أوهى كل الانسانية ومفتاح كشف أسرار العالم بما وهب الله فى الانسان — . تلك هى الامانه !! أوهى ميزان الله الحق الذى وضعه على النفس بمالها وماعليها وما هو داخلها وخارجها . تلك هى الامانه أوهى ميزان الحقائق التى تحيط بالانسان فى السماء والارض . تلك هى الامانه . او هى نور الروح الهادية لها والداعية لخروجها من ظلامها الحالك الى نور الله الاعظم اذا أرادت النفس اتباعها بنفسها. تلك هى الامانة أو مجس العلم والهداية والحكمة للروح بل هى ميزان العدل لدلالتها الروح على طرق السعادة من الشقاء. فالقرآن العظيم يوضح لنا هذا السر الاعظم اتم ايضاح ويكشف لنا النقاب عن هذا السر المكتوم الانسانى الى الآن وكيف به كان الانسان وبغيره كان كالحيوان الابكم أو أضل سبيلا

فالامانه هى نور روحانى أرقى من الروح الانسانية جعله الله تعالى فوقها وجعله مرتبطا بها فى الجزء المسمى بالنخاع المستطيل الذى هو رأس الحياة الروحيه الانسانية

ونستدل عليها بمادة تغاير تركيب باقى جسم الانسان وان كانت منه غير انه من عمل هذا الجزء الروحانى الخاص وتلك المادة هى المخ — فرمز الامانة فى الانسان اذا هو المخ وارتباطه بالجسم هو ارتباط هذا الجزء الروحانى الخاص بالروح الانسانية ليقوما معاً بالوظيفة الخاصة التى جعل الله نظام هذه الحياة الدنيا عليها وهى التى توصل للروح كل شىء وتميز لها كل شىء تمييزا علميا فقط وارتباطها بالنخاع المستطيل اشبه بمرآة عاكسة تأتى اليها بالمناظر والمسامع المختلفة وغيرهما فتميزه تلك الميزان او الامانة وتعرفه تعريفا حقا دون ان تبدى قوة الضغط على الروح للعمل بمقتضاه فهى كرسول فقط وعندما ينعكس فى الروح أو فى النخاع أو فى القلب حيث الجميع واحد كما تقدم فى الروح ينطبع فيه ابديا ولا يزول مطلقا كما تقدم والقلب أو الروح نفسها من ذلك تعرف ان هذا شر وهذا خير وهذا نافع وهذا مضر والروح نفسها من طبيعة جوهرها قوة العمل والترك ايضا باختيارها المطلق الذى هو اساس الغرض من منح الله لها تلك الامانة فتوزع نتيجته بقوتها العزيزية الثابتة الفعالة لتعمل فيه ماتشاء أولا تعمل مع كونه يطبع فى جوهرها ولا يزول منها الى الابد فعلت أولم تفعل — كما ان عملها شيئا ما من نفسها ولو حركة بسيطة فانها تنعكس وتظهر فى الميزان فتكون الروح فى كل أعمالها الذاتية أشبه بمرآة عاكسة أيضا وعندما تنعكس فى الميزان يرجعها الميزان للروح

بالثانى معكوسة لينطبع في الروح لاجل ان تعرفه بالحق من الميزان المذكور واننا اذا تصورنا رفع الميزان منها وفعلت الروح مهما فعلت فانها لا تعرف له حكما فى ذاتها مطلقا ولا ينطبع فيها فالامانة كالكاتب على النفس كل مايرد اليها وما يخرج منها ولكن دفتر الكتابة هو ذات جوهر الروح ويمكن للروح ان تعلم أى شىء مما هو فى جوهرها فى أى وقت تريده وذلك اشبه بتذكير الانسان لشىء مضى عليه فى صغره وتفكره فى كبره فهو بالطريقه السابقة والاسباب المتقدمة أى انه ينعكس من الروح للامانة ثم تعيد الامانة انعكاسه ثانيا للروح فيطبع فيها من جديد كأنه ورد لها ثانيا فالميزان جزء تكميلى للروح خارجا عن جوهرها بالمرة الا الصلة المذكورة فى هذه الحياة للزوم ارتباطهما فهو كنور متعلق بها وملازم لها واتصاله بها من حيث اداء الوظيفة المرتبطة ببعضهما فقط بشكلها الذى نراه من تشريح الحيوانات المختلفة والانسان وهو المخ مع أجزائه كما تقدم

أما الراس بأجمعها فهى تتألف من الوجه ويتركب من ١٤ عظمه وفيه أعضاء الحس جميعها ثم من الجمجمة وتتركب من ثمانية عظام وهى التجويف الباقى من الراس وفيه المخ وهو الميزان المذكور والمخيخ والنخاع المستطيل وهذا الاخير هو الجزء العلوى من الروح وهو لها اشبه بجذور الشجرة لتوقف الحياة الانسانية عليه اذ هو المركز العام للقوة المميزة والآلة التى تجمع بها المدارك للاستنتاج فهو ينبوع التأمل والتفكر . بل هو لب الروح وما يحتاط به من المخيخ اشبه بحافظ ولكنه الجزء الوحيد عليه مدار الحياة الكلية

أما (المخ) أو الميزان الذى نتكلم عنه فيتركب من نصفين كرويين ومجموعهما في أداء وظيفتهما مع النخاع المستطيل هو المقصود (بالامانة) وهما وحدهما المتوفر فيهما شروط الميزان الروحية السالفة . فان هذان النصفان موضوعان بكيفية اذا تعطل نصف منهما لمرض أو لسبب يتمكن النصف الآخر من أداء الغرض منهما تقريبا ولو ان عمله لا يكون كما يكون الاثنان معاً . هذا مع ارتباط النصفين مع بعضهما بحيث لو تصورنا فى كل منهما القوة للروح فى الفهم والادراك والتميز فانهما يتحدان معاً فى هذه الوظيفة ويجتمع نتيجة الاثنان فى نقطة واحدة هى النخاع المستطيل وليس يرسل كل منها غرضا بمفرده اليه . هذا وان اتصال هذين النصفين بمركز الروح المذكور لم يك الا اتصال وارتباط وقتى

لاداء الغرض من الحياة التى اخرج الله الروح لاجله ولم يزدها هذه المنحة الا لتكون الروح مستقلة باعمالها ولترى بها كل حقيقة في العالم لتقوم بالغرض من خلقتها وهو الخضوع لخالقها بتمام الطاعة والارتياح وكمال الحريه — ولقد قرر الاطباء أيضا ان النصفين المذكورين من المخ هما مكان التأمل والفهم والذاكرة والمخيلة وغيرها ولكن كما قلنا حيث يجب ان يكون النصفان المذكوران متصلين بالروح أو بالاحرى مرتبطين بالنخاع المستطيل — . وقد أثبتت التجارب انه اذا رفع هذان النصفان من الانسان لاتفقد الروح شيئا مطلقا من الحياة ويمكنها ان تعيش طويلاً من غيرهما بل يمكنها ان تعيش سنيناً عديدة اذا أمكن حفظ حالة الحيوان الصحيه من التعفن وغيره بعد رفع النصفين المذكورين أو الميزان المذكورة مما يكون منه دليلا قاطعاً على وظيفة هذا الجزء مع الروح وكونه لها وقتيا كما أثبتنا ذلك وكان الاولى بتسميته بالميزان أو الامانة أو البصيرة كما يسميه القرآن العظيم. فانه في الحقيقة ميزان الروح لاداء ماتختار منه بما يرشدها اليه من غير ان يؤثر بشيء على جوهر حياتها الروحانية الابدية . — . كما ان الروح التى مركز اساسها النخاع المستطيل لايمكنها ان تعرف شيئا أو تختار شيئا مطلقا من غير الميزان المذكور . — فاذا فرض وحصل للمخ أقل تأثير أو ارتجاج أو أى ضرر ميكانيكى أو مرضى فان الروح لايمكنها مطلقاً ان تعرف شيئا بمفردها وتفقد بذلك مايسمى بالقوة العاقله ولو ان مركز العقل اتصال الامانة فى النخاع المستطيل — أما النخاع نفسه الذى هو أول أساس للروح فانه اذا تأثر بشيء ضعيف تأثر معه جميع الجسم لانه من الروح لاينفك عنها مطلقا — بخلاف الميزان أو المخ فانه كزائد على الروح وان كان بينهما ارتباط عضلى روحى وقتيا لاداء الوظيفة فانه اذا نزع النصفان الكرويان المذكوران بالتدريج قطعة بعد أخرى لايموت الانسان مطلقا ولا يحصل له أقل ضعف أو تأثير ويكون كالنائم مع بقاء قوته التنفسية والعضلية بحالها ولا يكون له ارادة أو اختيار مطلقا بل يكون كما كان مملوء بالحياة بحيث أيضا اذا أمده الانسان بطعام في فمه بعد ذلك أكله بكل سهولة ولشرب اذا ألقن الشراب أيضا

ولكنه لايطلب الاكل ولا الشراب ولا يختار شيئا ولا يتكلم لانه مفقود الميزان فقط وهذا يظهر ان الفطرة التى خلق الله الناس عليها في البداية فى الحياة الاولى عند ما كانوا أرواحا مجردين أيضا عن الجسمانية هى ان يكونوا بلا ميزان بحيث يمكنهم ان يتمتعوا بكل أنواع التمتع بحرية مطلقة ولكن بلا علم ولا تفكر فهم ينظرون ويسمعون ويشعرون بكل شيء من غير حد وذلك أشبه بالطفل الحديث الولادة فان اجزاؤه تامة جميعها كالرجل الكبير فهو يسمع وينظر بعينيه و يتمتع ويتألم ولكن حسب الوسط الذى هو فيه حيث أثبتت التشريحات الفسولوجيه للاطفال ان الطفل المولود ليس له شيء من النصفين الكرويين للمخ مما يدل على انهما زائدان على الفطرة بل يتكونان بالتدريج المستمر بعد الولادة كالحديث (كل مولود يولد على الفطرة)

وليت ماسبق من تلك الايضاحات الطبية بموافقته لما اوضحناه من وظيفة هذا الميزان ان الحال قد اقتصر على ذلك بل ان الشكل العضلى للنصفين الكرويين من المخ أو الميزان المذكور عند التشريح الفسيولوجى لرجل كبير يظهر مركز تركيبها باجزاء متصلة ببعضهما عضلية أشبه بميزان حساس غاية فى الضبط والجمال بحيث اذا أردنا ان نعمل ميزانا من النحاس بشكله كان أعظم بميزان حساس لم يسبق له مثيل في الاختراع . فاذا أخذنا رأس انسان كبيرا وقطعنا الجمجمة بمستوراسى ليظهر داخل القطع في مركز الجمجمة بحيث ينقسم المخ الى نصفيه الكرويين والمخيخ والنخاع المستخيل الى نصفين جانبين . ظهرت لنا صورة تساعد على التأكد من ان وظيفة التأمل والفهم والمخيلة وغيرها التى يقولون انها قائمة بتلافيف المخ تجتمع كلها فى الحقيقة بتلك الميزان الموجودة فى منتصف الكرة الراسية — . فكما انها ميزان معنوية لاداء تلك الوظائف السالفة العظيمة فهى ميزان حسية عضلية أيضا ليكون انطباق كلام الله عليها تاما من كل وجوهه المعنوية والحسية أيضا.

نعم — ان الاطباء ماامكنهم حصر وظائف اجزاء الدماغ مع الروح بالتدقيق للآن فان تلك الوظائف روحية محضة غيران ظهور الشكل العضلى للجمجمه بعد حصول القطع السالف بهذا النظام يساعد على ثبوت تكون تلك الاجزاء لتكون كميزان للروح كما هو ظاهر من وظيفتها ولو تمعنوا جيدا لعلموا ان النصفين الكرويين للمخ ليس لهما مع الروح

التى أول مركزها النخاع المستطيل الا تلك الوظيفة دون غيرها بالحالة التى أشرنا اليها الآن

فالميزان المذكور يبين كل شيء للروح ويميز كل شيء بعلاقته بالروح بحالات مختلفة حقة هى مايسمى بالتأمل والفهم والمخيلة والادراك وغير ذلك ثم تجتمع كلها في نقطة واحدة عامة في مركز الروح هى النخاع المستطيل والروح نفسها التى مركزها العام القلب تعرف كطبيعتها ان هذا يصلح وذاك يضر بحيث تكون هى المتصرفة وحدها فى كل مايرد اليها دون ان يكون لتلك الميزان قوة للضغط على الروح بتنفيذه بل توصله اليها فقط وذلك كما يكون الانسان جالسا فيتخيل أشياء كثيرة ويتفكر في أخرى ويتذكر فى أمور عديدة وغير ذلك بحيث لاتتحرك الروح ولا تنفذ منه شيئا مطلقا اذا أرادت وبالعكس فان الروح اذا رأت من المخيلة أو الذاكرة او اى شيء من الميزان فيجوز لها أن تنفذه بالنفس او تنفذ عكسه شرطا ان كل مايفعل من الروح مهما كان طفيفا يظهر بالثانى فى الميزان ثم تراه الروح بالدقة الحقة لازائدا ولا ناقصا . والروح نفسها لايمكنها أن تعرف كيف تتخيل الميزان ذلك . فكما ان الروح حرة مطلقة لاتتقيد بشيء مطلقا فان الميزان معها أشبه بحاسب دقيق حق يظهر لها بأول فرصة بنتيجة عملها أولا فأولا ولو كان مثقال ذرة فيطبع فى ذاتها ولا يزول منها الى الابد . وعلى ذلك فالميزان المذكور يرى ويظهر كل ماهو خارجا عن الروح وما هو فى باطنها مهما كان صغيرا أو كبيرا كما ان الروح ينطبع فيها كل مايرد من الميزان سواء كان من الخارج أو من نفسها ولا يزول منها مطلقا .

وهذا هو السبب لان نقول عن الميزان ونسميه مرقتا (بمرآة التمييز) ولو ان هذا الاسم أقل فى الاستدلال على حقيقة وظيفة هذا النور من لفظة ميزان وأمانة وبصيرة فان تلك الالفاظ القرآنية أقوى في الاستدلال ولكن غرضنا من هذه التسمية هو لسهولة التعبير عن الكيفية التى بها تقوم بوظيفتها فهى كمرآة عاكسة والروح أشبه بمرآة أخرى طابعة وفى آن واحد عاكسة ماتريده على الميزان اتراه بالثانى بحقيقته معكوسا عليها من مرآة التمييز لازائدا ولاناقصا وينطبع فى الحال في الروح ولا يزول منها الى الابد . ومع ماتوضح فاننا يمكننا ان نقول عن جوهر الميزان انه قوة نورانية بصيرة مبينه عادلة خلقها الله للروح لتسترشد بها فى تلك الحياة أما الروح فهى قوة حية حرة فعالة خازنة أبدية خلقها الله تعالى

ومعها هذا الميزان لتخضع لذاته العلية بكامل حريتها كما يقتضيه كماله المطلق .

وما أحسن تعبير الله تعالى عن تلك الميزان فانها سميت فى القرآن العظيم بالنور وهذا تعبير أقرب أيضا الى الحقيقة فان هذا الميزان كمصباح فوق الرأس ترى به الروح كل شيء بحيث اذ طفىء لم ترى الروح شيئا مطلقا الا كما يكون الطفل المولود حديثا و ليس بعد ذلك تعبير يكون أكثر انطباقا على صفات الميزان المار ذكرها .

وكل هذه الاستدلالات السالفة موضحة توضيحا تاما فى القرآن العظيم والله تعالى أشار اليها فى كثير من المواضع ولكن من الاسف لم يلتفت اليها أحد من زمن النبوة الى الآن .

فعن الميزان المذكور يقول الله تعالى : الله الذى انزل الكتاب بالحق والميزان — فالكتاب نزل بحق للانذار والتبشير فقط وليكون هداية لمن أراد الهداية والميزان نزل بحق على كل مخلوق ومنه الانسان لان به كان الغرض الحق لكمال الخلق اللائق لكمال الله المطلق كما تقدم البيان والاسباب . وقد اقترن الكتاب بالذكر مع الميزان هنا لمساواتهما بالضبط من حيث الاستدلال على كل حقيقة فان كان القرآن العظيم كله حقائق لاشبهة فيها فان الميزان التى أنزلها الله تعالى فى نفس كل انسان أيضا لاتقل فى دلالتها على الحقيقة للروح عن القرآن . وستعلم مما يأتى كيف ان ابراهيم عليه السلام اهتدى بنفسه لله تعالى وجد وكد بشخصه بما اعطاه الله فى الخلق لكل انسان حتى آلت اعماله كلها ومواهبه الذاتيه من نتيجة ماتأمل وتفكر مطابقة كل المطابقة للحالة الفطرية التى جعل الله تعالى فيها كل انسان اذا اتبع أماتته أوميزان نفسه أوعقله بحق تام كما تمسك بها ابراهيم عليه السلام حتى صار انموذجا حسنا لجميع البشر وهذا الخليل ما كان معه قرآن كهذا القرآن العظيم ولم يرسل له الله تعالى رجلا آخر بمعجزة ليقول له بلزوم الايمان بالله تعالى بل بنفسه بمساعدة الميزان التى جعلها الله تعالى على نفسه كامانة فى هاته الحياة تبصر وتفكر وتأمل فاهتدى وزاده الله هداية ثم اختاره نبيا كما هو دأبه مع كل مخلوق مهما كان جنسه ومهما كان سابق ضلاله وكذلك قد جمع الله تعالى الكتاب والميزان معاً فى تلك الآية لتساويهم فى الارشاد الى الحق ان أرادت الروح اتباعه كما يهدى القرآن كذلك ان اراد

الانسان اتباع حقائقه بالضبط . ومن جهة أخرى فانه لولا الميزان للروح ما كان حسابا ولا كان عقابا بل ولا كان الوجود بحق لمن اطلع على مبادئنا السابقة وان الروح بلا ميزان لاشيء فيها غير الحياة الابدية والحركه بكيفية تعجز عن حصر منشائها بغير قدرة خالقها الواحد وقد قال الله تعالى عن الميزان باسم البصيرة فى قوله تعالى: «قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها» — فذكر الله تعالى للبصائر اشارة للقرآن العظيم ولما فى النفوس أيضا ودل على اجمال ذلك لما فى النفوس من البصائر أيضا من قوله تعالى «فمن أبصر فلنفسه» للاشارة انه فى كل نفس أيضا بصيرة ولان البصائر شاملة لها والقرآن العظيم أيضا

ولذلك سيعامل الله تعالى كل الامم يوم القيامة على السواء ممن وصلتهم دعوة الرسل والانبياء وممن لم تصلهم تلك الدعوة وذلك لان الرسل للناس فقط بقصد الرحمة ولان دين الاسلام هو دين الفطرة لحقيقة العقل فكل انسان مهما كان جنسه ومهما لم تصله دعوة الرسل والانبياء اذا استعمل مواهبه العقلية فى حقايقها كان مسلما بلا شك لان العقل هو الاصل الذى به يتدين المخلوق وبه سيحاسب وبه سيعاقب دون غيره ولذا قال تعالى: «ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين» فهذا الانذار عام على البشر لاستثناء فيه من امه وصلها القرآن العظيم أم لم يصلها لان دين الاسلام مبنى على العقل دون غيره وما اتباع أوامر الله تعالى ونواهيه فى القرآن العظيم لم يك الا شريعة يسير بها من وصلته الدعوة والقرآن العظيم ولان تلك الشريعة نفسها توافق حقايق العقل والفطرة الطبيعية لنظام الخلق لو أمكن للعقل التأمل فى كل شيء تأملا خاليا من الخطاء والشبهة

وقد جمع الله تعالى سماع دعوة الرسل الى الاسلام من الناس وتعقلهم بانفسهم فى كفة التساوى فى الوصول الى الحقيقة من الدين ونجاتهم باتباع أحدهما من العذاب فى النار فى الآخرة فى قوله : « وقالوا لو كنا نسمع (أى دعوة الرسل ونتبعها) أو نعقل (أى نستعمل العقل بانفسنا) ما كنا في أصحاب السعير »

وغير ذلك فى قوله تعالى : «بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره» . فغرض الله تعالى من ذلك ان الانسان على نفسه بصيرة ولم يقل فى نفسه لكون تلك البصيره هى

غير النفس وهى فوق النفس او الروح فى أعلا جزء من الانسان وهو الرأس كما أثبتنا ذلك. ثم أشار ان تلك البصيره كافية كفاية تامة لهداية الانسان لو اتبعها بحق حتى اذا فرض ولم ينظر الانسان شيئا من الكتب السماوية كالوثنيين وغيرهم لا يقبل منهم عذر مطلقا يوم القيامة لان الله تعالى يعلم ان تلك البصيره لو استعملها الانسان بحق كما يراه منها من وقت لآخر من الارشادات الصحيحة تجعله بتمام الهداية كابراهيم عليه السلام فان هدايته بالكيفية التى شرحناها مع وجوده بين كثير من الامم المتشعبة التى تعبد غير الله تعالى وقيامه كالاسد بينهم واقدامه بشهامة على تاييد الحق كل ذلك لانه طاوع بصيرته أو أمانته أو ميزانه بحق فهى تهدى كالكتب السماوية اذا لم يتبع الانسان شهواته أو الوساوس الشيطانية . فالله تعالى قال «ولو ألقى معاذيره» أى يوم القيامة من عدم فهم رسالة الرسل أو عدم اطلاعه على شىء منها أو عدم سماعه بها كالكثير من الامم الحاضرة والبائدة فلا قبول لمثل هذه الاعذار لان الكتب السماوية نفسها ليس الغرض منها الالزام بالهداية فانها تهدى من أراد الهداية وتبعها بنفسه أو تبشر من كان مهتديا قبل أن يعرفها ولا تضطر أحدا مطلقا بالرجوع من الضلال ان أراد الانغماس فيه فهى للانذار وللبشرى فقط وهى من رحمة الله فوق عدله وان كان نزولها حقا لسبب لزوم العقاب لمن ضل كما جاء فيها بالضبط وانها أيضا ذو فائدة لكثير من الناس عظيمة بل ورحمة للخلق أجمعين لو تمسكوا بها وقد أشار الله تعالى أن بصيرة الانسان ترى له كل حقيقة بلا زيادة ولا نقصان من تأمله فى اختلاف أحوال العالم والعلوم وتواريخ الامم والافراد كقوله تعالى «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد» . وهذا ما يدل على أن البصيرة التى على النفس مساوية أيضا للقرآن فى الاستدلال على الحق لا من حيث الاشتمال على العلوم وعدم التخطى عنه قيد شبر فهى توضح كل شىء على حقيقته لتصادق بالضبط على ما أشار به القرآن العظيم من آيات الله تعالى التى تظهر تباعا فى الآفاق وفى الانفس أيضا .

وقد ذكر الله تعالى أيضا موازين يوم القيامة فى قوله تعالى «والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون» اشارة للانسان بأن لفظة ميزان فى القرآن العظيم أيضا لا يقصد بها ميزان المعاملة كالمكيال فقط . بل يقصد بها ميزان الروح الذى هو كامانة عليها

فى هذا العالم وبه وحده سيكون حسابها وعقابها العادل وهو فى جوهره خارجا عن النفس وعلاقته الوحيدة بها هو ملازمتها ليكون لها كنور هاد الى الحق لتقوم بوظيفتها الدنيوية والغرض العام من وجودها بيد الخالق

ولان ما يطبع فى جوهر الروح من هذا الميزان يتأبد فيها ولا يزول مطلقاً بحيث عند قيام الساعة وعند الحساب تنظر الروح فى الميزان تعلقها وهو كالنور أشبه بمن ينظر فى مرآة تقريبا فترى منه فى ذاتها بنفسها كل شيء أقدمت على عمله وما قدمته لنفسها من خير وشر بحيث يكون مطبوعا فى جوهرها كـكتاب مضبوط لا خلل فيه وكما أكدنا ذلك فى أقوالنا السالفة حتى قال الله تعالى لذلك أيضا : «اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا —» هذا بخلاف علاقة الطائر بالروح فقد ارجأنا ايضاحه فى باب آخر. وقد ذكر الله أيضا ان الميزان على النفس نزلت مغايرة للروح فالاخيرة جوهر والميزان جوهر آخر كما فى قوله تعالى : «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز» فهذه آية صغيرة من الكتاب لو أردنا ان نوضح كل حقائقها وما جمعته ويتصل بها من المواضيع المختلفة لاتسعنا الاوراق ان كانت بحجم السماء والارض. بل نقول بالاختصار انها جمعت كل الغرض من القرآن العظيم ومن الحياة ومن الخلق . فان من معجزات القرآن العظيم أيضا ان يكون كل جزء فيه شاملا لكلياته . أوان ايضاح آية فيه تجر الى ايضاح باقيه ومن فهم فيه آية واحدة على حقيقتها عرفه كله بلا استثناء وهذا لايكون الا من بعيد النظر كثير التأمل والعلم والاخلاص لله تعالى فى الايمان

فنحن عن موضوعنا المختص بالميزان فقط نقول ان تلك الآية تشير أيضا الى تساوى الكتاب بالميزان أو العقل من حيث الاستدلال على الحقائق كما أوضحنا ذلك وفى آن واحد تشير الى ان الميزان فى النفس هو غير النفس بل أنزله الله عليها لتكون بتمام حريتها وكان به وجود الخلق حقا فقول الله تعالى لقد أرسلنا رسلنا (أى الى الناس) بالبينات (الكتب والمعجزات) وأنزلنا معهم (اى مع الرسل اولاً) الكتاب و (مع الرسل والناس ثانيا لاشتراك الرسل والناس في الخلقة) الميزان (والغرض الوحيد من الرسل ومن

الكتاب والميزان هو) ليقوم الناس بالقسط (بما فيهم الرسل) وأنزلنا الحديد (اشارة الى ان الكتاب والمعجزات والميزان هى غير الرسل البشريه وغير الناس بل هى من عند الله انزلت كالحديد فانه نزل من كواكب السماء بارادة الله تعالى فى الارض وليس هو من أصل مادة الارض الترابية بل القى فيها وأنزل اليها من الكواكب كما تثبت ذلك العلوم الفلكية وعلم طبقات الارض) فيه بأس شديد ومنافع للناس (اى لعمل الآلات المختلفة المستعمل فيها الحديد وهى أكثر من ان يمكن حصرها وقوة للدفاع عن النفس وللصيد ولعمل العدد والآلات الحربية ضد من يعتدى على نظام الله تعالى فى الارض ولتساعد بنى الانسان على كد الحياة واجتياز البحار كالبواخر والمراكب الحربيه والتجارية) وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب (وقد جمع الله في تلك الكلمات الاخيرة كل الغرض مما سبق من الميزان والكتب والمعجزات والرسل والناس والحديد والحياة — لانها تشير الى ان الله تعالى خلق الانفس بقدرته لكماله المطلق وان الاليق لكماله أيضا ان يكونوا خاضعين لذاته بتمام حريتهم الى زمن محدود لتختار كل مايشاء وهذا لايكون الا لوضع شيء على النفس زائدا ليريها الحق من الباطل وهو الميزان . والله تعالى في هذا الزمن المحدود لايمس شخصا للهداية أو الشقاء غير كونه جعل نظام جزائه لعباده في اعمالهم لداع رجوعهم الى الهداية أكثر من ميلهم الى الشقاء رحمة عليهم وجعل نفسه تعالى رئيسا لمن طلب بنفسه الهداية ترغيبا فيها للجميع لرحمته على الكل سواء ولانهم جميعا بتمام حريتهم فى الهداية أو الكفر غير كونه يزيد كل راغب فى الهداية منها بلا استثناء أحد حضا للناس على الالتجاء لرحمته أيضا شفقة عليهم من العذاب الذى كتبه أيضا وحتم نفاذه بلا رجوع عنه مطلقا لمن خرج عن حد الرحمة فى طغيانه وكفره . فهو يكتب لكل صغيرته وكبيرته . وبهذا النظام السالف فى الخلق الذي أراده الله تعالى بمطلق ارادته لكونه وحده هو اللائق لكماله المطلق وقدرته المطلقة جعل ارسال الرسل ونزول الميزان والحديد على الجميع لغرض واحد وهو الغرض العام من الخلقة حسب المبدأ السالف وهو ليعلم من من الناس ينتصر لله ولرسوله لينضم تحت لوائه في هذه الحياة وليطيع أوامره ويرغب فى رحمته مادام الجميع بحريتهم ويجوز لهم اتباع الرسول وعدم اتباعه ولانه تعالى سبقت كلمته لعدم اضطرار أحد

ليختار مايشاء بنفسه بما خلق فيه وليقدر له حسب اعماله التى قررها لجميع الخلق سواء) ان الله قوى عزيز (فالله أشار الى انه قوى اشارة للانفس التى تتوهم ان طلب الله من الناس ان ينصروه ورسله ليس عن ضعف منه تعالى . بل لانه تعالى جعل هذا النظام هو الغرض الحق من الخلقة واللائق لكماله فى وجوده من لزوم حرية المخلوقات فى هذه الحياة . وهو قادر على ان يهلك الخلق جميعا لو اراد كما انه قادر ان يهدى الناس جميعا الى هدايته ولكنه لايفعل الا مااقتضاه نظام جمال الخلقة من كمال قدرته فهو ان هلك يهلك بالحق بمالامرد له وان اهدى فهو يهدى بالحق بما لامرد له لايحابى أحدا على آخر . بل الجميع فى نظره سواء لانه بارادته وكماله خلق الجميع — وقد اشار الى انه عزيز . اى ان تمادي المخلوقات فى الكفر والهزء والسخرية فى مثل ذلك لايجعله تعالى عرضة للحنق لتغيير هذا النظام الحق فليعمل كل ما يشاء ان يفعل فان تخفيف العذاب أيضا عن مستحقه يوم القيامة شيء أكثر من المستحيل في عدم التخفيف والتغيير) فعمل الله تعالى حق فى البداء وحق فى هذه الحياة وحق في الآخرة فما تكسب كل نفس الا عليها وما ربك بظلام للعبيد

فكل ما تقدم يشير الى أن الميزان جعلها الله على النفس لترشدها الى الحقيقة بلا اكراه على عمل ما طيبا أو خبيثا وهى في استدلالاتها على الحق أشبه بالقرآن فكما قال الله تعالى : الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان فانه تعالى جمعهما في آية أخري اشارة الى هذه التسوية في الاستدلال على الحقيقة كما في قوله تعالى : قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. فالنور هو الميزان أو الامانة أو البصيرة كما نعلم ذلك أيضا من قوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم فهى الميزان والكتاب وان لفظة نور في الحقيقة هى من الاسماء الاكثر انطباقا على حقيقة الميزان ويمكن الاستدلال على ذلك أيضاً من قوله تعالى : يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا — فالبرهان من الله تعالى هو القرآن العظيم لانه جمع كل آيات المعجزات وبرهن بما فيه على ما تعترف به النفوس من الحق ان أخلصت في الاعتراف بالحقيقة ثم قال تعالى وأنزلنا اليكم نورا مبينا اشارة الى الميزان الموجود على كل نفس وهو الذي ذكر في الآية السالفة مع ايات الله أيضا باسم بصائر فان لكل نفس أمانة

أو ميزان أو بصيرة (بل الانسان على نفسه بصيرة) ومن تمعن في آيات الله العديدة الشاملة لهذا الموضوع الذي نوضحه لا يمكنه أن يحيد شعرة عن هذه الحقائق الظاهرة كالشمس فان آيات الله تعالى وكلماته في الاستدلال على مقاصدها المختلفة وأسماءها المتنوعة للدلالة على الغرض منها أشبه بمعادلات جبرية فاذا قلنا ح = ئ و ئ = ه فان ح = ه أيضا واذا كانت ئ = و فان ه = ح و = و أيضا وهكذا فالالفاظ وهى الامانة والنور والميزان والبصيرة كلها لغصن واحد وهى وحدها اللائقة لان تطلق على تلك الامانة الانسانية للدلالة على وظيفتها العظيمة التى عليها بنى أساس العالم وبها أكمل الله الخلق وجعل الانسان فيها في أحسن تقويم . — . ومن تطلع أيضا لكثير من آيات الله القرآنية علم أهمية هذه النقطة لانها هى أساس السعادة الانسانية وأعظم شيء خلقه الخالق قال جل شأنه : (يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وأنتم تعلمون) فقول الله تعالى أماناتكم بالجمع دليل على ان لكل مؤمن أمانة على نفسه كما قال تعالى (وحملها الانسان) وهى تظهر له كل حق بالدقة التامة فهى نور للروح ويجب اتباعها وعدم خيانتها فان سير المؤمن بضدها خيانة لها لانها فى كل لحظة تظهر له الواجب والحق من الباطل فلا يجب عدم المبالاة بها فان مخالفتها واتباع النفس لهواها هو كمخالفة الله تعالى وكمخالفة كتابه وكمخالفة الرسول تماما حتى جمعهم الله تعالى جميعا بالتسلسل فى آية واحدة ولو كان القصد من ذلك الامانة التى توضع من عند الناس الى بعضهم كأنه لالزوم لجمعها ولكان يلقى القول (لاتخونوا الامانة) ولكنها أمانة النفس التى يحملها الانسان فى رأسه كما أسلفنا فانها تظهر له كل حقيقة فاذا سار بضدها كأنه لابد خائنا لها وفي آن واحد خائنا لله الذى جعلها عليه للسير بمقتضاها وخائنا لرسول الله الذى نزل الكتاب وحيا على لسانه وهو برهان حق لما تظهره الامانة من الحقائق .

وتبعا لامر الله تعالى بعدم خيانة أمانة النفس فانه تعالى أيضا أمر باتباعها هى والقرآن العظيم وأجملها في لفظ واحد هو النور فبعد ان ذكر فى الآية قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين بان امانة النفس هى كنور هاد لها أتاها من عند الله وأنزله عليها حقا كما فى تلك الآية السالفه فانه أجمل الاثنين أيضا للزوم الايمان بهما كما أمر بعدم خيانتها فى الآية

السالفة في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا — فالنور هنا ليس هو القرآن العظيم وحده بل ومعه الامانة أيضا فكلاهما حق فى الاستدلال على الحقيقة

وقد قال تعالى أيضا : (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) — فالعهد هو عهد الله تعالى للنفس في الدور الفطري قبل ان تخرج الى هذه الحياة من قبل ان تحمل الامانة التى تجعلها تعلم بكل شىء ان ارادت وتستقل بذاتها في كل اعمالها الدنيوية حيث أشهدها الله امامه على نفسها فاعترفت ولكن من غير ان تميزه لانها لاتحمل الامانة بل تعاهدت امام الله تعالى وهى بحالتها الفطريه المجردة عن كل تميز وعلم الا عن شىء واحد وهو الاعتراف بالوهية الله المطلقة عليها فان هذا الاعتراف غريزي في كل نفس حتى ان تظاهر به كافر في هذه الحياة الدنيا كما قال تعالى : واذ أخذ ربك في بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم علي انفسهم الست بربكم قالو بلي — شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . أما الامانة ورعايتها فهى امانة السالفة فان في مراعاتها مراعاة للحق والله لم يجعلها علي النفس عبثا بل حقا لتتميم الغرض الكلى من الخلقه

ومن تأمل لبعض آيات الله القرآنية وجدها متشابهة مثانى فى الفاظ الميزان والامانة مع عدم وجود أحد من الامة الاسلامية للآن بعد مرور هذه القرون الطويلة على البعثة النبوية يوضح الغرض من هذه المتشابهات بعين بصيرته كما قال تعالى الله الذى نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى فهذا التشابه لم يك الا لجمال التركيب وليسدعوا النفس لزيادة التأمل والتفكر في لغط متشابه رمز له بمعان مختلفة كلفظة نور فانها تدل على الكتاب وعلى الميزان . وكالميزان فانها تدل على ميزان النفس وميزان المعاملة بين الناس وكلفظة أمانة فانها تدل على أمانة النفس كالميزان والبصيرة وعلى أمانة الغير من المخلوقات كقوله تعالى

فليؤد الذى ائتمن أمانته وليتق الله ربه وغير ذلك من جمال المعنى والتركيب والتناسب مما لو تمعن فيه عاقل لاخرج علوماً تنفع البشر في الدنيا والآخرة وسنزيد الامر تبياناً وايضاحاً اه

وعلاوة على ماقدمناه فان الله تعالى نفسه أشار الى أن الامانة او البصيرة فى أنفس الناس لايمكن أن تحيد عن الحق مطلقا فكل انسان يمكنه لو استعملها باخلاص وتتبع

حقائقها لا يقع فى خطاء مطلقا : قال جل شأنه : فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور فهذه الاية اوضح الله تعالى ان الابصار لا تخطىء مطلقا ولا تعمى ولا تضل عن الحق بل يخطىء هو الروح نفسها الذى مركزها العام هو القلب فيه كل حركة وبه كل ارادة انسانية وهو الوحيد الذى عليه الاساس العام للروح وان كانت جميع الاعضاء الروحيـة ملازمة له الى الابد وكلها جوهر واحد غير انه هو الروح لو أردنا أن نحصرها في شىء واحد عام . — . وليس الغرض من الابصار هو حواس البصر التى اعضاؤها العينين — كلا — بل الابصار هى أمانات النفوس وهى المقصودة فى قوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة — أما حاسة البصر التى عضوها عين الانسان فهى من منجمات وظائف الروح نفسها في كيفية استعمال الامانة وكذلك حاسـة السمع وغيرها فان كل هذه الحواس هى من خواص الروح نفسها وهى من صفاتها الابدية الملازمـة لوجودها في الحياة والممات غـير ان الروح نفسها لا يمكنها ان تؤدى وظائفها الساميـة فى اعمالها الا بالبصـيرة التى هى نور من الله امانة للروح وقتية فى هذه الحياة فاذا فقدت البصيرة نظر الانسان وسمع وشعر ولكن بلا تكيف أو تمييز أشبه بالولد الصغير الحديث الولادة كما تقدم .

كما اننا اذا فرضنا وتعطل بعض أعضاء الروح العاملة لسبب مرضى كفقد حاسـة السمع أو حاسة البصر مع وجود الامانة على النفس فان الروح يمكنها أيضا ان تقوم بوظيفتها في كل شىء تقريبا وان كان فقد شىء من حواسها يوجب لها شيئاً من التعطيل البسيط

فمثلا رجل بعد ولادته مباشرة مرض بحاسة السمع وفقدها ولما صار رجلا وتعلم في صغره تعاليم الخرس حتى امكنه ان يقرأ في كافة العلوم فمثل هذا يمكنه ان يقوم باعمال عظيمة جدا لو كان كثير التأمل وربما كان في الهيئة الاجتماعية أعظم من آخر سليم الاعضاء متوانيا جامـد القلب كما اننا اذا فرضنا وعجز رجل ببصره فانه يمكن بعد فقـدانه ان يعمل اعمالا عظيمة فكم من نابغ من علماء الاسلام السابقين الذين لهم مؤلفات في كثير من العلوم النظرية الـتى يعجز عن ادراكها سليم البصر وما ذلك الا لان العـين التى هى عضو البصر لا اهمية لها في البصيرة التى هى امانة النفس وهى القوة المدركه بمساعدة الروح الا لمساعدة الروح فقط فى تتميم وظيفتها المتعلقة بامانة الله المذكورة

فاذا فرضنا أيضاً وأحضرنا رجلا تعطلت فيه حاسة البصر ثم تعلم القراءة والكتابة فى مدرسة العميان وصار قادرا على تعلم العلوم ودراستها ثم فرضنا بعد ذلك حصول تعطيل آخر في حاسة السمع حتى يصير لذلك عاجز البصر والسمع معاً فانه يمكنه ببصيرة الله أو أمانته أن يعيش بسهولة ويتخاطب مع غيره بالكتابة الرمزية بحاسة اللمس وربما فاق غيره ممن يكون سليم النظر والسمع ويكون جامد القلب . فالعبرة بالبصائر فى قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ليس حواس البصر التى أعضاؤها العينين بل هى بصائر النفوس أوأمانتها من الله تعالى فانها توضح للقلوب أو النفوس كل حقيقة متى أرادت النفس أي شيء كان باختيارها فاذا لم ترد القلوب شيئا كان لا فائدة من الامانة أو البصيرة وتكون حواس السمع والبصر مع الروح أقل من الحيوانات الاعجمية

ولقد أعظم الله تعالى أمر الامانة المذكورة أو البصيرة في قوله تعالى : (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم) — أى فلا أقسم بالشيء الذي تبصرون به وهى الامانة الموجودة في كل نفس فان بها وحدها تبصر الروح كل شيء في العالم وقوله تعالى وما لا تبصرون أي ما لا تبصره بتلك البصائر وهو الله سبحانه وتعالى فانه لا يبصر مطلقا وهنا أيضا ليس الغرض ما نبصره بالعين بل ما نبصره بالبصيرة التى من أعمالها الفهم والادراك والتميز والتخيل وغير ذلك . فالله سبحانه وتعالى لا يدرك بشيء من ذلك مطلقا فهو تعالى فى هذا القسم يقصد القسم بالامانة التى منحها لكل نفس لتمام الخلق وبذاته الابدية التى لا تدرك بتلك البصائر بأى كيفية مهما كانت وانه قسم حق عظيم وقد نعلم هذا الدليل الاخير أيضا من قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير — فقال تعالى لا تدركه الابصار اشارة أن العيون ليست هى المقصودة فان العين لا تدرك لان الادراك من خواص الفهم والتعقل بل العيون تنظر فقط والابصار التى لا تدرك الله تعالى هى الافهام وما يتعلق بها من الافكار المتنوعة والتخيل والتذكر وغير ذلك من أنواع صفات وظائف المخ السالفة مع الروح فكلها لا تدرك الله تعالى وهو كذلك كان فوق العقول والافهام ولكنه تعالى بالعكس يدرك الابصار ويعلم بها وبحامليها علماً حقا لا شبهة فيه — وكل هذه الآيات القرآنية والدلائل العقلية والطبية والفلسفية والشواهد العالمية وأوامر الله المختلفة تنطبق كل

الانطباق على هذه المبادىء التي هي في الحقيقة أساس مباديء الدين الاسلامي وهي كما لايخفى من الاهمية بمكان عظيم

ما السبب في تسمية العقل ؟

ما دمنا ذكرنا بعض خواص الروح وأظهرنا ما هي الامانة أو النور الانساني أو البصيرة وقلنا ان الامانة المذكورة هي من الاشياء الزائدة على الخلقة الانسانية في هذه الحياة تتميما لغرض ثابت هو الاساس الكلي من وجود الخلق ألا وهو (حرية الارادة) في الانسان ليعبد الله تعالى بمطلق حريته بنفسه بلا ضغط عليه فنحن نشير الآن لامر قد حير عقول البشر من بدأ الخليقة للآن وقد تضاربت فيه الاقوال الكثيرة ولا حجة في رأي على الآخر غير التمسك الخصوصي بمعنى اذا قال رجل تعريفا عن العقل وسئل عن أسبابه لا يجد لنفسه حجة تثبت ذلك غير التصريح المطلق بأن ذلك رأيه الخصوصي فقط — لذلك كان تضارب الآراء عن العقل داعيا لعدم التمسك برأي صريح واضح عن ماهية العقل المذكور وهذا التضارب لم يك في أمة دون أخري بل هو من بدأ نشأة الانسان الى الآن . وهو في القرآن العظيم لم يك له تعريف خاص حتى بذلك تضاربت آراء الائمة وعلماء الاسلام في ماهيته وحقيقة مركزه وكيفيته

أما الذي يساعدنا على معرفة خواص العقل وأين هو مركزه وكيف يتكون هو تأملنا الذاتي في العلوم الكثيرة المختلفة وبالاخص العلوم الطبية في كيفية التعقل وغيره ثم الذي يكشف لنا الحقيقة بعدها ويوضحها هو القرآن العظيم اذ ان التشريحات الفسيولوجية الاخيرة للانسان في أجزاء الدماغ وخواصها لم يك الا ايضاح بعض رموز أشار اليها القرآن العظيم وكانت بعيدة عن أفهامنا ويستحيل الوصول الى حلها الا بمثل هاته التجارب الطبية المذكورة — فاذا كان المطالع فهم جيدا كل ما أوضحناه من الغرض من الخلقة وخواص الروح والامانة وكيفية علاقتهما أمكنه أن يعرف جيدا ماهو العقل بحيث ينطبق تعريفه على الآيات القرآنية العظيمة التي تعتبر أساسا لكل تعبير حق لا يقبل الشك والتأويل ثم على الاكتشافات الطبية الحقة والتجارب النفسانية الحديثة أيضا — وعندها يتميز الرأي الصائب من غيره ولا تكون معرفة العقل رغما أو رجما بالغيب كما هو الآن في جميع الآراء البشريه .

ولا يخفى أيضا أن علماء الطب أنفسهم لم يضعوا للآن رأيا مستقلا عن حقيقة العقل بل كادوا يعرفونه لو رجعوا بعد تلك الاكتشافات المهمة الى ما يوضحه القرآن العظيم من الغرض من الخلقة والحالة التى يجب أن تكون عليها الروح كما فى آرائنا السالفة الواضحة فهم فى الحقيقة وصلوا الى أعظم نقطة لولا انهم ما زالوا يجهلون جوهر الروح وكيفية علاقته بالاجزاء الدماغية — ولو ساعدتهم التجارب لمعرفة جوهر الروح لأمكنهم أن يوضحوا حقيقة ما يشير اليه القرآن العظيم وهو ما سنوضحه الآن .

العقل فى الحقيقة ليس شىء خاص ثابت أو جوهر يقوم بمفرده بما نسميه العقل .... بل حقيقة العقل هو أمور تجتمع من خواص أشياء مختلفة مرتبطة ببعضها بحيث اذا بطلت وظيفة أحدها انفسخت وظيفة الكل وانعدمت النتيجة التى تجتمع من هذا الارتباط وهى التى نسميها بالعقل — والعقل بمعناه اللفظى اللغوى يدل على الربط كما يقول الانسان عقلت البعير أى قيده أو ربطه . فحقيقة مدلول العقل الانسانى لا تخرج مطلقا عن حقيقة مدلوله اللغوى فى شىء مطلقا . لان تقييد البعير أو عقله لم ينتج من شىء واحد أو جوهر واحد فيه تلك الخاصية ... بل حصل بطريقة وعملية من أشياء مختلفة هى يد الانسان التى تربط والمقود الذى ربط به والبعير نفسه المربوط فبهذه الثلاثة تم تقييد البعير أو ربطه أو عقله فكذلك عقل الانسان فمدلوله مرتبط بنتائج أشياء مختلفة باجتماعها يحصل مانسميه العقل وذلك لانه اذا راجعنا ما سبق ايضاحه من ان أساس وجود الروح فى هذه الحياة هو (حرية ارادتها) لتعبد خالقها بمقتضاها وبسببها منحت (الامانة) لتستدل بها على كل ماتريده ويتوقف عليه سعادتها وشقاؤها فانا نجد أن التعقل متوقف على ارادة القلب الحرة الذى هو كل الروح — فالقلب اذا رأي شيأ بالبصيرة يجوز له ان يقلب البصيرة فيه ويجوز له أن يقف جامدا فالروح أو القلب كآلة فعالة وأما البصيرة فتحتاج فقط للتحريك وهى توضح حقيقة كل شىء تتوجه اليه بالضبط فهى تعجز عن أن تحرك نفسها ولكنها في آن واحد اذا حركها القلب أظهرت له ما جهله هو أيضا وهو يعجز عن ادراكه ومعرفته لولاها فكل منهما له خاصية ولكن فائدتهما معا لا تظهر الا حيث يبتدأ القلب بنفسه . فانه كما قلنا هو الذى منح من الله تعالى حرية الارادة فله اذا أن يستعمل تلك الامانة وله أن يترك

استعمالها أولا يسير بارشادها فيكون القلب أو الروح فى الحقيقة اشبه اذ ذاك بالماء الراكد كما هو منظور فى الامم الجاهلة البليدة التى لم تصقل عقولها بالتعلم والتأمل الصحيح

أما كيفية العقل فى الانسان أو الربط العلمى في الروح فهى ان القلب اذا فرض وأراد بمطلق حريته ان يعرف شيأ امامه بواسطة الميزان أو الامانة المذكورة فان الامانة توضحه بالضبط وبالدقة وفي نفس هذه اللحظة ينطبع ماأظهرته الميزان فى الروح ولا يزول منها مطلقا وان الادراك نفسه ناشئاً أثناء هذا الطبع الروحانى . وبذلك نقول : ان العقل هو ربط أوطبع ماتظهره الامانة فى الروح اذا أرادت الروح نفسها بحريتها تحريك الامانة لاتضاحه مع العلم ان هذا الربط أوالطبع لا يزول بعد من الروح مطلقا الى الأبد — وان نفس المطبوع في الروح بالكيفية السالفة هو مانسميه (بالعلم) الانسانى فهو أمر مكتسب ثابت فى الروح وقد تظهره الامانة أيضا ان أرادت الروح اظهاره في ذاتها فينعكس في الامانة من الروح ويعود مطبوعا ثانيا فيها وهو مانسميه (بالذاكره)

أما الرابطة في علم الطب التى بين الامانة والروح فهى فى النقطة التى تسمى (شجرة الحياة) من النخاع المستطيل وهى تتكون من اجتماع وظيفة ثلاثة أزواج من السوق العصبية مع النخاع المستطيل أحدها علوى يتصل بالمخ والثانى وسط ويوصل النصفين الكرويين لمركز المخيخ والثالث أسفل ويوصل ذلك بالنخاع المستطيل لتتميم مجموع الوظائف المذكورة بكيفية منتظمه — والذى يدلنا على أن كل شيء يطبع في الروح ولا يزول منها مطلقا تجاربنا النفسانية أولا من كون الانسان يمكنه أن يتذكر أكثر تاريخ حياته وكل شيء مضى عليه من أحواله مع غيره فهذا التذكر ليس في الرأس بل هو ثابت في القلب والتذكر المذكور لا ينتج الا من ارادة القلب الحرة فينعكس مافيه من المرئيات المطبوعة في الميزان ثم تظهرها بشكلها للروح ثانيا كانها محدثة في الوقت واللحظة التى يتفكر فيها وهناك يكون التذكر وعمل الذاكره

وما يدل على أبدية مايرد النفس من الميزان قول الله تعالى عند خطاب النبي عليه الصلاة والسلام لقومه في الآية : فستذكرون ماأقول لكم وافوض أمرى الى الله — اذ معني ذلك أنهم سيجدون أنفسهم يوم القيامة خاطئين ثم هم لا يلومون الا أنفسهم لانهم

كذلك سيجدون كلام النبي صلى الله عليه وسلم وتحذيره لهم ودعائهم الى الاسلام مطبوعا في أرواحهم فيقرون بانفسهم ويعترفون أنهم قد اختاروا الضلال المبين . وكذلك قول الله تعالى عن الذين تعهدوا لله تعالى عهدا ثم نكثوا به في الآية : « فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون » فان الذي يخالف العهد يشعر في ضميره بمثل هذا النفاق وهـذا الانعكاس الذي يطبع فى الروح من الميزان ويبقى بها ولايزول الى يوم القيامة ـ وبمثل ذلك كل التفكرات الانسانية

ولذلك اذا كان انسان كثير التـذكر والفهم ويمكنه ان يكتب تاريخ حياته يوميا ثم تركه ردحا من الزمن وأعاد مطالعته ولو في آخر حياته فان معانى ماكتبه من تلك الحوادث البعيدة يتجسم امامه ثانيا كأنه حصل ساعة قراءته وما ذلك الا لان كل ماحصل منه مازال مطبوعا فى روحه كطبع الفتوجرافيه - هذا ولنعلم ان الامانة يمكنها ان تطبع في الروح مالا حد له من العلم وهذا من الغرابة بمكان عظيم على خاصية جوهر الروح العظيم — فاذا فرض ومات الانسان فان الامانة التى كانت معه تفارقه لانه لم يمنحها فى هذه الحياة لغرض ينتهى بالموت ثم تبقى الروح بعـد الموت كشئ مختوم فليتق شـيئاً جـديداً ولا تتذكر شيئاً الا بطريق الوحى أو الالهام الآلهى بواسطة الطائر وهو الوحيد الذي يرافقها فى جميع أدوارها الابدية ولكن لاتعرف منه شيء مطلقا باختيارها بل به فقط يوصل الله تعالى لها مايريد كما سنوضحه

وعلى ماذكر فالعقل في الحقيقة هو ربط الروح لما يرد اليها من الميزان فى ذاتها عنـد استعمالها الميزان المذكور — ويمكننا ان نقول ان العقل هو العلم اذا أردنا التعبير عنه بلفظ موجز وكيفيته كما سبق ايضاحه — فاذا أردنا ان نميز شخصا على آخر فى اتساع العـقل فلا يكون الا بكثرة العلم فقط — غير انه يجوز ان يكون فرد كثير العلم ويحصل له عارض فى الميزان أو الروح أو ... أو .. فتكون سرعة تعقله فى الغالب أقل ممن كان قليل العلم سليم البنية ولذلك قيـل : العقل السليم في الجسم السليم. كما يجوز ان يكون انسان مريض بمرض لايؤثر على أجزاء الدماغ فلا يشـترط ان يكون ضعيف العقل — ولهـذا حث الله باستعمال الامانة أو لزوم التعقل وهـذا لايكون الا بحرية النفس ورغبتها الذاتيـة — فاذا

فرضنا رجلين أحدهما سليم الرأس والجسم ولكنه لا يستعمل امانته ولا يتعقل والثانى برأسه عارض بسيط ولكنه مجتهد ويتعقل فان هذا الاخير أفضل من الاول فانه على عيبه يستعمل أمانته فتزداد روحه علما بالتدريج بخلاف الاول فانه لتركه التعقل كانت سلامة صحته كعدمها لانه لم يستعملها فيما خلقت لاجله وسعادة الانسان فى الدنيا والآخرة متوقفه على استعمال الامانة أو على التعقل وان شئت على تناوله العلوم المختلفة فبها يعز الانسان وبدونها يشقى وبها يمكنه أن يستدل على علة وجوده ويتأمل لفوائد أوامر الله تعالى في الدين وحسن النظام الذى بنى الله الكون عليه وسير الانسان على نظامه

فالعقل ليس شيأ خاصا النفس دون أخري بل خلق الله تعالى كل الآدميين أرواحا بشكل واحد ونظام واحد وتركيب واحد وان تغير الآن تبعا لحرية النفوس فى اكتسابها وان اتساع العقل نفسه متوقف على ارادة الشخص الذاتية واجتهاده وتأمله الذاتى — فالفرق الذي يظهر بين الناس وبعضها فى العقل هو فقط لاختلاف التأمل وكيفيته ووسطه — فاذا فرض وولد انسان بعارض يضعف تعقله فان الله تعالى لا يعامله الا بمقدار حالته التى هو عليها جهد استطاعته كما انه تعالى يعامل سليم العقل والجسم بما يليق له — واذا فرضنا المستحيل ولم توجد عوارض لبنى الانسان واتحدت المشارب فى التفكر وكيفيته لكان لا فرق فى العقل بين انسان وآخر — ولكن هذا محال — لان تلك الحياة الدنيا لم تك لتكون بها بهذا التساوي الجميل . بل هى ليختار كل انسان بحريته التى هى علة وجوده كما يشاء فيفتكر بحريته ولا يفتكر بحريته ويعقل بنفسه ولا يعقل بنفسه وبذلك تفاوتت الدرجات فى العقول كما تفاوتت الدرجات عند الله تعالى في الدنيا وسيكون هذا التفاوت أيضا فى الآخرة حسب اختيار كل نفس وان كان الجميع ولدوا على الفطرة وخلقوا متساويين فى المنشأ الروحانى الاول (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا)

هذا وان الآيات القرآنية العظيمة تشير الى هذا المبدأ الذي نؤيده . فمنها ان الله تعالى يكرد مخلوقا ترك نفسه من غير ان يستعمل أمانة الله تعالى التى معه ولا يتعقل بها شيئاً فكان بهذا الجمود بعيدا عن الايمان كقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون — ومما يشير الى ان التعقل متوقف على اساس الغرض من الخلقه وهو « حرية

الاراده » قول الله تعالى: ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون — ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون — فهذا يشير الى ان السماع بلا تعقل لا يفيد مطلقا لانه يطرق الآذان فقط كاهتزاز الهواء وهى أصمة مسدودة — وان قول الله تعالى « أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون» اشارة للمبنى ولكل انسان أن الانسان مهما كانت درجته ولو كان نبيا يستحيل ان يفعل شيئاً سبقت كلمة الله تعالى في منحه للمخلوق وهو « حرية الارادة » فقضى وقرر نفاده لجميع الخلق وانه تعالى ولو انه قادر على كل شى ولكنه لا ينكس هذا القرار الحق مطلقا أو يجعل لاحد من المخلوقات غيره مهما عظمت درجته نفوذا أو تأثيرا لامكان تحويره أو مسه — وعلى ذلك اذا نصح النبي عليه الصلاة والسلام بعض المخلوقات أو ذكر لهم كلام الله تعالى وهم لا يريدون بانفسهم وبمطلق حريتهم ان يتعقلوه فعبثا يحاول ارغامهم على الفهم مهما استعمل من الوسائط

ومع ذلك فانتهاز الناس فرصة هذه الحياة وتركهم آيات الله تعالى بحريتهم بلا تعقل مما سيضطرهم الى الندم العظيم فى الحياة المقبلة يوم لا يكونون أحراراً فى ارادتهم كما يشير الله تعالى الى ذلك فى قوله : «وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » — ولذلك كان المتعلم الذى يتعقل أقرب الى الايمان من الجاهل وكثير العلم أقرب من غيره للايمان ومعرفة الله تعالى وحقيقة الحياة

أما أكثر الآيات القرآنية فهى تشير الى مافي العالم من أنواع الخلق وكافة العلوم المتنوعة حثا لكل نفس ان تتوغل في التفكر بذاتها فيما يلائم ارادتها الخصوصية ولان البحث والتأمل لاقتباس العلوم مما يلجىء النفس الى الايمان العظيم والتثبت فيه فيقدس الانسان ربه كلما رأى حكمة الله تعالى في الخلق ويشكره وان هذا التقديس والشكر هو كل الغرض من الخلقة فى هذه الحياة ولم يخرج الانسان من بطن أمه الا لذلك . وما تقرر عليه الموت والحساب والجزاء الا لهذا الامر السهل البسيط ان كان يستعمل مواهبه الذاتية بحق وامعان — فمن ذلك قوله تعالى : « وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون. وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وذرع ونخيل صنوان وغير صنوان

يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون »
فشكل الارض والجبال والانهار والثمرات واختلاف الليل والنهار . . الخ كل ذلك يحتاج
الى علوم كثيرة وان علما واحداً لو تفرد له الانسان فيما يختص مثلا بالارض أو بما يختص
بالانهار أوغيرهما لملأ مجلدات كثيرة مما نرى آثاره فى الامم المتمدنة فكم من علوم نافعة
اكتشفت من الارض كعلوم الكيمياء والطبيعة وعلم طبقات الارض والجغرافيه و ... و ...
مما لايحصيه الا أربابه المنقطعين لمثل هذه التأملات التى يشير الله تعالى اليها وكلها آيات
بينات ونعم زادت أربابها نورا وتدل على تمام قدرة الخالق سبحانه وهى لم تعلم لهم الا بالبحث
الصحيح والتفكر والعمل وبمثل ذلك يقال فى علوم النباتات والانهار . — فاذا كان لاتفكر
ولا تعقل لانزوت كل أمة فى وطنها كبعض الحيوانات المتوحشة التى لاتفارق مفاوزها
ولاتعرف ماهو خارج عن دائرة وجودها بل لما ظهر تفضيل الله تعالى لبنى الانسان على
أكثر المخلوقات وان قول الله تعالى عما ذكره في الآيات السالفة آيات تدل على تمام
قدرته وكماله ولكن ليس لكل الناس . بل قال للذين يعقلون فقط . اذ مطلق التفكر فى
شيء منها مهما تنوع كاف لمعرفة الله تعالى . — وان الناس جميعا لو أرادوا بأنفسهم ان
يتمعنوا جميعا في هذه الاشياء المتنوعه السالفة لظهر لكل واحد آية فيما تفكر فيه وتعقل —
وهذا الحال نراه بأعيننا الآن في الامم الغربيه فان كل انسان مجد بنفسه ومتفكر فيما أراد
بنفسه أن يتفكر فيه فانقلب العالم ورأينا من الاختراعات والعلوم مالو تصوره أحد علماء
الاسلام الذين يعتقدون ان تعلم العلوم التى تخرج عن حد الفقه كفر لقال ان ذلك ليس
من طاقة البشر — والحقيقة ان السبب فى ضعف الامم الاسلامية هم الذين ادعوا العالمية
وخطوا لانفسهم ماتقشعر منه الابدان ثم ألصقوه بالدين فسرى فى الامة سريان السم ولا
يعلمون الى أي حفرة هم سائرون — وبمثل ماتقدم يقول الله تعالى : ان فى خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله
من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب
المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون . — فكل ماسبق آيات ولكنها لاتظهر
الالمن تفكر فيها بمطلق حريته وان هذا التفكر متوقف على ذات الانسان وحريته

المطلقة التي لا تأثير عليها من أحد أو شيء كما أراد الله ذلك لكل نفس في هذه الحياة — فالذين يريدون بانفسهم التأمل ويعقلون نتائج آيات الخلق التي يذكرها الله تعالى علموا انها آيات عظمى تدل على كمال قدرة الخالق سبحانه — والا فمن ترك التفكر والتأمل فيها كانت أمامه كلا شيء مطلقا وهو نفسه يصير أشبه بالجمادات أو أضل من ذلك بكثير

هذا وان الغاية التي نرمي اليها في هذا الباب هو ان آيات الله تعالى تؤيد المبدأ السابق الذي نشير اليه من حيث الغرض من الخلقة وتركيب الروح مع الامانة أو البصيرة وان العقل ليس الا طريقة وعمليه تحدث برغبة الروح واستقلالها الذاتي عند تأملها في أي شيء باستخدامها البصيرة — فكما ان النفس جعل الله لها هذا الاستقلال في الارادة فانه تعالى بقدرته جعل من خواص هذه البصيرة التي ألزمها لكل نفس ان تريها كل شيء على حقيقته الكلية بلا زيادة ولا نقصان « فانها لا تعمى الابصار » علاوة على كونه يطبع في الروح ولا يزول منها الى الابد مطلقا

وكثير من الناس يتوهمون أن أمثالهم أقل عقلا ومنحطون عنهم والحقيقة ان المنحط (ان لم يكن من ذوي العاهات الوراثية التي تؤثر على العقل) اذا استعمل الوسائط التي استعملها الآخر العاقل لزاد عليه أو ساواه وهو ما نراه من ترقي كثيرين من أفراد الشرق بين الامم الغربية عندما يترافقون معهم في مضمار العلوم والاعمال المختلفة — مما يدل على ان العقل متوقف على التمرين ورغبة النفس واجتهادها الشخصي — وما يتولد الفرق بين كثير من الناس الا بترك الفرص والاوقات تمر بلا تعلم أو فائدة . فيظهر ذو العلم يوما سيد أقرانه وهو المشاهد في كل زمان ومكان — فالشرق ما ارتفع في عز أيامه الا بالعلوم وما انحط الآن الا بالجهل . وما كان الغرب منحطا في الابتداء الا بالجهل ولا ارتفع الآن الا بالعلم « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ! »

(طائر الانسان رسوله الخاص عند الخالق)

نظرا لوجوب « حرية الارادة » في الانسان في هذه الحياة ليفعل ما يشاء لم يكتف الله تعالى بمنحه العقل وحده مع انه لا يخطأ في شيء اذا استعمله الانسان باخلاص (فانها لا تعمى الابصار) بل جعل في النفس حواساً ترشدها الى الضار والنافع كالحواس الخمس

حتى لا تكون الروح عرضة لما يؤلمها أو يؤول بها الى الاسراف المهلك في أى شيء تتناوله أو تستعمله وان كانت تلك الحواس من طبيعة الروح الفطرية . بل زيادة على ذلك أيضاً جعل لها تعالى رسولا خاصاً عنده خارجا عن دائرة العقل والحواس معاً هو ما يسمى «بالالهام» أو الشعور وهو الرابطة الاولى الحقيقية بين العبد وخالقه . فاذا سجد انسان لله تعالى أو ركع أو طلب منه شيأ فهذا ليس مبنيا على شيء ظاهر من الله تعالى لحواسه أو عقله (لا تدركه الابصار) ولكن بشعوره الروحانى يسجد ويتضرع ويطلب من الاله الحق الواحد وغاية وظيفة العقل هو أن يوضح الروح كيفية التضرع وأسبابه وحقيقة كل شيء فى العالم وليثبت لها بعد تأملها مقدار عظمة هذا الخالق المحتجب (سبحانه) وما يجب أن يكون عليه من القدرة والعظمة والجلال

وهذا الالهام في كل نفس حتى ان الذين قصرت مداركهم العقلية يشيرون الى السماء الى الخالق سبحانه أيضا وتلك الاشارة ليست بتعليم خاص بل شعور موجود فى النفس والهام ثابت ويمثل ذلك بنوا الانسان الذين يولدون بكما وصما . فكثيرا ما يخاطبك ويشير لك بأصبعه الى السماء للدلالة على وجود الخالق سبحانه مع انه لم يسمع في حياته لفظة اله ولكنه الشعور والالهام الموجود في كل نفس والذي له ارتباط خاص بالنفس وخالقها وان كان ذلك لا يمكننا نكرانه فالظاهر ان النفس تعجز عن ادراك جوهر هذا الطائر الالهامى وحقيقة كيانه . لانه من الامور التى ما زالت مجهولة لعقل الانسان مع ظهورها كجوهر الروح وجوهر نور العقل — وغاية ما نعلم عنه أن له ارتباط كلى ثابت مع الروح الانسانية كما يشعر الكل بذلك بداهة وهو يسمى في القرآن العظيم (بالطائر) — وحقا فان هذا الاسم ينطبق تمام الانطباق على وظيفة هذا الجوهر وما يقوم به لان الانسان اذا ألهمه الله تعالى بشيء لم يك فى ضميره فان هذا الالهام أتى من السماء من الخالق (سبحانه) بواسطة هذا الطائر . فانتقال الالهام من السماء الى النفس في أوقات مختلفة تبعا لاعمال الانسان تشبه تنقل الطير وسرعة حركاته فى التنقل من الوهاد الواطية الى قمم الجبال العالية وبالعكس فكان الاسم منطبقا على حقيقة وظيفته العظيمة

وقد سبق وأوضحنا في الروح ان ارتباطها بكل شيء خارج عنها كالعقل والاحساس

وغيرهما هو من جزئها العلوي المسمى بالنخاع المستطيل في النقطة المسماة شجرة الحياة وهى تقريبا فى الجزء المتوسط من أعلا العنق الى ما تحته بقليل ولذلك يشير الله تعالى في القرآن العظيم الى هذه الحقيقة التى يثبتها علم الطب أيضا فى الآية : « وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه » — فالطائر اذاً مرتبط بالروح في هذا الجزء من الروح في العنق في نقطة تولد العقل وبه تتصل الالهامات الالهية الحقة الى الانسان فكم من أناس يلهون من الخالق سبحانه بأمور لم يسبق لهم درسها أو العلم بها !! — وهذه الالهامات لم تأت للانسان عفواً بلا نظام بل هى تابعة لنظام الله تعالى فى العالم حسب أحوال الافراد أو الامم وأعمالها الخاصة .

أما سبب الالهام ففى الغالب هو لاحتمال ترك الانسان للعقل وعدم استعماله لاظهار الحقائق التى تنكشف له من قدرة الخالق (سبحانه) وما يجب له من العبودية — لان العقل وان كان يظهر للنفس كل حقيقة غير انه تحت مشيئتها في الاستعمال فان شاءت النفس استعملته وان شاءت النفس تركته — ولاجل أن يتحوط الخالق سبحانه للنفس عن نتيجة أعمالها المختلفة التى هى حرة فيها وحتى لايكون لها حجة عند الخالق سبحانه عند الحساب بالارتكان على أي سبب آخر جعل لها تعالى هذا الطائر علاوة على العقل ليلهمها من أول وهلة بنتيجة كل عمل صغيرا أو كبيرا من خير أو شر — . ومن جهة أخري . فقد يرد للانسان مايجهله ولا يمكنه الحكم فيه بصحة أوفساد الا بعد التجربة وطول التأمل لعدم سبوق فحصه فالالهام يوضح للنفس مافيه الضر او مافيه النفع فيما ترغبه من أول وهلة .

ومع كل ذلك . فالانسان مازالت حريته محفوظة يفعل من الالهام ماشاء ويترك ماشاء فهو ليس بالامر الالزامى للنفوس غير انه رسول حق اليها لايجب الاستخفاف به . قال تعالى : (قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم . — قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم) أى بالالهام والشعور بسوء المنقلب فلم تبالوا به أيضا (بل أنتم قوم مسرفون) أى لاتبالون بأى منذر كان ظاهرا أو باطنا وقال تعالى أيضا فى آية اخرى (قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال انما طائركم عند الله) فهذه الآية الاخيرة تؤيد ما كان عليه القوم من الاعتقاد الكاذب بالطيرة حيث ان الله تعالى ألهمهم بطائرهم الحق من عنده بضيق فى صدورهم وهم عند ما كذبوا رسولهم وأظهر لهم تعالى سوء المنقلب الذى سيئولون

اليـه من تصميمهم على الكفر ومن جهلهم حقيقة الغرض من هذا الالهام الذى هو لهم أشبه بمنذر آخر عن سوء أعمالهم ومع كل ذلك لم يقتنعوا أيضا وذكروا لرسولهم حسب الخرافات التى كانوا يعتقدونها انهم متطيرون ومتشائمون في قلوبهم من شخصه حسب عوائدهم القديمة مع ان ذلك كذب وافتراء لان ذلك من الهام الله تعالى وحقهم يتشاءمون من نفس أعمالهم وعدم ايمانهم به اذ قال لهم قول الصدق : انما طائركم عند الله — أى ان هذا الالهام الردىء الذي تشعرون به هو من الخالق سبحانه بسبب تكذيبكم وكفركم بحيث لو فرض وآمن هؤلاء القوم لشعروا في نفوسهم بالارتياح وسلامة الضمير وانشراح الصدر ولزادهم الله تعالى فضلا بدل هذه النقمة لو كانوا مؤمنين .

وعلى ذلك فالالهامات لا تأتى عفوا للنفس من الخالق سبحانه بلاسبب أو نظام حق بل تبعا لسيرة النفس الخاصة وما يريد الله تعالى أن يلهمها به تبعا للعمل والوسط الذى تكون فيه

والانسان نفسه يمكنه أن يحكم على ذوات أعماله ان كانت ترضى الخالق أو تغضبه من شعوره الذاتى الذي يلهم به عندما يؤدى أي عمل مهما كان ـ فكم من رجل يشعر بارتياح في صدره عندما يمديده بالاحسان وكم من رجل يحصل له ألم في ضميره عندما يعمل جرما صغيرا أو كبيرا — ولنتأمل الى بعض قاتلى الانفس ولننظر لهم ونسألهم وعما يؤخذهم فى ضمائرهم ويزعجهم فى منامهم عند غدوهم ورواحهم !! هل تلك أمور لا أصل لها ؟ كلا ... ان ذلك من الخالق سبحانه بواسطة الطائر فهو تعالى يلهم النفس عن كل عمل فيه التقوى أو كل عمل فيه الفساد والفجور « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » وذلك لتعلم به النفس علاوة على العقل الى أى جهة وفي أي عمل يجب أن تسير بحريتها ... هل فيما يوجب لها توبيخ الضمير ويؤلمه أو فيما يشرح منها الصدر ويجعلها مطمئنة هادئة

وفي الغالب فان حكم الضمير أو الالهام أسرع من حكم العقل فى الحصول على النتيجة — لان العقل لا يحكم الا اذا تأمل فى الاسباب والمسببات والنتائج . — أما حكم الضمير أو الالهام من الطائر من الخالق سبحانه فهو وقتى وحكمه قطعى حق . فاذا فرض وعمل الانسان شيأ يتخيل فيه الفائدة ووبخه الضمير عليه بعد نفاذه ثم بحث عنه بالعقل بتأمل واخلاص وجد أن العقل بعد فحصه يوافق الضمير أو الالهام تماما على ضرره أو عدم فائدته.

اذ المؤكد : ان الطائر للنفس رسول خاص من الله الحق صادق . — وسنشبع الايضاح عن ذلك فى محل آخر .

(حرية الاراده والقرآن العظيم)

لايخفى ان حرية الاراده التى هى أساس الوجود في هذه الحياة والتى بسببها منح الله الانسان الامانة أو العقل والشعور على اختلافه هى الامر الوحيد المهم الذي قرر الله تعالى وسبقت كلمته فى عدم مساسه فى المخلوق اثناء هذه الحياة حتى جعل سبحانه نظام العالم ونظام علاقة الانسان مع غيره أيضا ان لاتأثير عليها مطلقا « اللهم الا اذا أراد المخلوق استسلام نفسه لغيره ولو كان الانسان للحجر » فهذا شئ لاينافى هذه الحريه بل يؤيدها — ولذا نري آيات الله تعالى القرآنية كلها مبنية على التحفظ على هذا الاساس الثابت حتى لاتمر آية واحدة من غير ان يشير الى هذا المبدأ العظيم . من ذلك قوله تعالى : (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم.) فهى تؤيد ان علة الخلق في هذه الحياة هى منحهم هذه الحرية المذكورة . - فان قول الله تعالى (ولا يزالون مختلفين) اشارة الى انه يترك كلا باختياره يفعل مايشاء بتمام حريته وانه تعالى لايمس هذه الحريه التي نشأ عنها هذا الخلاف بين الناس مادام قادرا ان يجعلهم متحدين امة واحدة فهم لايزالون على ذلك مختلفين لان منحهم الحرية أمر قد تقرر ويستحيل رد كلمة الله تعالى في أمر حق هو العلة الوحيدة فى الوجود الحالى حتى قال تعالى فى الآية تأييداً لذلك : (ولذلك خلقهم أي ان الغرض العام من الخلقة هو منح المخلوقات هذه الحريه ليختار كل ماشاء فيختلفون ان شاؤا ويتحدون ان شاؤا فللاتحاد نظام أساسه الايمان به تعالى وحده والاختلاف نظام أساسه عدم الايمان والكفر (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وان هذا النظام وحده هو اللائق لكمال الخلقة الانسانية من جهة ولكمال الوهية خالقها من جهة اخري .

وأما قول الله تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة)اشارة للانسان بان قرار الله تعالى في عدم مساس الحريه « الا اذا اقتضاه النظام العام » لايلجئه الى التفكر بان قدرة الله تعالى تعجز عن تساوي الناس جميعا فى هذه الحياة : . كلا (وربك على كل شيء قدير)

بل هو قادر على مساواتهم ولو شاء لفعل ولكنه تعالى لا يفعل ولن يفعل الا بحق ولاجل ان تتذكر النفس التي لا تتفكر في علة هذا الخلاف مع وجود الله تعالى بان قدره الله تعالى ارفع من ان يتوهم فيها العجز في شيء ما .

واما قوله تعالى : (الا من رحم ربك) فهو اشارة للنفوس لمبدأ آخر حق غير مبدأ الحريه . — اذ من ضمن نظامه الحسن الذى جعله تعالى بينه وبين عباده بعد ان منحهم تلك الحرية ليعبدونه أو يشكرونه أو يكفرون به ان جعل نفسه تعالى رئيساً ووليا خاصا لكل من اختار بحريته الايمان به تعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) فيهديه الى الصراط المستقيم بهذا الايمان (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بأيمانهم) ترغيبا للنفوس فى اقامة هذا الواجب السهل الذي هو كل الغرض من هذه الحياه واشارة الى انه تعالى لا يريد غير الرحمة فقط للجميع (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين) . — فالقائم بالشكر في هذه الحياة يريح ضمائره ويزيده الله تعالى هدي (ويزيد الله الذين اهتدوا هدي) ورحمة وتآلفا مع غيره من المؤمنين فيكون هذا التآلف والمحبة من الله تعالى رمزا على الرحمة . اذ لا يخفى ان الاتحاد والوئام بين الناس هى من أكبر الرحمات لمن تأمل فى متاعب الحياة ولكن هذا لا يكون الا بالايمان بالله تعالى بمطلق حرية النفس وانه كلما زاد الخلاف والتنافر بين الناس كان علامة عدم الايمان الخالص لله من الاكثرين

فقول الله تعالى (الا من رحم ربك) لا يقصد بها انه تعالى تعمد اخلاف اناس ورحمة آخرين بلا سبب . . . كلا . . . بل ان جميع الخلق عنده سواء ولكنه تعالى يشير جملة واحدة الى النظام الذى جعله بينه وبين عباده من اختصاص نفسه تعالى بالرحمة والهداية لمن أرادها بحريته وايمانه « ان علينا للهدى » وان كلمته تعالى سبقت قبل ايجاد العالم في لزوم حرية الاراده لجميع الخلق لاداء الايمان بها الذى هو الغرض من الخلقة . وانه تعالى يستحيل ان يقضى بالخلاف بين الناس في هذه الحياة فان ماجعله فى نفوسهم كاف كفاية تامة للاتحاد بين أنفسهم والوئام والرحمة لو أرادوا ذلك بايمانهم (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون) وهو تعالى يزيد بنفسه هداية من اراد بنفسه الهداية

والايمان من الناس ترغيبا للجميع فى الرجوع اليه تعالى . — ولعدم مساسه تعالى حرية الاراده كان السبب فى ارسال الرسل والانبياء الى الناس ونزول الكتب السموية أيضا . — كل ذلك رحمة فقط وزيادة فى الرحمة على بنى الانسان (وما أرسلناك الارحمة للعالمين) وان جمال الخلقة في النفوس والعقول البشرية كاف لاداء السلام والرحمة بين الجميع ولكن ذلك متوقف على مافى ضمائرهم الشخصية وايمانهم وانهم بكل مايجب عليهم يشعرون ويعلمون ولكنهم بانفسهم يتعامون ولايعملون ولذا قال تعالى : (ولذلك خلقهم) أى لهذا النظام بضرورة حفظ الحرية للجميع كانت علة الخلق فى هذه الحياة بحق تام وعدل مطلق

ولرب انسان يقول مستفهما . . . ماحظ الله تعالى ان يختلف الناس فيما بينهم ثم يعذبهم ولا يرحمهم ؟ وما هو حظه تعالى من العبادة اذالم يعبدوه أو يشكروه ؟ ... فنقول: أما اختلاف الناس فالله تعالى لم يمنحهم تلك الحرية لغرض الاختلاف نفسه بل للايمان والشكر الذي هو طريق النفوس الفطرى فانقلبوا بتلك الحرية الى الكفر بأنفسهم فتركهم الله تعالى في اختلافهم ليس لغرض الاختلاف نفسه بل لضرورة بقائهم احراراً في نفوسهم علهم يرجون بانفسهم أيضا بهذه الحرية الى طريقهم الفطرى الاول فيما بقى من حياتهم

أما العبادة فالله تعالى مستغن عنها كلية (ان الله غني عن العالمين) غير أنها أمر واجب بين خالق رحيم ومخلوق عاجز يتطلب استنشاق الكمال من النعم التى أحاطه بها الخالق — وان كمال قدرة الله تعالى فى الخلقه ووحدته فى الالوهية ليجعل مخلوقا كالانسان بمثل هذا الجمال والعقل وبعد ان نقله من حالة تشبه العدم فى بدء نشأته الى هذا الوضع الكامل ثم يريد ان يجعله في الحياة المقبلة أرفع بكثير من هذه الحياه تستوجب ان يقدم له تعالى كلمة شكر بسيطة وسهلة بتمام الحرية لاقيمة لها عنده تعالى غير كونها واجبة فقط (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون) — . فما ارخص رحمة هذا الخالق الكريم ... اذ كلمة شكر له بحرية واخلاص تعتبر ثمنا لنعم أبدية لاتزول وكمالا لاحد له ! فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين) . — وما أغلى قيمة هذا الانسان الكامل العاقل ان كفر وأنكر هذا الواجب

السهل الحق اذا التقى فقط في قرار الجحيم

وبذلك نفهم من الآية السالفة مايأتى (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) أي يضطرهم بقدرته الخاصه الى حالتهم الفطريه من الاتحاد بالايمان بدل الاختلاف لانه على كل شئ قدير (ولا يزالون مختلفين) أى بعدم ايمانهم واخلاصهم بمطلق حريتهم التى منحهم الله تعالى بها وسبقت كلمته في عدم مساسها لانها الحق (الا من رحم ربك) أى ممن آمن بالله منهم واخلص واهتدى بحريته المذكورة (ولذلك خلقهم) أى لغرض منحهم تلك الحريه الحقه ليقوموا بها بتمام العبوديه خلقوا وأوجدهم في هذا العالم فلا سبيل الى اضطرارهم بالقدرة في هذه الحياة لجعلهم امة واحدة مؤمنة ان لم يريدوا هذا الايمان بأنفسهم

أما كل آيات القرآن العظيم بلا استثناء فهى تشير الى هذا المبدأ ولكن ذكر باقى نظام الله تعالى في الخلق مع هذا المبدأ في بعض آيات قرآنيه كالجملة (الا من رحم ربك) التى التزمنا بايضاح الغرض منها الآن مما يجعل بعض التباس في افهام قليلى التأمل والامعان الذين يتمسكون بالاعتقادات القديمة الباطله من اختصاص الله تعالى بالرحمة لاناس دون آخرين بلا سبب . — فنحن نذكر هنا بعض مايؤيد موضوع (حرية الارادة) وما يجب من الايضاحات لمبادىء اخرى نتركه ليذكر فى موضعه منعا للارتباك فى التعبير وسهولة فهم موضوع واحد بعد الآخر

فمن ذلك قول الله تعالى « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم » فهذا الامر بالعبادة دليل على حرية الناس فى عدم العبادة . فهو تعالى يأمرهم بها رحمة عليهم لا ليلزمهم بها الزاما . بل لعل هذا يؤثر عند بعض الراغبين في العبادة فيكون لهم كزاجر عن عدم العبادة ان تركوها فينالون بها الرحمة . وهو أمر يليق لمن له الكمال المطلق . بحيث اذا فرض ولم يعبد الله أحد مطلقا فان ذلك لا يهمه مطلقا وهو فى امكانهم ولم يمنعهم الله تعالى عن تنفيذه كالآية « واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد . وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغنى حميد » فقول الله تعالى ان تكفروا أنتم ومن في الارض . دليل يظهر حرية الارادة وان هذا الكفر العام من أهل الارض ممكن حصوله برغبتهم الشخصية حسب حرية الارادة التى

أراد الله تعالى أن لا يمسها فى هذه الحياة — ومن ذلك قول الله تعالى أيضا « أم تريدون أن تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل » فلا يخفى أن قوله تعالى « أم تريدون أن تسئلوا رسولكم كما سئل موسى » هو : أن يقولوا له أرنا الله جهرة وان هذا السؤال لا يريده الله تعالى لانه قرر احتجابه المطلق فى هذه الحياة عن البصائر لحكم ثابتة يستحيل اختراقها وأولها « حرية الارادة » فهى فى الانسان وذات الله العلية أمران لا يجتمعان مطلقا بسبب « كمال الله المطلق » وقد أوضحنا العلة فيما سبق — فكأن سؤالهم هذا لو أرادوه يضاد الغرض من خلقتهم ولان ما خلقه تعالى فى نفوسهم كاف للاعتراف بعدم جوازه مطلقا . وان سؤلهم هذا دال على التعنت والكفر ليس الا . فلا يمنعهم الله تعالى عن طلب شىء نتيجته اختراق نظامه الحق ولكنهم في الحقيقة يضرون أنفسهم وما يشعرون .

أما قول الله تعالى « ومن يتبدل الكفر بالايمان » دليل واضح على أن هذا التبديل لا يكون الا بمطلق الحرية وعدم الضغط الى أى الجهتين وفيه مطلق الخيار .

ومن ذلك قوله تعالى « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » فهى تدل على اعلان التسابق للخلق الى الاحسان وحرية الاقدام عليه لمن أراد مضاعفة هذا الاحسان لنفسه بعد الاقدام عليه — ومن ذلك قوله تعالى أيضا « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى » — فعدم لا كراه في الدين يدل على وجود الحرية التامة فى الناس عموما وهم الذين نزل الدين لاجلهم فكل يختار ما يشاء ويريد حسب رغبته الذاتية — ومن ذلك قوله تعالى « قال يا قوم أرأيت ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ! » فهذا يدل علي حرية الارادة أيضا وعدم الالزام في القبول . ومن ذلك « ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتأتوها الفقراء فهو خير لكم » فابداء الصدقات واخفائها وتصريح ذلك من الله تعالى نفسه مما يدل علي تصريحه تعالى لوجود حرية الارادة فى الانسان وابداءه تعالى للاخير لم يك الا للترغيب فيما يؤول الى الفائدة الاكثر فلعل من يتصدق يتبعها بحريته الشخصية أيضا .

ومن ذلك : « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا

نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بانا مسلمون »
فامر الله تعالى لاهل الكتاب لهذه الدعوة مما يدل صريحا من الله تعالى على جواز قبولها واذعانهم بها وهى أمر لم يعلموه قبل ان تصل اليهم دعوته والا لو علم الله تعالى انهم لن يذعنوا لها ما كان ارسل رسولا ولا كان لزوم الى هذا الطلب والامر — ثم ان قبولهم هذا الطلب واحتمال عدم قبوله في قوله تعالى « فان تولوا » مما يدل على التصريح بحرية الارادة فى عدم الاذعان أو العكس .

ومن ذلك : أيضا « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم » فهذا يدل على حرية الارادة في القتل وذكر هذه الآية لم يك الا اعلانا وانذارا لمن رغب بنفسه قتل النفس أو التنحى عن هذا العلم الذميم بمطلق حريته الشخصيه

ومن ذلك قوله تعالى : « ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » وهو أمر يستعد الله تعالى لحدوثه بمجرد اقامة التوراة والانجيل على حقائقهما الاصلية ويمنع ضده ولكن تمسكهم بحريتهم الشخصيه فى عدم اقامتهما وهى الحريه التى ملكهم الله تعالى لها في يدهم في هذه الحياة بمطلق ارادته مما جعل الله تعالى يجازيهم أيضا بما هم فيه بلا تغيير حالتهم التى كانوا عليها .

ومن ذلك قوله : « وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين »

فهذ التصريح وهو قولهم وما لنا لا نؤمن بالله مما يدل على الاعتراف بان حرية الارادة لا ضغط عليها من أي جهة كانت وان اختيار الانسان للايمان أو الكفر متوقف على ذاته وان الله تعالى لا يمنع ايمان أي شخص بل هو يريده لكل انسان ولكن بتمام حريته ويستدل على ذلك أيضا من قوله تعالى : « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا . قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون »

فهؤلاء الذين أشركوا بالله تعالى في هذه الحياة سيحتجون يوم القيامة من غير ان يقبل منهم بان قدرة الله تعالى في هذه الحياة وقت شركهم كانت أعظم لتردعهم عن هذا

الشرك الذى أوقعوا أنفسهم فيه وهى حجة من جهل أو تجاهل نظام الله تعالى فى الخلق والغرض من الخلقه وأنكر نفسه الذاتيه لان حرية الانسان في الايمان أو الكفر أمر بديهى يلمس باليد لايحتاج الى اثبات . — فكما ان الاعتراف بوجود الخالق سبحانه وتعالى أمر فطرى في كل نفس لايحتاج الى كثرة برهان فان حرية الارادة فى الانسان هى بمثل هذه البداهة وعلمها تحتاج الى التفكر الذاتى الممكن حصوله بمطلق ارادة الانسان الحرة في التفكر وعدمه . —

فاذا تفكر الانسان علم وتأكد أن الله تعالى حقا قد سبقت كلمته في عدم مساسه حرية أى شخص كان فى هذه الحياة والتى لولا ذلك ما كان لزوم للخلق ولا كان الخلق حقا . بل كان أشبه باللعب أكثر منه الى الحقيقة . — ولذلك كان شرك أولئك المشركين بالله تعالى في الآية السالفة لم يك الا بعلم ونتيجة علموا بها مما في انفسهم وضمائرهم من عقل والهام وان الفطرة تشعر من سوء النتيجة من الشرك ومن الجزآت الخارجية التى يرسلها الله تعالى تباعاً فى هذه الحياة لردع الانفس المشركة رحمة عليهم من سوء النتيجة الختامية في الآخرة لو استمروا على هذا الشرك الذي هو ظلم لانفسهم عظيم

ومن ذلك قوله تعالى : « واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون » فقول الله تعالى انه لا يأمر بالفحشاء وتبرئة نفسه من تهمة أولئك الفاسقين مما يدل على مطلق حريتهم في عمل الفحشاء ثم مطلق حريتهم في نفس القول بنسبة أمر الفحشاء الى الله تعالى . — وكمال الله المطلق لا يليق له هذه النسبة كما لا يليق له الامر بالفحشاء فهو تعالى خلقهم ليختار كل مايشاء وليعلم نتيجة اختيارهم بعد اقدامهم على ما يختارون . — ومن ذلك أيضا قوله تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الي يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون »

فتعهد الانسان لله تعالى وهو فقير مؤمن بالصدقة على الفقراء اذا أغناه الله هو لمطلق حريته فبعد أن يعطيه الله تعالى كما أراد ينقلب من الاخلاص الى الكفر وينكث بالعهد

السابق الذى تعهده لله تعالى وهو فقير وما ذلك الا لانه حر الارادة في نفسه. والله تعالى بمجرد عطائه طلباته الاولى لا يكون ذلك سببا في أن يقيد حريته فى عدم الانقلاب والنكوث وهى الحرية التى سبقت كلمته تعالى بعدم مساسها مطلقا وليس بعد ذلك دليل على ثبوتها — وتمثل هذه الآية بالضبط قول الله تعالى : « واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه » فهذا دليل على حرية الارادة أيضا لاداء الغرض العام من الخلقة وليعلم الله بها ما يختاره كل انسان وتقلبه المختلف « وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين » ولتكون رحمته تعالى موزعة على الخلق بالحق والعدل . فانه لولا كمال الله المطلق ما أوجد الخلق ولو لا كمال الله المطلق ما أتم الخلق بهذا الوضع المحكم . ولو لا كمال الله المطلق ما كان خضوع الانسان لله بحريته أمرا واجبا . ولو لا كمال الله المطلق ما كان توزيع الرحمة بحسب قيام كل بهذا الواجب جهد الاستطاعة « من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون » ولو لا كمال الله المطلق ما منح المخلوق الرحمة لمجرد المنة والعطاء وانه تعالى مستغن بالكلية عن عبادة المخلوق لو لا انها واجبة عليه ذاتيا وهو تعالى لا يحب الكفر لا لانه يهمه بل لانه يوجب الحرمان من الرحمة فهو تعالى يهمه منح الرحمة ويرضيه الشكر أيضا لا لان الشكر ينفعه بل لانه الواجب المؤدى لصب الرحمة التى يريدها لكل فرد بلا استثناء « ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم »

وما يدل على حرية الارادة كالآيات السالفة أيضا قوله تعالى : « واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار »

ومن ذلك أيضا : « وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال » وهذا يدل على أن متبع الكفر في هذه الحياة يمكنه استبداله بتمام حريته بالايمان والاستقامة لان تقديم هذا التعهد يوم القيامة حق لظهور الحقيقة وقتها من كل وجه . — ومنه أيضا قوله تعالى : « وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون »

فاعتراض الله تعالى على ادعائهم بقولهم « مالهم بذلك من علم انهم الا يخرصون » لم يك الا لكونه تعالى منحهم حرية الاراده التى كان يمكنهم بها عبادته تعالى دون ان يمنعهم بل ويساعدهم لادائها ان أرادوها وحجتهم بقدرة الله تعالى فى امكانه ان يرجعهم بالقوة قهرا عن عباده ماعبدوه شركا حجة ساقطة لانهم بذلك ينكرون كل مافي نفوسهم واعترافا بزيادة كفرهم أيضا فانه لولا الوهية الله تعالى وكماله المطلق مامنح تلك الحرية لاحد ولا كانت سبقت كلمته تعالى بلزومها . بل لولاها ما كان الخلق حقا بل كان أشبه بالامر الزائد الذى لالزوم لوجوده . ومن ذلك قوله تعالى أيضا (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) . ومعنى ذلك هو خلق الله تعالى للانسان بشكل كامل لايحتاج الى النقص ووضع بنظام به يمكنه اختيار مايحب ويشاء . فاما ان يشكر فبنفسه وحريته حسب نظام خلقته واما ان يكفر حسب ذلك أيضا وفي كلا الحالتين يشعر بالواجب ويعلم بالنتيجة أولاً فأولاً وانذار الله تعالى له بان تكون الآخرة مطابقة لهذه الحياة حسب عمله هو من باب الرحمة ليسلك الطريق الذى يرغب تحمل نتائجه على عاتقه (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) . — وكفى الانسان تنبيها أوامر الله الكثيرة المؤيده لما نشير اليه كما فى قوله تعالى : (فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوي . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوي فان الجنة هى المأوى » . فكل ذلك يشير بلا جدال الى الحرية المطلقة التى منحها الله تعالى للانسان ليختار فى هذه الحياة مايشاء ان الله عزيز حكيم .

ومع كل ماتقدم فان مع حرية الارادة السالفة قد جعل الله تعالى أيضا بازائها (الجزاء) للخلق حسب اختيارهم الشخصى وهذا الجزاء هو بالطبع بارادة الله الحقه وعمله الذاتى العادل . ونضرب لذلك مثلا لتقريب الفهم :

رجل أراد ان يقتل اخاه لثروته وتخيل له انه بعدقتله يأخذ أمواله ويتمتع بها ويعيش فرحا مسرورا لارقيب عليه فيعمل كذا . . . ويأخذ كذا . . . و . . . فهذه مثلا ارادة من ارادات بعض الناس تحصل كثيرا من الاشرار . ولكن نظام الله تعالى العام هو فوق هذه الاغراض الخبيثة . فاذا فرض ونفذ هذا العمل الوحشى المنكر فجزاء الله تعالى

لا يبعد ان يكون الانتقام منه بالقتل أيضا قبل حصوله على بغيته من التمتع . أو يحتمل ان لم تره عين رقيب ان يصيبه الله تعالى بداء عضال يصرف فيه تلك الاموال المحرمه من غير ان يستفيد منها بشيء ماغير الآلام المحزنه والجحيم فى الآخرة . - فوان كان الانسان يريد وله « الحرية » فى كل عمل . غير ان الله تعالى أيضا له الرقابة (ان الله كان عليكم رقيبا) بنظام خاص للحكم العدل بين الجميع حتى لا يكون العالم فوضى ولحفظ حقوق الضعيف من القوي والمظلوم من الظالم وهكذا .... وان اختصاص الله تعالى باعطاء كل حسب نيته (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امريء مانوى) من الطيب والخبيث وتحوير الامور لمجازاة كل بالعدل حسب مايريد ويعمل لاتؤيد مطلقا ان حرية الانسان تتقيد احيانا على نوع ما الا لغرض حفظ النظام العام بين الخلق فقط وتنفيذ الجزاء العدل على الانسان عن كل عمل خيرا أو شرا وان تصور الانسان فى عدم عدل الله تعالى أو تقييد ارادته باى صورة ما بلا سبب أمر لايطيق للخالق الحق سبحانه ولو كشف الله تعالى لنا الغطاء عن الغيب لعلمنا انه تعالى يعطينا من كل ما نريده أو نسأله فيه : (وآتاكم من كل ماسألتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) نعم — اننا لانعلم كل نظام الله الخاص بين عباده من حيث كيفية المراقبة أو الجزاء عن كل عمل . ولكننا نذكر أمورا محسوسة تجرى في العالم يحكم بعدالتها العقل وحسن النظام العام في العالم مما يؤيده القرآن الحكيم . ونقصد ان نظهر ان نظام الله هذا فى الجزاء وان كان فوق الجميع (وما تجزون الا ما كنتم تعملون) غير انه لالغرض منع حرية الارادة ...كلا.... بل لاقامة العدل بين الناس «وهو القاهر فوق عباده وهو اللطيف الخبير » حسب اعمالهم المختلفة اذهو خير الحاكمين

لذلك كانت حرية الارادة فى المخلوق ملازم لها الجزاء من الخالق وهو يعقبها دائما وسنشبع الايضاح عن ذلك في محل آخر . —

﴿ الفتنة ﴾

ان ثبوت حرية الاراده للمخلوق فى هذه الحياة من الامور التى كثر البحث فيها بين علماء الاسلام ولم ينكشف لهم غبار حقائقها للآن . وسنرى بثبوت هذا المبدأ فى مباحثنا ان اكثر العلماء من المسلمين السابقين خلطوا في الدين خلطا كبيرا . — بل

سنوضح بهذا المبدأ مايجب ان تسير به الامة الاسلامية الى الامام بعد هذا الرقاد الطويل . بل بهذا المبدأ سيعرف أغلب ماغمض عن الابصار فى القرآن العظيم الى الآن . — كيف ان الامة الاسلامية تركت هذا المبدأ الاساسى بحيث لو كانت على خطته الحقه الى الآن لكانت الارض بشكل غير شكلها الحالى — وبالطبع لاابالغ اذا قلت ان هذا المبدأ الحق الذى لاشك فيه سيوجب انقلاب الافكار القديمة الخاملة والاعتقادات الوهمية عند المسلمين ليظهر الحق من الباطل وليكون الحق هو السائد الى الأبد

ومن المؤكد ان هذا لايظهر بالبرهان الا بطرقنا امثال المواضيع السابقة البينة ومطابقتها للقرآن العظيم الذى هو اس الدين حتى لاا كون مبتدعا شيئاً جديداً فى الدين أو قولا غير واضح فى القرآن المجيد .

فاذا علمنا بلا شك ان الله تعالى خلق الانسان بتمام استقلاله الذاتى وبحريته المطلقة وانه تعالى رقيب عليه بالنظام الدستورى الذى أوضحنا بعضا منه . فتلك الحرية الممنوحة له طبعا ليست الا ليعلم الله من الانسان أحد أمرين : الايمان أو الكفر كما تقدم فى بيان الغرض منها . فكل مايتبع اعمال الانسان من مقاصد مختلفة واعمال متعددة وأحوال متنوعة فى الحياة بخلاف هذين القصدين لم تك الا مواهب كماليه لازمة للحياة نتيجتها العامة الوصول الى أحد النقطتين المذكورتين السالفتين فى ختام رواية الحياة القصيرة وفي اثنائها أيضا . — ولذلك كان من لوازم حسن نظام الله الدستورى ان يجعل للانسان في حياته نقطة عند مايصل اليها وجب امتحانه في قوة خياره الى أحد النقطتين المذكورتين امتحانا يكون فيه فصل الخطاب ليتأيد فى أحدهما بنفسه وحريته فاما الى الكفر وأما الى الايمان . — واذا أردنا سهولة فهم هذا القصد فان ذلك فى الحقيقة أشبه بالتلميذ الذي يدرس كثيرا من العلوم ويمكث زمنا معلوما يشتغل بها بقصد ان يتعين فى خدمة ما أوفى دائرة معلومه بها يتمتع بنتيجة تعلمه بالمكسب الحلال والفخر الجميل فمن الواجب قبل تعيينه خصوصا اذا كان معه كثيرون من أمثاله أن يعمل الامتحان بينهم ليعلم به درجات كل منهم حسب اجتهاده . — فبالامتحان المذكور تظهر اذا درجة كل فرد في كل علم تناوله فان مضى الامتحان تناول الشهادة الدالة على درجته وان لم يمض الامتحان وسقط فيه رجع القهقرى

وكأنه ماتعب وما عمل شيئاً فكذلك الله تعالى جعل هذا الامتحان الحتمى الواجب ضمن نظامه الدستورى في العالم لنضيف بهذا الامتحان برهانا جديدا يؤيد المبدأ الحق الذى نحن سائرون فى تأييده فى الغرض من المخلوقات وأسباب خلقها كما هو موضح فى القرآن العظيم تمام الايضاح .

ومن تأمل فى هذا التقدير وجده بحق تام لارجعة فيه وعدل مطلق لايشوبه الانتقاد فان نعيم الآخرة شيء هائل فوق التصور ويجب ان يكون مقدم الشكر لله تعالى بحريته فى هذه الحياة متثبتا من الايمان والاخلاص لامتزعزعا (وهو الذى أخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون) فبالايمان وحده سيكون انسان ممتعا فى الجنة الى الابد وبدونه سيكون انسان آخر منغصا فى شقاء الجحيم الى الابد مع ان الاثنين فى نظر الله تعالى فى هذه الحياة قبل الاختلاف واحد (كان الناس امة واحدة فاختلفوا) ورحمته على الاثنين بدرجة واحدة

فأمر هذه الفتنة أو التجربة أو الامتحان مما يؤيد حتما قوة الخيار الموجودة فى الانسان علاوة على ماأثبتناه من الشواهد السالفه . — بل بهذه الفتنة يؤيد الله تعالى فى القرآن هذه الحقيقة وهى تمام حرية الانسان المطلقة في هذه الحياة . — بل تؤيد أيضا كيف يمكنه عمل الوسائل بنفسه باستقلال مطلق لاداء اعماله حسنة دائما للتثبت فى هذا الامتحان أو الفتنة كما يتثبت التلميذ المجتهد طول زمن الدراسة ليكون الامتحان فى الختام سهلا عليه مع تأكده من فوزه على جميع الاقران . — فالمتثبت فى الايمان طول حياته والذي يعمل كل الوسائل لتأييده لايكون كغيره الذى ترك نفسه وتهاون . والتلميذ الذى يلعب طول السنة ثم عند الامتحان يعمل مجهودات كثيرة لترفع درجته ربما سقط لان بضاعته قليلة عن المجد المجتهد طول السنة كما ان هؤلاء ايضا لايتساويان بمن تعلم درسه ثم ترك المدرسة باهوائه بلا امتحان غير مبال بالحرمان من كل شيء فى المستقبل ليلقى بنفسه فى هاوية الجهل ولا يعلم بنتائجها الوخيمة

فبالفتنة أو الامتحان يعلم الله تعالى مركز الانسان من قوة الثبات فيما تحصل عليه من الايمان ولذا قال تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد

فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » . هذه آية من القرآن الكريم لم تذكر عبثا ولا اعتراضا فيها وبغيرها يتأكد المطالع مما نؤيده من لزوم الفتنة أو الامتحان من الله تعالى للمؤمن . ولولا ان الله تعالى خلق الانسان مستقلا وبتمام حريته لما حتم على المؤمن الفتنة المذكورة التى هى أشبه بالامتحان كما سبق . فبالفتنة يعلم الله تعالى مقدار تثبت المؤمن من الايمان وبالفتنة يعلم الله تعالى تخلخل المفتون بالايمان وكذبه مما لم يكن يعلمه منه لولاها . وبتلك الفتنة يكون كشف النقاب عن الحقيقة المقصودة من الثبات في الايمان . — فمن شواهد القرآن العظيم على ذلك أيضا ايمان قوم موسى عليه السلام فانهم كانوا ضعفاء الايمان بسبب ما ظهر منهم فى عبادة العجل بعد الايمان بالله تعالى بمجرد أن تركهم نبيهم . ومن الآية الآتية نعلم صحة هذا الامر الواجب حصوله مع كل المؤمنين بحسب الوسط الذي هم فيه بطرق متنوعة فقال تعالى : « وما أعجلك عن قومك يا موسى . قال هم أولاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى . قال فانا قد فتنا قومك من بعدك (لان الفتنة أمر لازم) وأضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى . قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرًّا ولا نفعا . ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى »

هذا وان أمر الفتنة فى الدين تحصل حسب الزمان والمكان واختلاف الاحوال فى الامم والافراد والرسل . اذ الغرض من الجميع واحد وان تنوعت الاسباب قلت أو كثرت فهى لم تك الا واسطة في الحصول على النتيجة العامة التى وضع الله الانسان عليها فى الارض وخلقه في أحوال مختلفة لاداء الغرض منها وهو الايمان .

فمن ذلك مدة النبي عليه الصلاة والسلام عن القبلة فانه لما هاجر كان يستقبل أثناء الصلاة بيت المقدس ثم أمره الله تعالى بعد ذلك باستقبال القبلة التى كان يستقبلها قبل الهجرة وهى الكعبة . فعلم ذلك منه خلق كثير من الذين آمنوا بالله وبه وتأملوا في هذا الانقلاب

والتردد فشكوا في الحال في ايمانهم واطاعتهم له وخصوصاً كان فريق من اليهود الذين آمنوا به يتوجهون عند الصلاة الى بيت المقدس أولا كشريعة موسى عليه السلام . ولما رأوا النبي عليه الصلاة والسلام كان يتوجه فى الصلاة الى بيت المقدس مثلهم فرحوا بذلك وآمنوا به وعندما صدع بالامر الاخير بترك هذه القبلة الى استقبال الكعبة تخاخلوا فى الحال في ايمانهم حتى ارتد أكثرهم بالثانى عن الاسلام . ولكن جعل الله تعالى هذا الانقلاب بأمره بقصد الفتنة أو الامتحان المحتم نفاذه على من آمن بحسب ظروف الاحوال ليعلم الله تعالى منه المتثبت فى الايمان من غيره ويعلم أيضا من يتبع النبي فى كل أوامره ونواهيه بحسب حريته الشخصية ولذا قال تعالى : « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها (أى قبل الهجرة وهى الكعبة) الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب علي عقبيه وان كانت لكبيرة أى على اليهود الذين آمنوا بالنبي وكانوا يستقبلون بيت المقدس قبل رسالته) الا على الذين هدى الله (أي الذين تثبتوا جيداً فى الايمان من أولئك اليهود وغيرهم فاهتدوا وثبتهم الله تعالى في الهداية كما اختاروها من أنفسهم حسب المبادىء السالفة بحريتهم ولم يزعزعهم هذا الانقلاب) وما كان الله (أي يقصد بذلك) ليضيع ايمانكم (أى بمثل هذا الارتداد عن الايمان من فتنة هذا الانقلاب والتغيير في التوجه الى القبلة بل كان غرضه وقصده ثباتكم في الفتنة على الايمان ليزيدكم رحمة) ان الله بالناس لرؤف رحيم) لانه تعالى يرغب الايمان للجميع اذ فيه وبه كل الرحمة ولكن بلزوم نفاذ النظام العام الذى سنه لجميع البشر على اختلاف الرسل ومنه هذه الفتنة فانها الحق الذى يعترف به العقل وبها يعلم الله تعالى هل الانسان يثبت في الايمان الى النهاية أو يتخاخل من أقل تأثير !

ومن وسائط الافتتان أيضا الخوف في المعيشة أو الجوع فى الحرب أو المجاعة الانسانية أو هلاك الزرع أو الموت على تنوعه وهى أمور تعترض أكثر المخلوقات في الحياة يومياً كقوله تعالى : ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين . — ومن الفتنة أيضا تفرق الدرجات فى الرزق وغيره فربما تجد غنيا فاسقا عديم الايمان كثير الرزق والخيرات والاموال وآخر مؤمنا مخلصا فقيرا أو متوسطا فالفقير الاكثر ايمانا ربما يفتتن بحالة الغنى ويتغيظ في نفسه من الله تعالى بسبب هذا الفرق

فيضعف ايمانه مع ان الايمان والتثبت فيه أحسن عاقبة من الاموال عند الله فى الدنيا والآخرة اذ من المحتمل اذا ثبت الفقير على الايمان وصبر ولم يقع في الفتنة بسبب كثرة أموال الغنى الفاسق أن ينقلب الامر ويصير الغني فقيرا في أتعس الحالات والفقير غنيا ويكون بثباته على الايمان مهما تقلب الحال أحسن مآلا بغناه في الدنيا علاوة على تمتعه الابدي المقبل ولذا قال تعالى في الآية : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين » أي سواء كان غنيا أو فقيرا ومن المحتمل أن يكون الغنى شاكرا وأفضل بكثير من الفقير الذى ربما كان فقره أيضا علة لمضايقته ليبتعد عن المحارم التى ينغمس فيها اذا اغتنى وليلتجأ من شدة الفقر الى تذكر الله تعالى والالتجاء اليه فيهتدى بالايمان حتى يفرج عنه بعد ان يهذبه الايمان والهداية وتكون له السعادة المقبله الابديه وهى خير مما لو أمده الله تعالى بالغنى فينهمك فى الضلال حتى يؤول به الى الجحيم فيكون الفقر له من الله تعالى بهذه الكيفية طريقا لتوصله الى السعاده الروحيه ولو أمكنا ان نكشف أحوال كل الناس الخصوصية ومافي ضمير كل نحو خالقه من حيث الايمان والكفر لاوضحنا الاسباب لكل انسان عن علل أحواله سواء كان غنيا أوفقيرا ولقلنا له بنتيجة مآله ولكن ذلك نظام عام حق وعدل من خالق رحيم يعرف كيف يسير نظامه على عباده بحيث يقربهم بقدر الامكان الى الرحمة منها الى الهلاك والعلم بضمائر الافراد وما تكنه صدورهم من خصائصه وحده اذ هو بكل شيء عليم وعليم بذات الصدور

ومن الفتنة وسوسة الشيطان للانسان فانها لاتأثير لها مطلقا اذا تنحى عنها الانسان ولم يعمل بها كأنها لم تكن . ولذلك أمر الله تعالى الانسان فى القرآن بالتمسك بالايمان الذى يريده له وعدم الوقوع في فتنة وسوسة الشيطان كما وقع آدم عليه السلام في قوله تعالى : (يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) فوسوسة الشيطان في الحقيقة لاتأثير لها مطلقا على ايمان الانسان أو أي خطاء بسيط يرتكبه الا اذا كان بارادة الانسان المستقلة وتمام حريته ولذلك ترك الله تعالى للشيطان تمام حريته في الوسوسة للانسان بقدر مايستطيع لانه مهما فعل لاتؤثر على الانسان بشيء مطلقا الا اذا اتبعها بتمام اختياره الذاتى « واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك

وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا» والله تعالى لم يترك الشيطان يوسوس للانسان بقدر المستطاع مع عدم فائدتها الا اذا اختارها الانسان ليس لقصد الايقاع بالانسان بقدر الامكان بل لتكون له كامتحان وفتنة تظهر لله تعالى من المتمسك من بنى الانسان بحقيقة الايمان فلا يتبعها باختياره ومن من بنى الانسان يتبعها لتؤدى به الى الكفر والخسران بتمام اختياره ولذا قال تعالى : (وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك منها وربك على كل شيء حفيظ) وقال تعالى أيضا (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك) أى بتمام حريته وقال تعالى أيضا (وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم) فالشيطان سيؤنب من اتبعه يوم القيامة بقوة برهانه أيضا

وهو ان وسوسته لاتأثير لها ولا سلطان على ارادة الانسان الحرة مطلقا بل اذا اتبعها الانسان فيكون ذلك بتمام اختياره الذاتى فهو احق بلوم ذاته من ان يلوم الشيطان. — ومن الفتنة الاموال والاولاد أيضا كما فى قوله تعالى : (واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة) . اذ من المحتمل ان يكون انسان عنده ذرية وكان مؤمنا مخلصا لله تعالى فاذا ماتت ذريته أو ذهبت أمواله بسبب عدل حق تحول باطنه نحو الله تعالى بالشك وربما ارتد من من غيظه عن الايمان الى الكفر . وانه لايفعل ذلك الا من كان ايمانه ضعيفا متزعزعا فتكون الاموال أوالاولاد له بهذه الصورة كفتنة أوامتحان ليري منه الله تعالى نقطة الفصل أما الثبات على الايمان الى النهاية أو الرجوع الى الكفران ولربما تفعل المصائب مع بعض الناس عكس ذلك فينقلب بعد المصيبة الى التضرع والايمان اذلايجب ان نفهم ان الغرض من الفتنة هى أمر فوق طاقة الانسان يصيبه الله تعالى به بلاحق . كلا... بل من حوادث حياة الانسان المختلفة ويكون النظام العام داعيا لاحد هذه الفتن بحق مطلق حسب أعمال الانسان واكتسابه الذاتى . — فقد يجازى بالسيء لبعض اعمال سيئة اكتسبها ومضت فيجازى بها فى وقت ربما تاه عن فكره سوء عمله أو ربما شرع فى عمل البر فيختبره الله تعالى ليرى منه الى أى درجة سيتمسك بعمل البر والتقوى مع ذلك الجزاء المؤلم الذى يستحقه فيعترض على الخالق سبحانه ويضعف ايمانه لتوهمه انه لايستحق

هذا الجزاء مع علمه في نفسه انه يعمل البر والتقوى وبذلك يكون هذا الجزاء الذى أصيب به بحق عن خطاء سابق تناساه كفتنه أو امتحان حتى اذا ثبت في الاخلاص والتقوى كان له الفوز العظيم

وقد يكتسب الانسان عمل الخير والتقوى ويستمر زمنا مخلصا لله تعالى وهو مازال فقيرا فاذا رأى غنيا كافرا أو فاسقا قد مد الله له الرزق فربما يفتتن به ويتحول باطنه الى الفجور بدل التقوى فيصيبه الله تعالى بالخير الذى هو جزاء عمله البر واخلاصه الاول ليمتحنه الله تعالى به ويفتنه فيه ليرى منه الى أى درجة سيسىء الظن بخالقه الذى كان له بالامس تقيا مخلصا فيكون العطاء والحرمان بقصد الامتحان اللازم وقوعه على كل نفس حسب ظروف أحوالها وعلى كل حال فالله تعالى لم يعط هذا الانسان الا مايستحقه من خير أوشر جزاء عادلا : « وما تجزون الا ما كنتم تعملون » ومن الفتنة أيضا في الدين . فتنة تصديق النبى عليه الصلاة والسلام تصديقا عاما فى كل مايقوله وحيا عن أمر الله تعالى فى الكتاب وذلك كالاسراء به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصي . فان كثيرا من ضعفاء الايمان بالله تعالى وقدرته على كل شىء يعتقدون المحال فى ذلك ويقولون انها أوهام خرافيه بل يقولون كيف يسري به ليلا بهذه الصفة مع هذا البعد الشاسع فيكون ذلك فتنة للناس ليظهر المتثبت بالايمان وبكل ما يقوله الله والرسول ممن يكذبه ويحيد عن السراط المستقيم ولذا قال تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الافتنة للناس» أى لاختبار ايمانهم فى التصديق العام واذا أردنا ان نحصر أسباب الفتنة لقلنا ان أى حادث أو أي شىء فى العالم قد يكون فيه للانسان فتنة فتلك الحياة لم تك الالغرض اختبار هذا الانسان وغيره في نقطة الايمان بخالقه والشكر له باخلاص في تنوع أطوار الحياه . — ومن تأمل لاقوال الطبيعيين والماديين والدهريين والفلاسفة المخالفة آراؤهم لحقائق الدين وجميع الاديان المغايرة لدين الاسلام وأقوال المسلمين المختلفة وأعمالهم المتعددة واعتقاداتهم الخارجة عن الدين كل ذلك فتنة لمثل أولئك الافراد الذين متعهم الله بالعقل والحرية فيما يقولون ويفعلون وهم بانفسهم عن التفكر وراء الحق غافلون

وقد جعل الله تعالى وضع القرآن وآياته فتنة أيضا لان قليل الفهم والاخلاص لله

تعالى يتخيل له من بعض آياته نوع التضاد وعدم الاتحاد في المقصد كاختلاف بعض علماء الاسلام في كيفية اكتساب الانسان . مع ان الانسان لو تمعن جيدا لرآي من اتحاد كلام الله تعالى اتحادا محكما في أى مقصد مع عدم مخالفة أى آية لاخرى في موضوع واحد مايدهشه من تلك المعاني السامية التي تعجز عنها البشر عجزا تاما . فبمثل ذلك يتثبت المخلص العاقل ويعلم الحق من تلك الآيات الباهرة . وبمثل ذلك يسير المضل بنفسه على أى آية يوافق ظاهرها مبتغاه من الضلال فتكون له فتنة بسبب ذلك لاختياره الباطل عن الحق الواضح . — اذ من المحتمل ان يفهم انسان من القرآن آيات ويحملها على غير قصدها من الحقائق الظاهرة والتثبت من الاخلاص لله تعالى فيهوى في الضلال بسوء افكاره واوهامه ولا يهتدي الى الابد . ولذا نقول ان كل مسلم اذا طالع آية ورآى من معناها انها مخالفة لما في نفسه من الحقائق البديهية الواضحة فليعلم ان مقصده منها بعيدا . ولقد وقعت الامة الاسلامية على اختلافها من بداء نشاءتها بعد الاربعة الخلفاء الراشدين تقريبا الى الآن في جميع الفتن المتنوعة وكان أولها فتنة القرآن العظيم « وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين » فالقرآن ليس له الا تفسير واحد وليس له الا معنى واحد وليس له جملة معان أو تفاسير مختلفة متنوعة وان اختيار افراد الامة الاسلامية على اختلافها للآن لاراء مختلفة عن كل غرض في القرآن تقريبا هو عين الفتنة وكل الفتنة . — فتشتت بذلك الاراء والاقوال والاعتقادات والافهام حتى انقسمت الامة الآن انقساما متعددا شذرا مذرا لانهاية له والحقيقة ان القرآن العظيم له قصد واحد ثابت لا يتغير وان تشعبت الاراء ولا ابالغ اذا قلت ان افتتان الامة الاسلامية بالقرآن هو سبب انقسامها وضعفها واضمحلالها وضلالها في تيه الاوهام وما ذلك الا لان أغلب الافراد مازالوا بمقاصده يتخبطون وبما في الكتاب من النور لا يعقلون . — ونظرا لسنة الترقي الثابتة في العالم كان من اللازم الرجوع في مثل تلك الاحوال الى « مؤتمر اسلامي عام » يكون قراره فصل الخطاب في امثال هذه الاختلافات القديمة المؤلمة والخرافات المستحدثة التي كانت سببا في تلاشي أغلب الامم . — وقد أنزل الله القرآن رحمة لما فيه من النور الهادي الى أجل الطرق وأحسنها استقامة . ولكن الامة الاسلامية بالعكس جعلته نقمة على نفسها من فتنتها به مما لم يرده الله تعالى

لها مطلقا . ولو استمروا على ذلك لزادوا في الضلال والانقسام الى يوم القيامة ولكانوا أكثر الامم مسؤلية امام الخالق القاهر الذى لا يحابى أمة على أخرى «بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره» وانهم فى امكانهم الخلاص من فتنة هذا القرآن الحكيم باخلاصهم اذا أعاروه نظرة تعقل جديدة صحيحة . «هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات . فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الالباب .»

فقول الله تعالى «وما يعلم تأويله الا الله» أى تأويله كله بحقيقة الاحوال تماما تأويلا كمن يرى شيأ واضحا رأى العين فان الله تعالى يخبر فيه عن الامم الماضية والاحوال المستقبلة عن يوم القيامة وتتأجج العامة فكل هذه الحقائق بتشخيصها الذاتى الاصلى لا يعلمه أحد طبعا الا الله تعالى . (والراسخون في العلم) أى الذين يرون الحقائق التى في نفوسهم وبين أيديهم مطابقة لما جاء به القرآن العظيم تماما ويقيسون بهذه الحقائق ما أخبر به الله تعالى عن الامم الماضية والاحوال المقبلة فيرون بتمام الانطباق انه محتم حصوله بسبب ما عندهم من العلم وان كانوا لا ينظرون المستقبل بأعينهم كما يعاينه الله تعالى تماما . ولكنهم بتمكنهم من العلوم بالكيفية المذكورة مما يجعلهم كأنهم يعلمون بكل ما يذكره القرآن مهما تشابهت الآيات فانهم يعرفون حقيقة مراميها الجليلة فتجعلهم يتبينون زيادة فى الايمان لمطابقتها لعلمهم الصحيح تمام الانطباق (يقولون آمنا به) بسبب علمهم (كل من عند ربنا) أى حق لا تصادفه ولا اختلاف في الفهم ولا شبهة (وما يذكر) أى هذه الملحوظات التى يوضحها القرآن للحذر من الوقوع في الفتنة (الا أولوا الالباب) أى المؤمنون المخلصون الذين يعقلون.

ومن الفتنة للناس عند بعثة النبى ونزول القرآن ما كان يلقيه الشيطان بالوسوسة للنبى فيقوله لفظا ثم يمحوه الله تعالى فى الحال بحقيقة الوحى وليكون ما ألقاه الشيطان فتنة للمتخالج فى الايمان بالنبى والقرآن كقوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد

وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم .) فالفتنة تقريبا تلحق كل شيء كما تقدم والكل يرمى الى غرض واحد هو علة وجود الانسان في هذه الحياة ليعلم الله تعالى المتثبت في الايمان بتمام حريته واستقلاله الذاتى من عدمه . ومن الفتنة مايصيب الانسان من الاذي بلاسبب غير كونه ينتصر للحق والفضيلة ويعمل الواجب الذي يتأكد منه ومن فوائده . وذلك أشبه بالمؤمن الذى يدعو الناس الى الاسلام للخالق فيؤذونه لجهلهم بسبب ذلك فيغضب في نفسه ان شاء ويقول كيف أدعو الناس بالحسنى الى دين الله الحق والله يجعلهم يوذونني ولا يردعهم بقدوته مع انه لاذنب لى غير تأييد كلماته وأوامر دينه . وان شاء زادته الاذية ايمانا بالله وتثبتا فى تأييد كلماته ودينه ان عقل فتكون أذية الناس له فى هذه الحالة وترك الله تعالى لهم يعملونها ضده فتنة أو امتحانا له من الله تعالى ليعلم الله بها الى أى مقدار من الثبات يتمسك بالاخلاص والايمان العظيم . « ما كان الله ليذر المؤمنين على ماأنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » ومن اطلع على التواريخ علم كيف يعامل الله الناس جميعا بشكل واحد ونظام ثابت فلينظر مثلا الى مشاهير الرجال من المخترعين كيف يكدون ويدأبون ويذوقون التعب الوانا حتى ينكشف لهم شيء من بصيص نور اختراع مفيد .

ثم لتنظر الى عظماء الرجال من زعماء الامم الراقية السعيدة كيف هم يثبتون الى النهاية فى المطالبة بأمور طبيعية حقه وعادله ممن ينكرها عليهم وكيف هم ينتصرون من الله في الختام (وما النصر الا من عند الله) فهذا تاريخ الحكم الدستوري فى البلاد الانكليزية وكيف يجنون منه شهد التمتع الى الآن ثم تاريخ الحكم الجمهورى فى البلاد الفرنساوية والامريكية وكيف نالوا به رحيق السعادة والكمال . فكل ذلك نال فيه مؤسسوه الذين تأكدوا من فوائده الجمه أشد الاتعاب والالام وتلك الاوصاب ليست لهم جزاء من الله تعالى بل هى فتنة حتى اذا ثبتوا في الحصول على مافيه سعادة البشر ورحمة الخالق كان لهم منه النصر المؤكد والفوز في الختام .

ثم لننظر الى مكتشف امريكا (خريستوف كولمب) وكيف قاسى من الاهوال والالام

التعذيب والتعب والغربة وهو مازال يجد ويكد حتى اكتشف قارة صارت فى هذا الزمن منبع العلم والمدنية والاكتشافات الجليلة وان ثباته في العمل للوصول الى حقيقة يعلمها اداه لان يحوز هذه الشهرة وهذا الاسم المخلد

ولو أردنا ان نثبت مشاهير الرجال فى صدر الاسلام الذين حازوا قصب المجد والفخار بثباتهم أو الذين تثبتوا من غيرهم على مبداء مفيد يعلمونه ويريدون ظهوره لضاق بنا المقام والتواريخ على اختلافها لم تك الا مرآة لمن تثبت في الاعمال الجليلة وذاق الام الشدائد لتأييد الحق والفضيلة والمجد ممن كان منهم كالرماد الذى يتبعثر لاقل تأثير . — فهذه الالام المتنوعة التى يقاسيها الرجال للوصول الى غرض حق شريف لم تك لهم من الله تعالى جزاء لهم لحسن اعمالهم . كلا — بل هى فتنة لهم ليعلم الله تعالى بها مقدار ثباتهم فيها . اذ كل عمل شريف عام فى الارض اساسه الايمان بالله تعالى والله يعلم اذا استمروا على الثبات فيه كان لهم منه بقدرته النصر المؤكد والمستقبل العظيم

ومن تأمل لبعض افراد الاوروبيين النوابغ ومايفعلونه الآن نعلم منهم كيف ان أحدهم اذا نظر بمرآة فكره الى أمر عام مفيد للبشر كيف يثبت فيه الى النهاية بتمام حريته واختياره حتى يناله أو يموت في ثباته وما ذلك الا لانهم علموا هذه الحقائق الالهية ممن سبقهم بالتجارب العملية . حتى صارت عند العقلاء منهم كقاعدة ثابتة طبيعية واذا غيمت عليهم سحب الآلام والمعارضة وعدم الظفر كنوا كمون النار حتى اذا انقشعت الغيوم عادوا لاعمالهم المجيدة بثبات لايتزعزع . — فافراد العالم فى نظر الله تعالى واحد وما الاعمال العامة المفيدة للبشر في نظر الله الاواحده أيضا مهما تنوعت ومهما كان وسطها وفاعلها فالعمل الصالح عنوان الايمان وان الآلام التى يقاسونها لنوال غرض شريف حق هى فتنة لهم من الله تعالى ليعلم بها منهم مقدار ثباتهم فيها ليجازيهم بها أحسن الجزاء مع علمهم بالتجارب أيضا نصرهم المؤكد حتى اذا ماتوا كان لاعمالهم أثرا لايمحوه الدهر

وهؤلاء الاروبيين لم يقرؤا القرآن مثلنا ولم يعلموا ان فيه مبداء شريفا حقا كهذا ولكنهم ساروا فى العمل الصالح في الطريق الطبيعى الذي تؤيده نفوسهم وعقولهم بحق ورزانة ومثل هذا لايخالف القرآن مطلقا لان الله تعالى يقول عن القرآن انه دين الفطرة

(فطرة الله التي فطر الناس عليها) أي الدين المؤسسة مبادئه على ما تجبلت عليه المخلوقات في وضعها الطبيعي من يد الخالق اذا استعملت مواهبها الذاتية بحريتها الممنوحة لها بالحق والعقل تام . بل قال تعالى أيضا ان مافي هذا القرآن من مثل تلك المبادئ العالية الحكيمة الخفية عن كثيرين ستظهرها مكنونات الانفس وتجاربها في تاريخ العالم لتنطبق على مافي القرآن تماما على ممر الدهور والزمن كما في الآية (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) واذا تركنا هؤلاء القوم جانبا وتأملنا لاعمال الرسل الكرام جميعا نجدانهم تمسكوا بهذا المبدأ لتأكدهم من الايمان العظيم بالله . فمهما أساء لهم القوم ولو أدى ذلك الى قتل بعضهم لا يتنازلون عن بث الحقائق الروحية وحث الناس على اختلافها بالايمان والعمل الصالح المفيد كما في الآية : (حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) . فقول الله تعالى (حتى اذا استيأس الرسل) أي من بث الحقائق على آخر طاقتهم البشرية . (وظنوا انهم قد كذبوا) بسبب ان الله تعالى لا يدفع عنهم أذى ومقاومة المعارضين ليعلم منهم مقدار ثباتهم في الدعوة الى الله المكلفين منه بادائها وفي آن واحد ليعلم مقدار جحود الناس بهم الى النهاية (جاءهم نصرنا) أي المضمون حصوله بلا شك لمن طالب بالحق مهما نال من التعب أو طالت عليه المدة كما انه بالعكس يستحيل انتصار من ينتصر للباطل مهما كانت قوته الاليمة (ولا يرد بأسنا) أي في الختام بعد هذا العناء واليأس من النصر (عن القوم المجرمين) المستحقين انتقام الله العادل . وبعض من المؤمنين المخلصين يلتبث عليهم الامر اثناء الفتنة فيكون ذلك داعيا للشك في ايمانهم ولربما اذا تتبعوا خطوات الشيطان بحريتهم ترجعهم تلك الفتنة القهقرى لتخيلهم ان الله تعالى يصيبهم بها بلاحق فيقولون ماهي ذنوبنا التي أدت الى مايصيبنا به الخالق من تلك الآلام مع ان ذلك يكون لهم من الله تعالى فتنة لاختبارهم في شدة تمسكهم بالايمان الى النهاية من عدمه كما يعرف ذلك من الآية : (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله) أي أوذي بسبب عمله الصالح العام الذي لم يقصد به الا وجه الله تعالى (جعل فتنة الناس) أي التي قرر الله تعالى عملها مع الناس لامتحانهم وليعلم بها منهم مقدار ثباتهم في الايمان والاخلاص (كعذاب الله) أي كالعذاب الذي يجازي به الله تعالى

عباده لسوء أعمالهم مع ان ذلك فرق كبير وبون شاسع بين اصابة الله تعالى للمؤمن بقصد الفتنه واصابته للناس بالجزاء لسوء أعمالهم (ولئن جاءهم نصر من ربك) أى نوالهم كل ماينمنونه فى الختام بعد عذاب هذه الفتنة التى قلبوا حقيقة الغرض منها وجعلوها كعذاب الله عن السيئات بلا نصر ومكافئة فى الختام (ليقولن انا كنا معكم) أي يدعون باطلا بانهم ثبتوا فى الاخلاص فى سراء الايمان وضراء الفتنة (اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين) أى انهم يجهلون ان الله تعالى لا يعلم الشك الذى خالط قلوبهم من توهمهم بتساوى العذاب بالفتنة من غير فائدة ختاميه .

ومن الامم الذين تقلبوا فى الفتن وسقطوا فيها ولم يثبتوا في الاخلاص بنوا اسرائيل اذ يقول الله تعالى عنهم : (وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون)

ويتضح لنا من الآيات الكثيرة السالفة ومما أوضحناه فى مقدمة هذا الباب حقيقة النظام والكيفية التى رسمها الله تعالى في معاملة عباده مما يوضحه القرآن العظيم من أمر هذه الفتنة التى هى كما مر أشبه بامتحان ليختبر الله تعالى بها مقدار ثبات الانسان على الايمان بمطلق حريته واستقلاله الذاتى وانها تؤيد هذا المبدأ الحق (مبدأ استقلال النفس الذاتى وحريتها المطلقه فى الخيار) مما لا يمكن لاحد نكرانه مطلقا بالعقل والبداهة والقرآن وفى ذلك ذكري للمؤمنين . اهـ

القضاء والقدر

اذا تأمل العاقل لاى عمل عام فى الارض مما يعمله بنو الانسان مهما كان لوجد له نظاما مايسير عليه وذلك كنظام الحكومات مثلا على اختلافها والشركات المتنوعة أو المدارس أو الجمعيات أو ... او ... فكل عمل عمومى لابد له من نظام خاص يسير عليه اشبه بقانون اذ لولا ذلك لانقلب كل شيء الي حالة الفوضى لعدم وجود دستور يركن اليه أو نظام يلتجأ الى أسلوبه . وهو مانرى لزومه في أى ادارة في العالم وان تنوعت النظامات من حيث صحتها وفسادها اذ ضرورة النظام موجودة على كل حال .

فمثلا . . . الحكومة . . تجد فيها نظاما يختص برئيسها الاكبر ثم بمرؤسيه حسب درجاتهم ثم بمرتباتهم وأعمالهم وسيرهم ومعاشاتهم وكيفية أعمالهم . . . الخ . . . وكذا المدارس فتجد لها نظاما خاصا لادارتها منها مايتعلق بالرئيس ومنها مايتعلق بمن هم دونه ومنها مايتعلق بالاساتذة ومنها مايتعلق بالتلامذة وعلاقة هؤلاء باساتذتهم وكيفيه اقامتهم وتدريسهم وامتحانهم و . . . و . . . الخ مما لايمكننا تعداده ولولا هذه النظامات ووجودها وتحديدها ووجوب تنفيذ السير بمقتضاها لانمحى شيء يسمى حكومه ولانمحى شيء يسمى مدرسه وهكذا فالنظام اساس كل عمل فى العالم

واذا كانت المخلوقات فى معاملاتها الشخصيه لابد لها من نظام خاص فى أى عمل فهل لايجب ان يكون الخالق الذى خلق هذا العالم وما فيه له نظام عام أيضا على الجميع؟ . . . . . انى افتكر ان الجواب لابد وان يكون بالايجاب حتما من كل عاقل

ولكن يجب ان تتبصر بالعقل فى الفرق بين نظام الخالق والمخلوق من كل وجوهه بما يليق لكل من الطرفين . . . فالحكومات مثلا ماتكونت الا بالتدريج على ممر الدهور حتى ترقت وتدريت وصار لها قوانينا ثابتة تقريبا لاتتغير الا بمقتضى الاحوال وطبقا للاختيار ولو فرض وتوجه جماعة متمدنون بقانون من احدى الحكومات المتمدنةوادخله على قوم لايعرفون النظام كالبدو في الجبال ومرنوهم عليه تدريجيا فلا يلبثون حتى تلبسهم حلة الحكومة النظامية كالحكومة التى اقتبس منها هذا القانون . — وعلى ذلك فالقوانين والنظامات الانسانية لم تتواجد فى يد الانسان عفوا بل تواجدت بالتعليم على ممر الزمن حتى يتيقن الانسان من كثرة تجاربه انها الاليق لنظام الاعمال التى يرغب ادارتها على تنوعها الكثير . — ولكن . . . . . هل يجوز ان يكون نظام الله تعالى بمثل ذلك ؟ . . أى يكون بعد الاختبار والتجربه ؟ . . . الجواب . . . كلا طبعا . . . لانه تعالى اوجد كل شى بمطلق قدرته وعلمه حيث لم يكن . . فلا يجب ولا يليق ان نقول انه تعالى يختبر سير المخلوقات حتي يسن لها نظاما عاما يسيرها عليه ويعاملها به بل الاليق الذى يستوجبه العقل واللائق لكماله المطلق ان يكون من تكون هذه قدرته فى الخلق والواجب له كل كمال ان يسن نظام الخلق الذى يسيرهم عليه قبل ان يوجدهم فعلا فى الوجود لانه بالطبع كما خلقهم

يعلم مايمكنهم ان يتقلبوا فيه . وهو ما كان وقد حصل . يثبت ذلك النظام الحق فى القرآن العظيم قوله تعالى : (ماأصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها (أى نخلقها) ان ذلك على الله يسير .) فهذه الآية تؤيد لزوم هذا النظام ووجوده قبل ان يوجد الله الخلق سبحانه . . . وهو اللائق لعلمه الواسع المطلق .

وتلك النظامات التي كتبها الخالق فى كتاب عنده هو المسمى في القرآن العظيم (بأم الكتاب) .... وليس الغرض منه التذكر عند السهو أو المراجعة عند النسيان ... كلا . ان ذلك لا يليق لله تعالى لان له الكمال المطلق كما سبق ... بل ليفهم المخلوق .. كيف ان الله تعالى القادر على كل شيء والعالم بكل أمر يفعل هذا النظام الدستورى الحق ويسير الخلق عليه بحسب تقلباتهم المختلفة في الازمان الطويلة من بداء الخلقة الى الابدية ليأكد فى نفسه ويتيقن عدل الخالق المطلق العام على الجميع بوجود قانون عام وللزوم ان يتخذ الانسان لنفسه فى كل عمل يرغب اداءه أو السير عليه نظاما أساسيا كما تفعل الحكومات الدستورية المنتظمة ومن بيدهم اعمالا عامة منتظمة ولتمجيد الخالق سبحانه على علمه المطلق الواسع لحصره كل شيء حدث وسيحدث في المستقبل وتلك النظامات المذكورة المتعلقة بالخالق والمخلوق المكتوبة فى أم الكتاب المذكور قبل الخلق هى ماتسمى فى الدين (بالقضاء والقدر) أو (القانون الالهى العام لدستورى) . وبالطبع يجب ان لاننسى انه من اللازم ان يكون مبنيا على أساس ثابت هو : (الوهية الخالق سبحانه وحده وعبودية سواه من المخلوقات) الذى هو الغرض الحق من وجودنا العام بقدرة الخالق

وان تلك النظامات الالهية بالطبع لاحد لها بالنسبة لنا ويعجز كل مخلوق عن حصرها لانها عبارة عن علم الله تعالى المطلق فيما يختص بعلاقته بكل المخلوقات التى أوجدها

غير ان ذلك لايمنعنا عن ايضاح بعضها اذ القرآن العظيم يشتمل على مافي أم الكتاب فمنه يمكن للمجتهد ان يقتبس ماشاء فيما يتعلق بكل نظام في الارض والسماء طبقا لعلومه الخاصة (والله يؤتى الحكمة من يشاء) . — ونحن نشير الى بعض النقط المهمة التى تخص بنى الانسان خاصة فيما يتعلق بالغرض من وجودهم في هذا العالم وارتباطهم بالخالق ومايوضحه الله تعالي لهم لتتميم واجباتهم الخاصة كاشارة القرآن العظيم اذان ذلك هو مايهم الانسان بالذات

فأول شيء في أم الكتاب هو بالطبع مايختص بالخالق ثم مايختص بالمخلوقات حسب درجاتهم لان النظامات الانسانية مبنية على ذلك من تقديم الرئيس على المرؤس وهو اللائق في العقل أيضا لان تكون عليه نظامات الخالق سبحانه في أم الكتاب فالعقل الانساني ان تعمد الحق لايخطا ولا يعمى وان كان الحكم مجهولا

فمن هذه النظامات الدستورية بل أولها ما كان العلة الوحيدة في وجود الخلق الا وهو منح الله تعالى « الحرية » لكل مخلوق ليقدم لذاته العبودية والشكر بتمام الاختيار وهي الكلمة الاولى التي سبقت كل شيء كقوله تعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي في منح المخلوق « الحرية » في هذه الحياة لانها الاساس المبني عليه أحقية وجود العالم ومافيه وبدونها كان العالم باطلا في وجوده .

ومنها « الرحمة » من الخالق على المخلوقات كما قال تعالى : « كتب على نفسه الرحمة » أي في أم الكتاب

ومنها احتجاب الله المطلق في هذه الحياة عن كل المخلوقات بلا استثناء كقوله تعالى لموسى عليه السلام عند سؤاله : « رب أرني انظر اليك قال لن ترانى » فقول الله تعالى لنبيه عليه السلام : « لن ترانى » يفهم منه ان احتجاب الله تعالى عن المخلوق ليس خاصا بموسى عليه السلام . بل هو ذكر ليعلمه كل مخلوق ان ذلك عام على الجميع في هذه الحياة بلا استثناء وسبب ذلك وجوب (كمال الله المطلق) أثناء حرية المخلوقات في هذه الحياة — اذ مادام المخلوق بحريته فمن المحتمل ان تؤديه تلك الحريه الى تمثيل الخالق سبحانه بما لايليق كفرا منه أو ان يتصور الخالق بكفره تصورا لايليق. فاحتجاب الله المطلق تقرر بازاء حرية المخلوق ليس الا حفظا لكماله تعالى من المساس ولو بالخيال ولذا قال تعالى : (لاتدركه الابصار) أي العقول لنفس هذه العلة . — بل للزوم شدة التحفظ على كمال الخالق سبحانه أمر المؤمن ان لايسب بلسانه من يكفر و يشرك بالخالق منعا لتعدى المشرك على سب الخالق سبحانه الذي يؤمن به المؤمن فقال تعالى : (ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)

وكل ذلك ذكره الله تعالى ليبين للمؤمن مقدار ما يجب أن يكون عليه الخالق من

الجلال والكمال حتى لا يذكر اسمه تعالى بازاء النقيصة بسبب حرية المخلوق فى هذه الحياة فكيف لا يتقرر احتجاب الله تعالى المطلق فى نظام الخالق وذاته العلية تتعالى عن كل مساس ولو بالخيال ؟ ...

ومن تلك النظامات الدستورية اختصاصه تعالى « بالهداية » كقوله تعالى « ان علينا للهدى » شرطا مع حفظ الشرط المقدس وهو : « حرية الارادة » فى المخلوق وذلك لان الله تعالى يعلم تقلب الضمائر وما فيها من أول وهلة فان كان شخص يميل بنفسه وحريته الى الهداية وطرق بابها فالله سبحانه يفتح له طريقها ويظهر له ما جهله ليتوصل الى الهداية التى أرادها بنفسه « ويزيد الله الذين اهتدوا هدى » ولانه تعالى أيضا لا يهدى من لم يرغب الهداية ولا يريدها لنفسه « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم » فهو تعالى : « لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ولان الانسان لا يمكنه أن يهدى نفسه أو يهدى ضالا غيره اذا لم يرد الهداية « وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم » مهما فعل ولان الله تعالى باختصاصه بذلك يتجسم للمخلوق وجوب وحدته فى الالوهية المطلقة الحقة والرحمة مما يكون اعترافه بهما أداء للغرض الذى خلق من أجله.

ومنها أن يعطى سبحانه كل مخلوق ما شاء أن يطلب ولكن بنظام يليق لرحمة الخالق كقوله تعالى : « وآتاكم من كل ما سألتموه » وكقوله تعالى « فمن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها » وكقوله تعالى : « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا » . — ولكن كثير من الناس يفتتنون ويشكون فى ان الله تعالى لا يجيب طلبهم لاحتمال وقوعهم في ضد ماطلبوا . — وما دروا أن ألوهية الخالق سبحانه لا تقضى بسماع الدعاء من القلب قبل تتميمه على اللسان واجابة الطلب فى الحال فقط بل تقضي أيضا أن يكون تنفيذ الطلب فى وقت ما يشاء الخالق سبحانه بنظام حق يليق لكبرياء الله تعالى من حيث كونه الها حقا . — وذلك لان سرعة عطاء المسئول للسائل بلا توان تدل على صغار نفس المسئول . وهذا لا يليق لكمال الله المطلق الذي سبق وقلنا انه أساس لكل نظام فهو تعالى يعطى كل شيء بنظام لمطلق الرحمة . — وفى الغالب فان طلبات الانسان من الخالق سبحانه قد تأتى في أوقات تكون فيها قد تاهت من

الذاكرة أو يكون غيرها ألزم منها وذلك لعدم انقطاع الطلب وليدوم الرجاء والدعاء الذى هو الغرض من وجودنا . — وهذا النظام حق مطلق لان نظام الغرض من وجودنا فى العالم مبنى على التجربة والفتنة بالمنع والعطاء ليعلم الله سبحانه من الحالتين معا من الشاكر منا ومن الكافر . — ولنضرب لذلك مثلا فرضيا لتقريب الفهم : افرض انك طلبت من والدك جزأ من الخبز فبدل الخبز أعطاك الماء فاشكره على الماء الذي أعطاه لك لانه لا ينسى الخبز وهو يعلم أن الماء ضرورى لما طلبت من الخبز ولازم له . وقد ناولك الماء أولا ليختبر احساسك في الشكر أو الكفر لا لغرض المنع البات من الخبز بل لهذا الاختبار . وبعد أن طال عليك أمد الخبز بما أعطاك من ماء أولا اشتاقت نفسك للحوم فطلبتها منه فأمدك بالخبز بدل اللحوم لنفس الغرض عينه . فاذا شكرته باخلاص على الخبز ونسيت تقريبا ما طلبت من اللحوم فهو لن ينسى ما طلبت منها بل يمدك بها أيضا في وقت آخر يشبه وقت الماء والخبز . — فترى من ترتيب هذا النظام على هذه الكيفية ان والدك في الحقيقة يمدك بكل طلباتك بالتدريج وبالدقة من غير أن يؤخر لك شيأ مطلقا . — غير ان نظام عطاياه بهذه الكيفية هو لغرض الاختبار فقط . وفي آن واحد يكون حرا فيما يعطى ووقت ما يشاء بل ولا يلحقه الصغار كما لو أسرع بالتنفيذ والاجابة حالا بعد الطلب . — فهكذا الخالق سبحانه فكل ما يدعوه الانسان بشيء يسمع منه ويجاب طلبه « أدعونى أستجب لكم » غير ان أساس المنع والعطاء مبنى على درجة الاختبار في الكفر والايمان اللذين وجد المخلوق فى هذه الحياة لاختيار أحدهما بتمام حريته مع نواله كل الطلبات الا ما كان منها مخلا بالنظام أو مقرر عدم منحها فى ظروف لعلاقات نظامية حقة وعادلة أيضا

واذا كان هذا النظام سائرا فيما يختص بطلبات الانسان من الخالق فان جزاء الله تعالى على ما يمنحه للعبد في نظير أعماله التى يعملها مبنى على التجربة والفتنة أيضا . فاذا أمد الله تعالى انسانا برزق لمطلق الرحمه ثم طغى هذا الانسان في الارض فالله تعالى لا يجازيه في الحال انتقاما من سوء اعماله بل يتركه وربما يزيده من الرزق ليفتنه به وليرى منه مع وجود عقله والهاماته وأوامر الله تعالى ونواهيه الى أي درجة من الكفر يصل (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) وكالآية : (ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير

لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين » وكقصة قارون في القرآن العظيم أيضا وهي : « ن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ماان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذقال له قومه لاتفرح ان الله لايحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لايحب المفسدين . قال انما أوتيته على علم عندي أولم يعلم ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون . فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذوحظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون . فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان الله يبسط لرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكانه لايفلح الكافرون » . —

وبالعكس . فقد يحتمل ان يكون انسان مؤمنا بالخالق سبحانه ومخلصا وقلبه واعماله طاهرة ولكن آلامه الوحيدة في الحياة هو فقره وصد باب الرزق من ان يلمس يده مع كثرة سعيه . فالله تعالى لايمده بكل طلباته فى الحال ليري منه الى أى درجة من الايمان يتمسك وهو في حالة الفقر . — وذلك لان الغرض من الحياة هو هذا النظام والفتنة فى الجزآت بوضع هذا محل ذاك مع عدم الظلم : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ماأنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » . — ومن المحتمل أيضا اذا ارتد هذا المؤمن عن ايمانه وكفر بالله تعالى ان يمده تعالى بالرزق فتنة له أيضا ليرى منه الى أى درجة من الشك بالخالق يصل مع ان الله تعالى يجازيه بكل أعماله بالدقة فيجوز ان يمده بجزاء أعماله الصالحة عند مايتقلب فى السيء ومن جهة اخرى يجوز ان يجازيه ببعض ذنوبه الماضية عندمايتقلب من العمل السيء الى العمل الصالح والاستقامة مع عدم جزائه زيادة عما يستحق « وما تجزون الا ماكنتم تعملون » فتكون اصابته على كل حال فتنة له وامتحانا ليرى منه الثبات أو الرجوع عما هو فيه على الحالتين . — وبالطبع فان كل شيء له درجة معلومة

لا يتعداها . والله تعالى فى نظامه على الخلق راعى مايكون لهم فيه الرحمة في الحياة المقبلة الابديه « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة » وان كان في تنفيذ هذا النظام الحق شيء من تأفف البعض بلا حق بما يتساءلون عن علته وأسبابه احيانا لجهلهم ايضاح الله تعالى لهم كل سبب عن خير أو شر يصابون به مع ان علة كتم السبب شرط من أول شروط الاختبار فى الثبات على الايمان من عدمه فكتمه كان لازما وحقا أيضا « وما كان الله ليطلعكم على الغيب ان الله بالناس لرؤف رحيم » ولذلك قال تعالى أيضا : « كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون »

ومن نظام الله تعالى الدستورى اختصاصه بمنح الخيرات لمطلق الرحمة (وسنوضح كيفية ذلك فى باب آخر) لانه تعالى بصفته الآله الخالق كل شيء فلا يصح ان يشترك معه مخلوق فى مد شيء من الخيرات الا باذنه لان المخلوق نفسه محتاج للخالق في حفظ حياته وكل متعلقاته فكان كذلك نظام منح الخيرات للخلق مختصا بالخالق وحده اذهو اليق وأوجب ولان الخير هو كل طلب المخلوق و رائده في الحياة . فاختصاص الله تعالى بمنحه حق لوجوب التجاء المخلوق اليه تعالى فى كل وقت لاظهار العبودية أو الشكر الذى هو الغرض من الحياة مما يكون نتيجته زيادة الرحمة . قال تعالى لاظهار هذا التخصيص : « بيدك الخير » وقال تعالى : (ماأصابك من حسنة فمن الله » تأييدا لذلك أيضا

ومنه : اختصاصه تعالى بجزاء الخلق جزاء عادلا على كل أعمالهم . اما لغرض حفظ النظام بينهم أو للرجوع عن اثم يرتكبونه أولاى سبب آخر فالله تعالى في كل أعماله حق مطلق عادل لايستحق الاحسن الظن لانه لايوجد غيره من يعلم بكافة المخلوقات وكيفية اعمالها وما تكنه ضمائرهم فجدير ان يكون هو وحده القابض على زمام الادارة العامة ومراقبتها وحفظ النظام العام بين الجميع « وما يعلم جنود ربك الاهو »

كما ان المخلوقات وخصوصاً بنوا الانسان ما داموا أحرارا في أعمالهم لابد من وجود نظام الهى يحفظ لكل هذه الحرية حتى يؤدي كل عمله والغرض الذي وجد من أجله فى هذه الحياة . — فاذا وجد رجل سافك للدماء فحياته لا تطول الى حين بل جعل الله تعالى لمثله نظاما وجزاء فالمحسن والقاتل لا يتساويان أمام الحقيقة والعدالة الالهية في هذه الحياة

وما بعدها — ومع ذلك فهو تعالى لايجازى أحدا مطلقا ليحفظ النظام بين الآخرين بدون أن يستحق هذا الجزاء لشخصه ومن نفس عمله : « وما ربك بظلام للعبيد » وقال تعالى: « وما تجزون الا ما كنتم تعملون » وقال تعالى : « وما أصابك من سيئة فمن نفسك » أي ان سبب السيئة شخص الانسان وعمله الذاتى بمطلق حريته . وبعض من الناس اذا جازاهم الله تعالى بخير قالوا هذا من الخالق فقط ولكنه تعالى يجازى المرتكب للسيء أيضا بكيفية ما فى نظير ارتكابه أى اثم ردعا له عن التمادي في السيئات ولحفظ النظام الحق بين الجميع قال جل شأنه فى الآية : « فان أصابتهم حسنة يقولوا هذه من عندالله وان أصابتهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله » فالذين نسبوا اصابة أنفسهم بالسيئات للنبى عليه السلام لم يفقهوا حقيقة اختصاص الله تعالى بجزاءه كافة الخلق على الخير والشر فى آن واحد حتى قال تعالى بالتعميم ان كل جزاء يصيب المخلوق من خير أو شر هو من عندالله وحده فكلما زاد الانسان من عمل الاحسان جازاه الله تعالى بالحسنى أيضا وان عمل السيئات جازاه الله تعالى بالسيء أيضا حتى قال تعالى « قل كل من عند الله » أى كل جزاء عن أي عمل كان فبقدر العمل الذى يعمله الانسان بحريته يكون الجزاء أيضا وأن لاجزاء بلا عمل . — ويكتفى الحال الآن بذكر ما تقدم من بعض اختصاصات الله فيما يتعلق بهذا الموضوع ليذكر الباقى فى مواضع أخري - غير انه تلاحظ لنا أن بعضا من الناس يخلطون بين العمل والجزاء والنظام المكتوب فى أم الكتاب فيما يختص بتنفيذ الله تعالى له على عباده حسب تنوع أعمالهم . فالبعض يتوهم أن الجزاء ما دام مكتوب فى أم الكتاب فعمل الانسان الذى استوجب عنه الجزاء مكتوب لذات الانسان في أم الكتاب أيضا . ولكن هذا خطأ محض كبير . نعم ان الجزاء مكتوب مقابل للعمل الذي عمله هذا المتوهم المدعى ولكن ليس بالتخصيص لذاته بل هو عام عليه وعلى غيره أيضا . — وأصل اصابته بجزاء هذا العمل هو حريته الشخصية فى أداء هذا العمل الذي استوجب مثل هذا الجزاء بحيث كان في امكانه أن يعمل عملا غيره وكان يرى جزاء غيره عادلا من الخالق سبحانه كان مكتوباً أيضاً ويتنفذ جزاؤه كدستور على كل من عمله من الناس بلا فارق بين هذا وذاك. حتى أن الانسان اذا عمل عملا وجازاه الله تعالى به ثم تاب عنه وارتجع الى غيره ثم عاد اليه

ثانيا من غير مبالاة بجزائه الاول أعاد الله تعالى عليه بالثانى نفس الجزاء الذى أصابه أولا بحيث اذا ارتجع عنه ثم عاد تكرر عليه الجزاء تكرار رجوعه الى ما علم انه علة جزائه وذلك كقصة بنى اسرائيل فى القرآن عندما سلط الله تعالى عليهم أعداءهم أول مرة من سوء أعمالهم ثم تاب الله عليهم ثم رجعوا الى سوء أعمالهم فأعاد الكرة عليهم بالثانى بنفس هذا الجزاء كما فى الآية : « عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » ومما يثبت هذا المبدأ الدستورى قول الله تعالى أيضا : « ان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد » وكذا قوله تعالى : « قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين » أى سنة الامم البائدة الهالكة فانه من صمم منهم على الكفر والفساد فى الارض وعدم الاصلاح فجزاؤه الانتقام بالاضمحلال والزوال من الارض وهى سنة واحدة تجرى على جميع الامم لا تخصيص فيها لامة دون أخرى بل باختيار كل أمة يتنفذ عليها قدر ما اختارته بحريتها .

والبعض من الناس ممن خمدت مداركهم يتوهم ويدعى أن الاعمال والجزاآت مكتوبة للشخص بالذات وان حريته وكل ما يعمله ويصاب به من حركات وسكنات لم يك الا أشبه بتنفيذ ماهو مكتوب بحيث لو قرأ الانسان في أم الكتاب قبل الخلق ماسيعمل وسيصاب به هذا الانسان بالذات لوجد أعماله وجزاءه الذى اصابه فى هذه الحياة منطبقا عليها تمام الانطباق وكأن لاخيار له استقلالى فى شىء مطلقا ! ! ! . . .

وهذا فكر تقشعر منه الابدان ويدل على تمام سخافة العقول التى تدعى به . . . . . لانه لادليل له في القرآن العظيم مطلقا ولا فى النفس ولا فى العالم الا فى المخيلات الوهمية الكاذبة . . . اذ يكفى للدلالة على تكذيب هذا الوهم من أول وهلة انعدام الغرض من الوجود بل انعدام الفائدة من أوامر الله تعالى ونواهيه وارسال الرسل ونزول القرآن الحكيم و . . . و . . . ولصار الوجود باطلا يستحق العدم بلا أسف بسيط ! ! . . .

بل ذلك يؤيد نسبة اللهو واللعب للخالق سبحانه وهى نسبة لاتليق لكماله الحق لمن تأمل لنتائج هذا الوهم الكاذب . . مع ان البداهة تكذبه وان الله تعالى يتنزه عن كل أمر لايؤل به الى الكمال والعدل المطلق

غير انى اعرف ان كثيرا من افراد الامة الاسلامية وعلمائها يتلقون هـذا الاعتقاد بالقبول لتوهمهم انه في الدين . ويعتقدون ان مطلق التسليم به فرض وأمر واجب وذلك لعدم تفكرهم باستقلال فى أساس هذا الموضوع الهام . « أولم يتفكروا فى أنفسهم ماخلق الله السموات والارض الا بالحق وأجـل مسمى » بل لعـدم بحثهم ولاحتكار فهم الدين من أفواه العلماء ولو على غير حقيقة قد ارتبكوا فى فهم هذا الموضوع عدة قرون ارتباكا محزنا للنهاية ! ! . . مع انك تجد أفكارهم وطبيعة ضمائرهم فى حيرة دائمة واندهاش من هذه النظرية المعكوسة . وما ذلك الا لعدم تمكنهم من فحص حقيقية هذا الامر البديهى الذى احتارت فيه العقول مع سهولته الكلية وايضاحه بالقرآن العظيم فى كل سورة وآية . . . . اذ الحقيقة التى لاريب فيها ان كل شىء يعمله الانسان مهما كان طيبا أو رديئاً أو أى شىء يحصل في الارض والسماء مهما تنوع ومهما تقلب مكتوب مع نظامه وكيفية تنفيذه فى ام الكتاب ولكن لاتخصيص فيه لاحـد بالذات بحيث ان الانسان حر فيما يفعل وما يختار والله تعالى يمده بالاصابه حسب النظام المسنون فى أم الكتاب طبقا لما سير نفسه فيه بحريته وليس طبقا لما هو مكتوب له بالذات اذلا شىء فى ام الكتاب يخص انسانا بالذات قبل ان يختارها لنفسه بمطلق حريته غير انه اذا اختارها كان له جزاؤها وكانت له بالذات أيضا فتكتب له أوعليه فى صحيفته الخصوصية ويتنفذ عليه النظام الذى يلحق مثل العمل الذى اقدم عليه بتمام اختياره.

وقد تتشابه أفراد في اختيار عمل واحد فينفذ الله تعالى جزاءه على كل منهـا طبقًا للقدر العام المكتوب فى ام الكتاب عن مثل هذا العمل كما ينفذ القاضى مادة (كذا) من القانون على شخصين قد ارتكبا جناية واحدة فى ظروف مختلفة كل منهما بمفرده فيقدر الجزاء و يعطيه لكل منهما طبقا لمادة واحـدة أيضا ثابتة لاتتغير فى القانون المذكور وان القرآن العظيم في قدر الله تعالى العام على الافراد والامم يؤيد تمام التأييد هـذا المبدأ الحق في أغلب آياته الحكيمه كقصة شعيب عليه السـلام عند ماأرسـل رسولا من الله تعالى لاهل مدين فى قوله : « وياقوم لايجرمنكم شقاقى ان يصيبكم مثـل ما أصاب قوم نوح أوقوم هود أوقوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليـه ان ربى

رحيم ودود . قالوا ياشعيب مانفقه كثيرا مما تقول وانا لنريك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز . قال ياقوم ارهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربى بما تعملون محيط . وياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون . من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين . كان لم يغنوا فيها الا بعد المدين كما بعدت ثمود .) فيتضح للقارىء من الآيات السالفة ان الله تعالى يذكر ان الرسول شعيب عليه السلام كان ينذرهم بتطبيق انتقام الله تعالى لهم وتقدير الزوال عليهم من الارض اذا أصروا نهائياً على ماهم فيه من الفساد فى الارض والكفر كما أوقع نفس هذا الجزاء على غيرهم بالمثل تماما كقوم نوح وهود ولوط وصالح اذ بعد ان وصل لهم هذا الانذار الحق أصروا نهائياعلى الكفر فاهلكتهم الصيحة وقيل فيهم : «فبعدا لمدين كما بعدت ثمود » أى بنفس الجزاء السالف الذي وقع على الامم الاخرى وهو الانتقام بالزوال من الارض بلا تغيير وان تواجد كل منهم فى وسط مخصوص فنتيجة الاصابة بالقدر والجزاء واحدة

ولسهولة ايضاح هذا النظام وحصره في الفكر على حقيقة نضرب مثلا فرضيا لتقريب الافهام فقط وهو :

لنفرض ان ام الكتاب أشبه بلا تمثيل للوح الشطرنج المربع ومنقسما الى مربعات كثيرة وكل مربع مكتوب فيه عمل مامن عمل الانسان أوأى مخلوق مهما تنوع ومهما فرضه الفكر من طيب وخبيث وعلي أى كيفية وحالة كذا كل حدث يحدث وسيحدث في الارض والسماء مهما قلب فيه الفكر وفرضه على أى كيفية وحالة . — وبالطبع فان هذه المربعات تكون بلاحد بالنسبة للمخلوق لانه لايمكنه ان يحصر المخلوقات وتنوعها وتقلباتها وأعمالها ولان كل مربع فيه عمل ماأوحدث ماواحد مع نتيجته — ولكنها بالبداهة محدودة ومعلومة بالنسبة للخالق سبحانه « لقد أحصاهم وعدهم عدا »

فالله تعالى فى هذا الموقف والحالة هذه يعلم بكل ماهو مكتوب في ام الكتاب كما فى اللوح المقسم المفروض تماما — ثم لنفرض ان الانسان بعد ولادته مباشرة على حالة الفطرة

الطاهرة النقية يبتدأ فى السير على هذا اللوح اذ هو لابد ان يسير حسب حريته المقدسه الممنوحة له من الخالق (سبحانه) فسيره على هذه المربعات هو نفس سيره وتقلبه في الحياة بالضبط . فهو حر فى ان يضع قدمه فى أي مربع من تلك المربعات ولنفرض ان كل مربع يقدم عليه هو أمل من آماله الدنيوية التى يريد ان يعملها فقد قلنا ان المربعات المذكورة لايخرج عنها أى فرض كان يفرضه الانسان أو يريده أو يتصوره مع نتائجه وجزائه بعد حدوثه . — فاذا أعطينا لتلك المربعات نمرا حسب تعدادها وتعداد تنوع ماهو مكتوب فيها وفرضنا ان الانسان ابتداء يسير . فانه عند مايمشى على أول مربع كما يعمل أقل عمل في الحياة كما في المربع المذكور فالله تعالى اذا كان يعلم به قبل ان يقدم عليه الانسان ولكن هذا الانسان أيضا حر فى ان يضع قدمه في أى مربع آخر غيره وله من الحوادث واختلاف أفكاره وتنوعها مايستدل به على اختيار الف حالة متنوعة والف عمل . وكل حالة يتصورها ويريدها أو تحدث مكتوبة في أحد هذه المربعات و بجوارها نتائجها التى ستصيبه ان فعلها ايضا . فالانسان فى هذه الحياة لايختار شيأ الا والله تعالى يعلم به قبل حدوثه ويعلم بنتائجه بصفة عامة لاتخصيص فيها لاحد بالذات بكيفية نتيجتها: ان فعل الانسان كذا كما في المربع نمرة كذا أصابه الله بكذا وتنفذ عليه كذا وان فعل كذا اصيب بكذا وهكذا فهو غير مقيد فى افعاله فهو حر تمام الحريه (الا فيما يستحقه من نتيجة اعماله) وله ان يختار اثنا سيره أى مربع من تلك المربعات وهو يصاب بنتائجه بالضبط رغما عن نفسه جزاء حقا من الله تعالى عادلا — . فالمربع الذي هو كام الكتاب بلا تمثيل منبسط امام الله تعالى معلوم و نفس الانسان يراقبها الله تعالى ويعلم مايكنه ضميرها وما تقدم عليه وما تريده من أول وهلة . . . . فأى شيء قد غاب الآن عن علم الخالق ؟ . . . . الجواب بالطبع لاشيء . . . الروح تولد مجردة بسيطة لاعلم لها بشيء مطلقا الا من العقل الذى تمنحه فقط فى هذه الحياة وتستعمله بحريتها الخاصه . . . فالانسان اذا ابتدأ ان يعلم أو يعمل شيئاً فى العالم فهو يبتدأ فى آن واحد ان يعمل أو يعلم شيئاً عما فى ام الكتاب ولكن ما كان مخصصا له بالذات من قبل بل له ولغيره أيضا . — واذا أراد ان يوضح نظام الطبيعة بحق صريح واضح فهو يبتدأ ايضا ان يوضح بعض نظام الله تعالى

في ام الكتاب . ـ فاذا قلنا ان الله تعالى لا يعلم مايريد الانسان لنفسه من كل ماهو مكتوب في ام الكتاب . هل يكون هذا السؤال شبهة لتعريضنا بنقص علم الخالق سبحانه ؟ . . . . الجواب كلا . . . والف كلا . . ذلك لا يوجب التوهم نقصا في علم الخالق سبحانه مطلقا . . . لان كل مايمكن لهذا الانسان اختياره وعمله أو مايصاب به طبقا لاختياره معلوم لله تعالى قبل ان يوجده . . . ولكنه تعالى لم يخلقه أيضا الا لعلة وحيدة فبعد ان منحه العقل أوقفه امام ام الكتاب نظيفا ليختار منها ما يتراءى لنفسه وبحريته من كل ماهو معلوم لله تعالى من قبل . فيكون مااختاره الانسان بحريته معلوم لله تعالى قبل ان يخلقه بصفة عامه بلا تخصيص لهذا الانسان قبل وقوع اختياره ومعلوم لله تعالى بعد اختيار هذا الانسان انه كتب له وعليه في صحيفته الخاصة فهل تكون حرية الانسان في العمل والاختيار اذذاك عرضة للتوهم بنقص علم الخالق ؟ . . . حاشا وكلا . . . حاشا وكلا لو لم يخلق الله تعالى العالم ليمنحه حرية كاملة ومعها العقل ليجيء خاضعا لذاته العلية بالالوهية بتمام الحريه والحق لكان هذا العالم باطلا واجب العدم حتما ولا كان لزوم للانشاء ... ولا كان لزوم للخلق المقبل .. ولا . . . ولا . . . ولا . . . . « اولم يتفكروا في انفسهم ماخلق الله السموات والارض الا بالحق وأجل مسمى ؟ »

وعلى هذا البيان السالف يمكننا ان نكرر أسئلتنا للعقل ثانيا مستندين بالقرآن الحكيم فنقول : هل الله تعالى يعلم كل ماسيصيب كل الناس والمخلوقات من الجزآت المختلفة وتقلب الاحوال والحوادث المتنوعة قبل ان يخلقهم وكذا كل عمل يمكن للانسان عمله مهما كان ؟ .... فالجواب على ذلك بالطبع نعم . . قال تعالى : « وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات البر والبحر ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين » . وقال تعالى : « عالم الغيب والشهادة » . وقال تعالى : « ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير » . — فبمقتضى هذه الآية يذكر الله تعالى ان كل حدث في النفس والارض يعلم به تعالى بل وكتبه قبل ان يوجد الخلق طبقا لما سبق ايضاحه .

ولكن هل منحه تعالى للانسان الحرية ليفعل كل مايريد يوجب التوهم ان شيئاً مما

سيعمله هـذا الانسان قبـل حدوثه خرج عن علمه تعالى ؟ . . . . الجواب . . كلا بالطبع لان كل شيء مكتوب امام الخالق (سبحانه) كما توضح ومعـلوم لذاته الالهية مع العـلم ان الحوادث والارادات المتنوعة وجزآتها المناسبة لها المكتوبة فى أم الكتاب (كما في المربعات المفروضة) لاتخصيص منها لانسان بالذات بل هى عامة على الجميع كل يتنقل فيما يشاء منها وكل اماله الامل والعمل من تنوع تلك المربعات التى هى أشبه بالامال لانسانية وغيرها مالا حصر له ولا تحديد « اعملوا ماشئتم انى بما تعملون عليم »

ثم نقول : هـل ترك الله تعالى الحرية للانسان فيما يريد (لانها الحق كما توضح فى الابواب السالفـة) ليختار من تلك المربعات المشابهة لآماله وافكاره التى لاحد لها وهو تعالى يعلم ماذا سيريد من مجموعها هذا الانسان لذاته بالتخصيص قبل ان يختار ؟ . . . الجواب كلا . . بالطبع لايعـلم الله تعالى ماذا سـيريد كل انسان لذاته بالتخصيص مما هو في أم الكتاب الا بعد ان يختار ويعمل فتكتب عليـه أوله فى صحيفته . لانه خلق ليعلم الله منه ماذا يختار من مجموعها هذا الانسان مع كونها كلها معلومة للخالق من قبـل وهو تعالى لم يخلق الخلق الا لهذا الغرض الحق ليرى من كل انسان ماذا سيختار لنفسه من كل مايعلم « ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » وانه تعالى بمطلق ارادته الحقه سبقت كلمته تعالى بحق وأراد ان يطلق للانسان عنان الحرية في السـير على أى مربع من تلك المربعات وجعـل له العقل والالهام مرشدا ليوضح له من تلك المربعات التي تشـبه آماله واعماله الطريق الاقوم من المعوج علاوة على الرسل عليهم السلام والكتب السماوية التى ان تبعها بحريته توصله بلا محالة الى السعادة الحقه . فعلمه تعالى بما يخص كل انسان بالذات متوقف على ارادة الانسان نفسـه وهو انه متى اختار أى مربع من تلك المربعات جازاه تعالى بمطلق قدرته أيضا بالرغم عنه بالجزاء المناسب لما اختار وعلم تعالى فى آن واحد ماذا سيؤول اليه هـذا الانسان مما عمل بحريته فى الدنيا والآخرة وكتبه له وعليه بالضبط « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ولكن عـدم علمـه تعالى بما سيخص كل انسان بالذات لشخصه قبـل ان يختاره لايوجب التوهم مطلقا ان شيئاً ممـا عمـله الانسان أوسيعمله في المستقبل أوتجازى به فى الماضى أوسيجازي عليه في المستقبل خرج عن علمه تعالى كما هو

ظاهر بالبداهة مما أوضحناه فى المثال السابق المفروض

ولذا قال تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » فالله تعالى يصرح فى القرآن بنفسه بانه تعالى لا يعلم الصادق من الكاذب فى الايمان الا بعد ان يفتنه ويجربه ويمتحنه بالفتنه ليعلم منه قوة الخيار في الايمان والثباب فيه أوالتزعزع عنه بمطلق حريته الممنوحة له من الخالق طبقا لما سبق من البيان ولذلك قال تعالى أيضا فى آية أخري « وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك منها وربك على كل شيء حفيظ » أى انه تعالي لم يجعل للشيطان على الانسان سلطة ليحور ارادته الحرة الخصوصية من الايمان الى الكفر . بل هى وسوسة فقط ضعيفة « ان كيد الشيطان كان ضعيفا » أمرها بسيط لا تأثير منها وممكن لكل انسان بحريته ان يتجنبها بما خلق الله تعالى فيه من عقل وجعل له من الهام والله تعالى لم يمنع الشيطان عن تلك الوسوسة للانسان الا ليجعلها من ضمن الفتنة والامتحان اللازم ليعلم منها تعالى من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك منها وهذا كالمثال السالف أيضا

وقال تعالى في آية أخرى « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدي الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم » فهو تعالى يصرح هنا أيضا انه لا يعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه منهم قبل الفتنة بالانقلاب عن القبلة ببيت المقدس الى الكعبة الا بعد حصولها . — فهنا لا يتوهم كما سبق الايضاح ان الله تعالى خرج عن علمه شيء . . . كلا . . . بل الله تعالى يعلم ان ماخلقهم عليه من نفس كاملة وعقل يمكنهم به ان يتبعوا الرسول بمطلق حريتهم التى منحهم بها ويعلم أيضا انه يمكنهم أن لا يتبعوه جميعا بمطلق حريتهم وفى آن واحد يعلم بالنتيجة التى سيجازيهم بها وتصيبهم في الحياتين ان تبعوه ويعلم من قبل أيضا بالنتيجة التى سيصيبهم بها فى الحياتين ان لم يتبعوه . غير ان هذا العلم المطلوب هو علم ارادة كل منهم الى أي جهة يرغب السير بمطلق حريته ليمده بجزاء ماأراد بلا اجبار عليه فى اختيار مايريد ويتبع . — وتغير القبلة نفسه لم يك الا لغرض الاختبار والامتحان . — فاذا فرضنا

المستحيل كما يدعى بعض علماء الضلال من انه تعالى كتب لبعضهم ان لا يؤمن بالذات في أم الكتاب كما يقولون . . . فلما ذا يمتحنهم ؟ . . ولما ذا يوضح الغرض من امتحانه ؟ . وهو انه تعالى يريد ان يعلم من سيثبت فى الايمان ومن الذى سيتزعزع عنه ان كان هناك من الاصل انقسام ثابت سبق له تعالى العلم به لكل شخص منهم ؟! أليس ذلك الكلام الاخير القرآنى يكون باطلا ورياء !! . . وهل القرآن الحكيم باطل ؟ . . . فلنترك ذلك . . . واذا كان لابد من حصول الارتداد بالفرض وضياع الايمان ممن قد تزعزع منهم كما يتوهم المحزفون بانه مكتوب سابق لهم بالذات من القدم ! ! . . لماذا يوضح لهم بعد ارتدادهم وضياع ايمانهم انه تعالى لم يرد بهذا الامتحان ضياع ايمانهم كما أضاعوه بحريتهم فى قوله تعالى : « وما كان الله ليضيع ايمانكم » أى بهذا الامتحان بل كل مايريده لهم ان يثبتوا فيه الى النهاية لان فيه رحمته ورأفته الابدية ! ! . . . اما ذلك يؤيد أيضا بلا شك ان ضياع ايمانهم وكفرهم ليس سابقا لهم بالذات في أم الكتاب قبل ان يفعلوه كما يدعى بالعكس أولو الضلال وانهم بحريتهم أضاعوا ايمانهم ! ! . . . . وهل هذا يليق بالاله الواحد الرؤف الرحيم ان يتخذ عباده العوبة فيخاطبهم بلسان الرحمة بقوله « وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم » ثم هو يعاملهم وينفذ عليهم شيئاً ثابتاً لامفر لهم منه كتبه بالذات لكل فئة فى أم الكتاب من ان هذا بشخصه مؤمن وذاك بالذات كافر ! ! ! اذا . . مافائدة منح العقل فى هذه الحياة ؟ . . . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . . . ان الله تعالى خلق جميع الناس بلا استثناء متساويين فى الفطرة الروحية قبل ان يتشكلوا في بطون أمهاتهم بشكل الانسانية الجسمانى مفطورين على الايمان الخالص والاعتراف بوحدة الخالق وألوهيته الحقه حتى انه تعالى أخذ من جميع الارواح عهدا وميثاقا على أنفسهم بالايمان له تعالى بالربوبية كما فى قوله تعالى : « واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ . . قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » . — فهو يقول تعالى « من بنى آدم » دليل على عدم استثناء ذرية الوثنى واليهودى والمسيحى والمسلم والدهرى والكافر والمجوسى الخ . . . بل كلهم أجابوه سبحانه جوابا واحدا بقولهم : بلى . . . أي نعم أنت وحدك ربنا الحق لااله غيرك . . . أفهل اذا كان كتب لبعضهم شيأ فى

أم الكتاب خاصا لكل نفس قبل وجودهم بان هذا كافر وذاك مؤمن ان يقول جميعهم لربهم: بلي . . . بلا استثناء اظهارا لتمام الايمان من الجميع وهم فى حال الفطرة الروحية والبساطه ؟ . . . أم ان ذلك يثبت بلا شك أيضا ان لا كفر الا فى هذه الحياه « حياة الحرية والاختيار » !!!

ولماذا يذكرهم الله تعالى بقوله : « ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » أى ان تقولوا عن هذا الاعتراف بالايمان بربوبية الخالق فى الحياة الدنيا غافلين؟. . . .

اما لان الغفلة عن الايمان بالله تعالى لاتكون الا بعد حريتهم فى هذه الحياة التى منحهم الله تعالى بها وليقدموا أنفسهم لربوبيته تعالى بالايمان مخلصين وانه تعالى ماتركهم يكفرون بانفسهم الا لعلة لزوم بقائهم احرارا فقط عليهم اليه بحريتهم أيضا يتوبون ويرجعون !!! .

كل ماسبق واضح بين له شواهد عديدة في القرآن العظيم وان الله تعالى لم يجعل الخلق على مثل هذا النظام الا ليضع كل انسان نفسه فيما يريد . وكفى الانسان العقل والمواهب الالهية العديدة التى بها يمكنه ان يكون فى أحسن مركز أو في أتعس مركز . . فلا ابالغ اذا قلت: «ان الانسان بعمله فى هذه الحياة سيخلق خلقا جديدا طبقا لعمله تتأبد فيه نفسه طول الابديه . . . فليضع الانسان نفسه فى هذه الحياة بحريته وباعماله الجليلة فى وضع يرضى روحه الطاهرة النقية فانها كذلك سترضى وتسر فى الابد . »

ولاجل ذلك جعل الله تعالى من ضمن نظامه العام ان يكون المخلوق وما يعمله مستوف كل المراقبة « ان الله كان عليكم رقيبا » حتي يقدر تعالى للنفس الا ماأرادت بحريتها وعملت قال تعالى « فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل آتينا بها وكفى بنا حاسبين » وكذا « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » وقال تعالى أيضا : « فما تكسب كل نفس الا عليها وما ربك بظلام للعبيد » هذا بخلاف الملائكة المعينين لكتابة كل شيء للانسان وعليه . « وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون » حتي التلفظ بالكلام مهما كان بسيطا « مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » وهكذا حيث ان آيات الله تعالى كثيرة تؤيد هذه المبادي الحقه العادلة المعقولة . وبعض من الناس

يعترضون على ربهم لرؤيتهم أمورا يتوهمون انها ظلم لم يقع الا لمشيئة الخالق (سبحانه) ... مثلا : رجل رأى طفلا مرض مرضا شديدا يتألم منه أشد الالم فيقول : ماذنب هذا الطفل المسكين وماذا ارتكب من الجنايات حتى يعذب هذا العذاب الشديد . . . أو رجل سائر فى الطريق حسن السيرة فقير وله أطفال كثيرة اذ سقط عليه حائط فمات لساعته وترك اطفالا يتوضرون من بعده أشد الآلام . . . فيقول ماذنب هذا المسكين . . . وما جناية هؤلاء اليتامى ؟ . . أو . . . أو . . . وهكذا ولو أردنا حصر الحوادث العالمية لرأينا الوفا من المعترضين قائلين بتبرأة مثل هؤلاء معترضين بقولهم ان كان هناك لاجزاء الا بالعمل الخاص فماذنب هؤلاء . . . . . الخ

فنقول : وان كان ثبت للمطالع ان حرية الانسان في كل مايعمل أمر مقدس لازم فان بواطن المخلوق للناس مجهولة حتى نستنتج دائما عللا صحيحه عما يصيب الله تعالى به كل فرد فى العالم فضلا عن ان حرية الله تعالى الخاصة في تنفيذ ما كتبه على نفسه من الرحمة العامة على جميع الخلق أمر اشد لزوما من كل شيء وان كان فيه ظاهرا نوع تعريض لحرية بعض الافراد وارادتهم . ولنضرب مثلا : بنت الحكومة مدينة وسنت في قانونها انها عند اللزوم تنزع ملكية بعض الاراضى من أربابها لامر صالح عام في تلك البلدة . — فاذا فرضنا انها رغبت فى انشاء شارع أو حديقة لازمة لحالة البلد الصحية في موضع كان فيه منازل بعض الافراد الذين لا يرغبون انتزاع أملاكهم فانها تنفذ ذلك رغما عن ارادتهم مع تعويضهم عما فقدوه بما هو أحسن منه فلا يكون هناك ظلم لهم الا رحمة بهم ان أدركوا الحقيقة وباهل المدينة عموما واعتراضهم فى ظلم الحكومة لمجرد سيرها ضد رغبتهم الشخصيه جهل منهم وبالصالح العام الذى تقدسه الحكومة مع كونه أحق وأوجب .

فهكذا الخالق سبحانه بلا تمثيل . . . فاذا رأينا طفلا لم يكتسب اثما مرض مرضا شديدا يعذب منه عذابا مؤلما ثم مات . . . فلا يجب ان نعترض فلا بد ان مثل هذا له عوض فى الآخرة يرضيه وهى التى يرى لها الله تعالى فى رحمته « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة » التي كتبها على نفسه ويمدها على عباده ويكون مرضه من المحتمل فتنة لوالديه

أيضا ليتضرعان الى الله تعالى ويفتكرانه فيغفر لهما بالتضرع بعض ذنوبهما . اذ لكل حدث نظام وجزاء أو قد يكون موت الطفل سببا لاستقامة والده الفاسق أو والدته « انما أموالكم وأولادكم فتنة » . بل قد يكون هذا المرض جزاء للطفل على كفره فانه حر أيضا في الايمان والكفر من بعد لحظة نزوله من بطن امه على نسبة تركيبه وان كان غير كامل في العقل فيكون هذا المرض القليل الزمن الذى توهمناه من الخالق ظلما سببا لرحمة ثلاثة أشخاص آثمين رحمة ابديه .

ونحن لا نقصد بما ذكرنا ان ندعى العلم بالغيب أو بواطن الامور لنوضح علة كل حادث . فان من أساس نظام الله تعالى ان أغمض البواطن عن كل نفس الا لقصد حق عادل « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً » وذلك لغرض حقيقة الاختبار والفتنة حتى يكون ذلك داعيا لحفظ الحرية لكل انسان فيما يفعل ولا يتقيد بما يتوهم انه سيصيبه بسبب ما « وما كان الله ليطلعكم على الغيب ان الله بالناس لرؤف رحيم » . — اذ لو كشف الله تعالى لعقولنا علة كل سبب أو حدث يحصل بمشيئته بلا سبب واضح لنا لتأكدنا عدل الخالق المطلق ورحمته على الجميع بلا استثناء فالفائز من صبر على كل حال وشكر . اذ أن ذلك هو الغرض من الحياة

ونحن نذكر هنا حادثتين حدثتا فى تاريخ العالم يوضح علتهما القرآن العظيم وهما : رجل صالح تقى قتله رجل آخر مجرما أثيما بلا سبب غير كون الاول مؤمنا مخلصا للخالق وقد تركه الله تعالى يقتله بلا معارضه

ثم أخر وقد أخطأ فوقع في الحال فى ضيق شديد جزاءله وما كان يظن ان ينجو منه مطلقا بل ولا يسمح خطاؤه بخلاصه منه ولكن نجاه الله تعالى بنفسه وبقدرته الخصوصية وعاش بعدها عيشة الهناء والسعادة

فاذا تأملنا الى ظواهر هاتين الحادثتين تأخذنا الدهشة لاول وهلة اذا لم نعلم العلل الحقيقة وربما اعترض البعض بالطبع أو قال مع المضلين هذا القدر كان مكتوبا لهذا بالذات من القدم وذاك مكتوبا للآخر . — مع ان الحقيقة لم يفعل الله ذلك لا لقصد الرحمة تبعا لارادة كل منهما الخصوصية من الخالق حسب النظام العدل السابق ايضاحه

اما حل هذا اللغز: فعن الرجل الاول المقتول: وان كان مخلصا لله تعالى تقيا غير انه كان له بعضا من الآثام سالفة وقعت منه وحالما ابتداء القاتل بالتعدى عليه أنذره بأنه لا يعد له يد الانتقام بالقتل الفظيع مثله لانه يخشى من الله تعالى مسئولية الاقدام على عمل فظيع كهذا تقشعر منه الابدان واراد بنفسه ان يتركه ينفذ فعلته الشنعاء بحريته المطلقة ان شاء وليضم الى عاتقه أثامه الذاتية التى ان كان عاش المقتول لغفرت له من حسن اعماله التى كان متثبتا بها وفى آن واحد ليضمن لنفسه الجنة والنعيم الابدى المقبل فيموت طاهرا كانت علة قتله « الاخلاص للخالق »

فعمله هذا عادل وحق من كل وجه وخصوصا فان القاتل كان في امكانه العدول عن هذا العمل البشع لولا انه قبل على نفسه نتائج كل هذه الانذارات المدلهمة المقبله ولهذا ترك الله تعالى كلا يختار لنفسه ماشاء من هذه النتائج العادله . وأما عن الثانى : وان كان خطاؤه مايسمح لنجاته مطلقا مما وقع فيه والضيق الذى وقع فيه أمر خارق للعادة لايظن أن ينجو منه آخر ولكن كانت له اعمال سالفة طيبة فتطلب النجاة من الخالق فاجاب الله تعالى طلبه رحمة عليه لالهذا الخطاء الذى استوجب الوقوع فى هذا الامر المهلك ولا لمجرد تطلبه النجاة من الخالق بل لسبوق أعماله الطيبة الصالحه فكانت اعماله السابقة الطيبة المذكورة زخرا له وقت الضيق والشدة وداعية لاجابة الطلب. وهذا بالطبع نظام حق وعدل من الخالق لاانتقاد فيه. فى كلا الاحوال السالفة كانت حرية كل محفوظة غير ان الله تعالى فى جزائه أوقدره يراعى نوال لرحمة لمن يستحقها بعمله واستحقاقه بعدل مطلق ونظام محكم « وما تجزون الا ما كنتم تعملون » فالحادثة الاولى هى : « واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر . قال لأقتلنك . قال انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ماانا بباسط يدى اليك لاقتلك انى اخاف الله رب العالمين . انى اريد أن تبوء باثمى واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين. فسولت له نفسه قتل اخيه فقتله فأصبح من النادمين . » والحادثة الثانية هى: « وان يونس لمن المرسلين . اذ أبق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين. فالتقمه الحوت وهو مليم . فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون .

فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين . وأرسلناه الى مائه الف أو يزيدون. فآمنوا فمتعناهم الى حين . »

وعلى كل حال فلنتأكد ان الله تعالى لا ينفذ شيأ من امثال تلك الحوادث المدهشه التى تحيط بنا بغير سبب ما أو بما ليس له علاقة باعمالنا الحره الخصوصيه . . . كلا . . . . بل لا بد ان يكون من نتيجتها ولازم لها بالحق وليس مطلق عمل وان كانت علته مؤقتا المجهوله .

ولنذكر هذه القصة القرآنية الآتيه تنبيها للعاقل بما توضح وليتأكد ان نظام الله تعالى الخاص ليس الا لمطلق الرحمة وان غابت أسبابه عن البصائر وليس لعلة انه مكتوب من الازل بالذات كما يدعى الجاهلون . قال تعالى عن موسى عليه السلام ومعه فتاه عندما تقابلا مع عبد لله مؤمن : « فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا . قال انك لن تستطيع معى صبرا . وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا . قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا . فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقت جئت شيأ أمرا . قال ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا . قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا . فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله . قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا . قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا أهل قرية استطعما أهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه. قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا . قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا : اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا . واما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا . فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما. وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا . »

فهذا نبي من الانبياء لم يصبر ولا مرة واحدة من الثلاثة حتى اعترض على ذلك الانسان الذي كان يعمل تلك الحوادث الظاهر خارجها ظالما مع عدالة بواطنها بامر الله تعالى خاصة ليعلم الناس من مثل هذه القصة ان الله تعالي فى مثل تلك الامور المجهولة لا يقصد بها التعريض للحرية المقدسة لاي شخص فيما يفعل بل قد تكون فتنة عادلة لزيادة الرحمة على الجميع . فتكن (الحرية) المحترمة عند الخالق و (الاخلاص) لله تعالى مهما تقبلت الامور والحوادث والتزم علي (العمل) الصالح المفيد بثبات مهما نوع: (شعار المسلم المقدس.)

ولذا نجد في القرآن العظيم نقطا ومقاصد شريفة جليلة المعانى حكيمة تنبهم على كثير من العقول الضعيفة فنذكر أمثالا فرضية للاشارة اليها . — لنفرض ان رجلا لصا صمم على قتل انسان غنى لينهب أمواله بلا حق ولكن فى نظام أم الكتاب العام لم يأزل الأوان لان يستحق هذا الغنى مثل هذا القتل لاحسانه الكثير ولعلل أخرى عادلة حكيمة . بل وجد فيه ان الذى يستحق القتل هو ذلك الاثيم لو خاطر بنفسه لتنفيذ ما يريد ارتكابه ضد هذا الغنى لسبوق ارتكابه أعمالا سيئة كثيرة ولعلة عادله حكيمة أيضا فتوجه هذا اللص بمسدسه في منتصف الليل وعمل كل حيلة حتى توصل الى باب غرفة الغني فكسر بابه بكل احتراس وبالتصادف كان عند الغنى كلب لا يفارق أقدام سيده فهجم على اللص بزعقة شديدة وعرقل هجومه قليلا بينما كان الغني استيقظ من نومه فجلب مسدسه فى الحال وهناك تقابل كل منهما أمام الآخر في حالك الظلام فضرب كل منهما مسدسه في وقت واحد فأخطأت ضربة اللص وأما ضربة الغنى فأصابت مقتل هذا الاثيم فى رأسه فتجندل الاخير يتخبط فى دمه غير مأسوف عليه

فهذه الحكاية بالنسبة لظواهر نتائجها تعد عكس حكاية ابنى آدم السابق ايضاحها ولكن عال كل منهما حكيمه حقة وعادلة . فاذا قيل فى القرآن العظيم : وما تشاؤن الا أن يشاء الله فليس ذلك يفهم منه كما يعتقد أغلب الناس اننا مقيدون بحديد الهى لننتظر ما يعهده الله تعالى لنا من خير أو شر مكتوب لكل نفس بالذات ! .... كلا ..... بل معناه — وما تشاؤن من عمل تتوهمونه حقا أو باطلا لا يتنفذ الا أن يشاء الله تعالى بحق وعدل محكم

معقول مع حفظ حرية كل فى العمل الحق أو الباطل الذى شاءه لذاته . — وذلك كاشاءة ابن آدم في قتل أخيه بتمام حريته واختياره . فشاء الله ذلك بحق وتنفذ لعلة انه خلق القاتل حرا لايمس حريته فيما يريد وتركه ينفذ هذا العمل لانه الحق لعلة قبوله بتلك الحرية سوء النتائج التى ستصيبه فى الآخرة من الجحيم من هذا القتل ولعلم المقتول نفسه وقبوله بحريته حسن النتيجة العادلة التى ستصيبه في الجنة في الآخرة أيضا . فكانت اشاءة الله تعالى فى وقوع هذا الحادث حقة وعادلة لكل من الطرفين مع حفظ حرية كل منهما فيما أراد وقبل على نفسه بمطلق حريته وان ذلك مكتوب فى أم الكتاب بصفة عامة على من تكون حريتهم في الاعمال مشابهة لهذا الحادث بلا تخصيص من قبل لهؤلاء وحدهم

فهكذا يقال عن اللص وان كان يقصد قتل هذا الغنى كما أراد ابن آدم القاتل . ولكن سوابق كل منهما فيما فعل بحريته تقضى بأن نظام الله تعالى العام فى هذه الحادثة بالنسبة لحسنات هذا وسيئات ذاك المعتدى الكثيرة يحكم بقتل ذاك اللص لاستحقاقه ذلك بعمله الذاتى بحريته أيضا . فكان عدل الله تعالى ونظامه العام المكتوب في أم الكتاب وتنفيذه حائلا بحق وعدل دون نفاذ اشاءة هذا اللص الاخير بل شاء الله تعالى الا أن يكون الحق واقع فقط طبقا لاجمال عمل كل منهما بحريته وليس لقصد حبس هذه الحرية المقدسة . فوان كان للانسان ارادة واشاءة حرة غير ان الله تعالى له اشاءة حرة يستعملها بحق وعدل مطلق لحفظ النظام والعدالة بين الجميع فقط . فاذا قيل وما تشاؤن من عمل نتوهمه حقا أو باطلا فالا أن يشاء الله ذلك بحق وعدل لاتردد فيه مع عدم مساس حرية أحد الا اذا اقتضاه نظام الله العام مع مراعاة الله تعالى منح الرحمة بحق من أقرب طريق عند كل عمل .

« وهو القاهر فوق عباده وهو اللطيف الخبير »

واذا قرأنا في القرآن العظيم قوله تعالى : « ولو شاء ربك لآمن من فى الارض جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » فيكون معنى ذلك كما يأتى :

« ولو شاء ربك » : أي بحق مطلق وعدل بنظام عام مكتوب

ومتى يشاء الله تعالى بحق فى هذه الحياة أن يؤمن الناس جميعاً ؟ ...

الجواب : عندما يريدون ذلك بأنفسهم وحريتهم التى ملكهم الله تعالى لها وهى

أساس وجودهم في هذه الحياة ...

وهل يجوز أن يكرههم الله تعالى بقدرته الخاصة على الايمان فيها؟

الجواب : كلا ... هذا مستحيل لانهم خلقوا لغرض منحهم الحرية التى يستحيل مسها وسبقت كلمة الله تعالى في عدم مساسها أيضا ...

وهل يحق لاحد غير الله تعالى .. أو يكون له قدرة ما لعمل مثل هذا الاكراه ليجعلهم مؤمنين ؟ ....

الجواب : حاشا ... وكلا .. حتى انه قال تعالى لنبيه « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » . لاستحالة ذلك عليه بالمرة .. لان الله تعالى كان أحق بذلك الاكراه ان كان الاكراه حق وعدل لانه على كل شيء قدير ....

وكذا اذا قرأنا قوله تعالى : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » فمعنى ذلك هو :

« ولو شاء ربك » أى بحق مطلق ونظام عام محكم ...

« لجعل الناس أمة واحدة » : أى مؤمنة مخلصة بقدرته لانه قادر على كل شيء ليجعلهم متحدين في كل شيء ...

وهل من العدل أن يجعلهم تعالى بقدرته الخاصة في هذه الحياة أمة مؤمنة واحدة متحدين في كل شيء بالاكراه ؟...

الجواب : كلا ... لانه تعالى خلقهم فى هذه الحياة ليمنحهم حرية مطلقة هى كل الحق فيستحيل أن يجعلهم بقدرته الخاصة كذلك من غير أن يريدوها لانفسهم بحريتهم أيضا ....

ومتى يمكنهم أن يكونوا أمة واحدة في هذه الحياة ؟ .....

الجواب : عندما يؤمنوا جميعهم بلا استثناء بالخالق بحريتهم أيضا فى الحال يهديهم جميعا لانهم أقدموا على ذلك بأنفسهم فيرحمهم كذلك لانه كتب على نفسه الرحمة ان علينا للهدى).

وهل اذا لم يؤمنوا جميعاً بحريتهم يستحيل أن يكونوا أمة واحدة متفقين في كل شيء ؟ ....

الجواب : نعم ولا يزالون مختلفين بحريتهم أيضا لعدم الاتحاد فى الايمان والاخلاص....

وهل اذا آمن بالله بعضهم بدرجة واحدة يكونون اخوانا متحدين كشخص واحد

ويرحمهم الخالق ؟ ...

الجواب : نعم ... اذا أرادوا ذلك فقد رحمهم الله تعالى أيضا بالرحمة والاتحاد وائتلاف القلوب « لو أنفقت مافى الارض جميعاً ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » ...

وهل الغرض من الخلق أن يمنح الانسان بحق «مطلق الحرية» فى هذه الحياة ليقدم لله تعالى العبودية والشكر بها ؟ .....

الجواب ... نعم ... « ولذلك خلقهم » أي لهذا الغرض الحق المطلق خلقهم ...

وكذا اذا قيل فى القرآن العظيم : « يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء » فلا يجب أن نفهم ان ذلك غرض بالهوى أو بلا نظام عدل مطلق كما يقول بعض المتكبرين من الناس أنا أفعل ماأشاء وأترك ماأشاء بهواه بلا حق وعدل لمجرد تملكه وتصرفه . فان الله تعالى عدل مطلق حق فان قيل عنه يعذب من يشاء فمعناه بحق وعدل ونظام عام مكتوب محكم واذا قيل يغفر لمن يشاء فمعناه بحق وعدل أيضا ونظام عام مكتوب محكم

وكذا قوله تعالى : « ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غداً الا أن يشاء الله » فليس الغرض من ذلك أن يتجنب الانسان حسن التدبير ويتمنى كل مسته بل حسن ويعمل له باجتهاد ونشاط .... كلا .. بل ذلك ليفهم الله تعالى الانسان .. وهو وان كان حراً مطلقاً فى كل مايفعل وسبقت كلمة الله تعالى فى عدم مساس حريته فى كل شيء الا بحق . غير ان لله تعالى أيضاً نظام وجزاء عادل هو فوق الكل .. فاذا اعترضت ارادة الله تعالى مشروع عمل أي انسان فلا يكون ذلك داعياً لياسه وجبنه وقنوطه اذ أن ذلك ليس لحبس حريته المقدسة فيما يريد بل قد يكون لما اقتضاه حسن النظام العام بحق مطلق أيضا نجهل حكمته مؤقتا

وكذا قوله تعالى : « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » ... فبيان ذلك ان الله تعالى من نظامه العام أن ينتقم من الظالم جزاء له على عمله بحريته بأى وسيلة للانتقام فقد انتقم من بعض الامم بالصواعق أو الغرق كقوم نوح وموسى ... الخ وكذا قد يوقع انتقامه العادل من حوادث نفس الافراد والامم مع بعضها « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » فقول الله تعالى « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » دليل على ان رمية النبي صلى الله عليه وسلم وقت الحرب ما كانت مصيبة مقتل المتحاربين من

الاعداء ولو تركت كما رماها النبي بحريته لذهبت فى الهواء بلا تأثير ... ولكن .... لاستحقاق المتحاربين القتل والانتقام لكفرهم وسوء أعمالهم السالفة طبقا لنظام الله تعالى العام العادل ان جعل بقدرته الخصوصية تلك الرمية الغير مصيبة مؤثره وأحكمها بيده فى المتحاربين لاستحقاقهم ذلك باعمالهم بحريتهم ... فكانت لذلك رمية حقة وعادلة من الخالق ... فالنبي اذا لم يرمها هذه الرمية القاتلة ... بل رماها الخالق بحق مطلق وعدل طبقا لنظامه العام المحكم أيضا

ومن ذلك قوله تعالى : « ومن يضلل الله فماله من هاد » فالله تعالى مخصص نفسه للهداية وحدها كما سبق .. ولكن سبقت كلمته أيضا بحق ان لايمس حرية أي انسان للضلال أو الهداية الا بارادة الانسان الخصوصية باستقلال ... فاذا اراد انسان الضلال بحريته فيستحيل الى الابدان يهتدى الا بيد الخالق وحده ... كما انه يستحيل ان يهديه الله تعالى بقدرته الخصوصية ان لم يؤمن بآيات الله ويرغب الهداية بحريته « ان الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله » لذلك كان ان ضل انسان نفسه بحريته فالله هو المضل لعلة سبوق كلمته ان يتركه ضالا على حاله من غير ان يمسه مادام لايرغب الرجوع عن الضلال بحريته المقدسة ولاستحالة ان يجد له فى العالم كله هاديا للنفس آخر غير الخالق الذى خصص نفسه تعالى للهداية وهو يقبله ويهديه حالا ان رجع بحريته أيضا « ان الله بالناس لرؤف رحيم » . وكذا قوله تعالى : « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » فليس الغرض ان لكل انسان شيء مكتوب بالذات مهما فعل لاينفذ منه .... كلا .... بل ان الانسان يستحيل ان يصيبه فى العالم مما كتب الله تعالى بصفة عامة على الجميع الا بحق واستحقاق ... فاذا استقام انسان فلا خوف عليه من الضرر ... واذا أعوج انسان فى سيره فلا يأمن العطب فقول الله تعالى : « قل لن يصيبا » أي من الجزآت الالهية من خير أو شر « الا ما كتب الله لنا » أى بحق وعدل بنظام عام مكتوب طبقا لحريه أعمالنا وما نستحقه أيضا

فكل مايصيب الناس فى الحياة حق مطلق وان جهلنا الاسباب مع حفظ حرية كل فى العمل ... فالشقى يمكنه ان يتحول الى سعيد بحريته وعمله كما ان السعيد يمكنه بكل سهولة

ان يتحول في أى وقت الى الشقاء بحريته وعمله أيضا.

هذا موضوع قد حير عقول الفلاسفة والعلماء وقد عجزوا للآن ان يكشفوا أسراره الجميلة مع انه الامر البسيط السهل... وبهذا الموضوع قد نسبوا لله تعالى مالا يليق ان ينسب لمخلوق فضلا عن خالق كامل. فقالوا ماشاؤا ان يقولوا وكتبوا ماشاؤا أن يكتبوا وكتبهم مازالت موجودة تشهد على أرائهم. وان كان بعضهم يكتب بجهل لايتعمد السوء. ولكنهم كتبوا مالا يعلمون وكتبوا مايجهلونه جهلا تاما. لانى لم أجد للآن واحدا عرف أسباب الخلقه ولزومها وكيفيتها ببراهين معقولة كما أوضحنا ذلك في الابواب السالفة. وقد بنى على خطئهم فى هذا الموضوع ارتباك الامة الاسلامية باسرها من بداء الخلفاء الراشدين الى الآن وعقولهم كلت وأفكارهم وهنت ولم يعرفوا كيف يوفقون بين آيات الله تعالى والحقيقة. والناظر لآرائهم لايحكم الا بمناقضتها حكما قطعا مهما لطفوا من تحوير التأويل حسب فروضهم الوهمية. وما نشاء ذلك الا من جهلهم الاساس الذى خلق الله تعالى من أجله العالم ومن بنى على غير أساس كالذى يبني فوق سطح بحر عميق لاقرار له مع ان الامر سهل بسيط لايحتاج الا الى الامعان والتفكر القليل.

فالمباديء السالفة التى أيدناها بالعقل والقرآن علاوة على كونها ظاهرة بديهية فان كل موضوع يلحق ماقبله يؤيده وان الفتنة في الباب السابق لم تك الا ليعلم الله تعالى ميل الانسان الى أحد الجهتين الايمان مع الاثبات عليه أوعدمه وهى النقطة الوحيدة التى لم يخلق الانسان فى الحقيقة لا لاجلها.

فاذا نظرنا بعد كل ماتقدم الى موضوع القضاء والقدر الذى اختبط فيه علماء الاسلام كعادتهم في أغلب الامور الدينية يندهش الانسان بل يندهل شدة الاندهال من موضوع خطير لم يك عنوانه الا منع الخوف من الانسان ليقدم على جلائل الاعمال الحقة بقلب حديدى مهما كلفه الامر حيث ان الله تعالى يكلف كل نفس مؤمنة ان تعمل للخير والاصلاح بقدر مافى وسعها من قوة المال والنفس وغيرهما. فاذا باع الانسان نفسه وماله لله تعالى كان الربح أكثر من غيره. ولاجل ان أقدم على الخير تأكد انه فاز عمن لايفعل الخير وهكذا.. فالدين شقيق العقل. والعقل والدين متلازمان مرتبطان لاينفكان الى الابد.

فنظام القضاء والقدر لم يك الا لاطمئنان النفوس وعدم خوفها . وكتابة الله تعالى لكل شيء قبل الخلق لم يك الا لزيادة الرحمة على المخلوقات لتقدم على كل عمل غير خائفة ولا حزينة . فان الثقة بعدل الله تعالي وحسن نظامه فى كل مايعمله الانسان وتأكد الانسان بانه لاتوجد يد أخرى عاملة فى الجزاء فى الدنيا والآخرة غير الله تعالى ثم علم الانسان بان الله تعالى لاتفوته الصغيرة والكبيرة بمراقبته الخاصة وانه لايصاب بشيء في الدنيا والآخرة الا بمقدار ماعمل . وان هذه الحياة ليست خالدة بل جعل الايمان فيها ثمنا للحياة المقبلة الفائقة فى الجمال ... كل ذلك يسهل على الانسان أن لايترك لحظة صغيرة في هذه الحياة من غير أن يعمل فيها مايرفعه درجة فى الآخرة «ولكل درجات مما عملوا» مع تحفظه على الايمان والشكر . وان ثقة الانسان بالله الخالق في كونه يعطى بالضبط بقدر العمل فى الدنيا والآخرة « وما تجزون الا ما كنتم تعملون » حسب النظامات السالفة مما يجعله فى حركة مستمرة في هذه الحياة لاتقف ولا تغمض مطلقا وان يترك سفاسف الامور ولا يطلب ولا يعمل الا للحصول على مايؤيد له المجد والشرف فى الدنيا وحسن الجزاء فى الآخرة . — القضاء والقدر من أول الامور التى تجعل النفس تقدم على جلائل الاعمال العظيمة لايعوقها شيء مطلقا فان الحياة جعلت ميدانا واسعا للجميع بلا استثناء وقدجعل الله تعالى نفسه رقيبا على اعمال الجميع وهو الذي يمد كل انسان بالضبط حسب ماعمل ومن الاسف الاكبر بل من العار العظيم — بل من الخجل المحزن والاثم الفظيع ان يقلب علماء الاسلام موضوع القضاء والقدر قلبا كليا بطنا لظهر وقالوا باوهام لاوجود لها فى القرآن الحكيم مطلقا ولا فى العقل ولا في العالم . — فتوهموا وكذبوا على ربهم وظلموا أنفسهم بقولهم ان معنى القضاء والقدر هو ان الانسان مكتوب لذاته شيء مخصوص لايحيد عنه شعرة ولا يزيد ولا ينقص . أو ان الانسان واعماله وحركاته خلق لله بلا اختيار ذاتى ... أو ... أو ... فتبا لاولئك المضلين ... تبا لهم ألف مرة ماأعمى قلوبهم عن الحق الخالص قدأوقعوا الامة الاسلامية في هاوية عميقة . فلبئس مايقولون !! ... ان هم الا يظنون . ان كثيرا من علماء الاسلام يقيدون عقولهم ولا يطلقون جياد أفكارهم فى العلم بما يملى عليهم حرية الضمير والعقل السليم باتباع الآراء الصحيحة النافعة كالسنن

الشرعية والاوامر الالهية التى تطابق الفطرة الطبيعية فى الارتقاء بتوهمهم قدر الله في كل شيء معكوسا حتى نسبوا للدين مايبعد عنه الدين

واذا كانت هـذه الاوهام المضلة متسلطة على جميع علماء الاسلام الى ان كانت سببا فى خمولهم وتقييد عقولهم وعدم استنباطهم شيئا جـديدا في العلم حتى غرب العلم عنهم وكاد يتبرأ منهم . — فان افراد الامم الاسلامية أيضا من غير العلماء فى نفس هذه الضلة تبعا لهم فى كافة أعمالهم وأقوالهم حتى تربت فيهـم ملكة الكسل والخمول فى كل شيء فاستوى بذلك كل الطبقات علما وعملا وقولا لاعتقادهم فى القضاء والقدر اعتقادا زائغا عن الحقيقة . — ولو رغبنا ان نقابل بين الامم الاسلامية وبقية الامم الاخري الراقية في المدنية بنشاطهم وحسن أعمالهـم لرأينا فرقا عظيما وبونا شاسعا . — وهـذا والله مما يفتت الاكباد ويذيب الفؤاد ويجعل الانسان فى حيرة واندهاش مستفهما : هل هذ الدين الحنيف هو الذى أسبل عليهم هذا الجهل والتأخر كما يتهمهم بعض الامم أم أنفسهم الامارة بالسوء هى السبب فى اضمحلالهم وتقهقرهم لنسبتهم للدين أمورا ليست منه فى شيء ويقولون نحن نسير بالدين؟....

تالله لوسألتنى عن ذلك لاجبتك ان الدين برىء من الخمول برى من التأخر شديد التمسك بكل ماهو أحسن . ولو قسنا تقدم كثير من الامم فى سبيل العمران والعلم والميل الى العدل بين أفرادها والمساواة والحرية الفعلية وتأسيس المشروعات الهائلة الوطنية والخيرية التى ترفع شأن بنى الانسان والحث على اقتناء العلم والعمل الصالح لقلنا ان ذلك هو من دين الاسلام وروحه التى يدعو اليها والغرض الصالح الذى يعمله كل من آمن بالله واليوم الآخر.

ان المرء ليحار اذا أراد أن يوفق بين ماتعمله الامم الغير اسلامية من مجد باذخ وعمل صالح وبين مايعمله المسلمون من الانشقاق وانغماسهم فى الاوهام واللذات حتى اضمحلوا بهذه الصورة مما يتبرأ القرآن منه كل مبراء . — ولو تأمل الانسان قليلا الى هذه الاحوال المكدرة لوجد لها أسبابا كثيرة تأصلت في نفوس القوم من جهلهم حتى ظلموا أنفسهم بنسبتها الى الله والدين « فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا » والعلماء لاشتراكهم مع العامة في هذا الفهم المضل لايبحثون ولا يتدبرون القرآن لاستخراج العقائد الصالحة الظاهرة كالشمس لتستقيم أحوالهم ويأمنوا على دينهم القويم الباهر « وقال الرسول يارب

ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا » فمن هذه الاسباب فهمهم القضاء والقدر مقلوبا مما زاد فى خمولهم وجمودهم . فاذا سرق أحد العامة من المسلمين شيئا وضبطه العدل وسيق للسجن وسألته عن سبب سجنه لاجابك بان الله تعالى قدر عليه هذا السجن لشخصه وهو نطفة في بطن أمه وقبل ان يعمله مع ان الله تعالى يتبرأ من عمله وكلامه . — ولولا اقدام نفسه الشريرة على ارتكاب هذا الجرم لما قدر الله عليه شيئا مما وقع فيه . — واذا سألت مدمن خمر لم تتألم من صحتك ... ولم تشرب الخمر ؟ ... لاجابك بان الله تعالى قدر عليه شربها لشخصه قبل ان يخلق العالم ولا مفر من ذلك . فذلك الشرب مكتوب على جبينه كما يقول ذلك جميع المسلمين من رجال ونساء عند مايعملون أي عمل تهان به الفضيلة أو تداس به العفة تحت الاقدام فانتشر بذلك الفساد بين طبقات الامة وقد يحترم المجرم الاثيم لاحتمال ان يكون قد كتبه الله تعالى قبل ايجاد الخلق من أهل الجنة سعيدا عمن قد يكون مستقيما صالحا لاحتمال ان يكون قد كتب الله تعالى له الشقاء من الازل فتساوت الفضيلة والرزيلة في أعين القوم حتى انتشر فساد الاخلاق في الجميع . فاذا اعترض عاقل على عمل ما . . . رجع الجميع الى سلاح لدين الماضى . . . لاتعترض فذلك ماقدره الله لنا فى أم الكتاب قبل ان يخلق العالم . . . وهل ذلك حقيقة فى الدين كما يدعون ؟ .....

اذا كانت الامة تسير فى هذا البحر المظلم الهالك بلا تأمل وتفكر فانهم يسيرون مجدين خلف قادتهم من الائمة العلماء الذين وضعوا تلك المباديء بجراءة غريبة

يقول أحد مشاهير أئمة المسلمين ومن رؤساء علمائهم وهو المدعو : الامام عزالدين ابن غانم المقدسى المتوفي سنة ٩٧٨ هجريه عن هذا الموضوع بما مؤداه : ان الله تعالى له أمر بالكلام وارادة للفعل فقط ثم هو قبل ان يخلق الناس قسمهم هذا للجنة والسعادة والعمل الصالح وذاك للنار والشقاء وعمل الفساد . فاذا وجدوا فى هذه الحياة وابتداء الشق ان يقتل مثلا أو يزنى أو يسرق فيأمر الله بالكلام فقط لاتقتل . لاتزن .. لاتسرق ولكنه في آن واحد يجره بقوته الخفية الى أن يقتل أو يزنى أو يسرق لعلة انه يستحيل أن يفعل غير ذلك لانه مكتوب قبل وجود العالم شقى للنار والامر الذي يقوله الله تعالى له فى الدين لاتقتل . لاتزن . لاتسرق ليس الا صورة بصفة حجة ظاهرية فقط لاتأثير منها ولافائدة

فى منعه عن القتل . أوالسرقة أوالزنى حتى قد يجوز اذا كان عمل اعمالا طيبة صالحة الى النهاية وكان مكتوبا من الاشقياء (كابليس) فهى لاتنفعه مطلقا وكانها فى هباء وبالعكس أى اذا كان مكتوبا له السعادة وارتكب أعظم الآثام فلا تؤثر فيه فكل انسان يسير الى النقطة المقررة له من الازل . فخلاصة مبدأه ان الله تعالى له أمر بالقول فقط لايعتد به بازاء حقيقة مايفعله بالارادة فهو النافذ الواقع لامحالة رغم أنوف الناس لاينفع العقل ولا الحيلة فى الخلاص منه مطلقا وكانه تعالى بذلك يفعل بقوته الالهية مالا يقول ثم يقول مالا يفعل ... واذا تأمل العاقل لمثل هذه التهمة الشنيعة ضد الخالق حكم من أول وهلة ان اتصف بها من أول الكذابين ... بل من أول الغشاشين المخادعين ... بل من أول الظالمين ..... وهل هذا الوهم السحرى لحظ من الحقيقة ؟ .... وهل ذلك يالهى .. يليق لمقامك الاسمى ؟ ... حاشاك .... ما أرفع مقامك وما أرحمك على الجميع ... من البديهى ان الانسان الذى يقول أقوالا يفعل بضدها ليس الا أن يكون مسلوب العقل بالمرة أويكون غشاشا كذوبا ... فلننظر الى المجانين الذين بالمارستانات نجد من بعضهم أقوالا مفيدة حسنة ثم يدفعهم الجنون الى ضد ماقالوا عملا .... أوقد يطلب تلميذ من والده التوجه الى مدرسته ويصرح لوالده بضرورة التوجه اليها ثم بعد مفارقته له يتوجه الى أحد محلات اللهو والرزيلة ... ألم يغش هذا التلميذ والده ويكذب عليه لانه قال لوالده قولا ثم هو عمل عملا آخر يخالف أقواله ؟ هذه أمور بديهية لاشك في حقيقتها !! !

قال هذا الامام المسلم الذى تتخذه الامة وأمثاله رئيسا مقدسا معولا بكلامه فى كل مايقول عن هذا الموضوع في كتابه المدعو « تفليس ابليس » صحيفة ٤ بخصوص هذا التقسيم السالف عن ارادة الله تعالى فى الفعل وأمره بالقول مايأتى : « فالآمر يهب . والارادة تنهب . فما وهبه الآمر . نهبته الارادة . الآمر يقول افعل والارادة تقول لاتفعل » اه فهو يقصد بذلك ان الله تعالى يهب الامر لرجل كتب له الشقاء قبل ان يخلقه وهذا الامر فى القرآن بقوله له : لاتقتل عند مايدفع الى القتل ولكن في الحقيقة هذا القول لافائدة فيه وليس له علة لغرض المنع المفهوم من معنى النهى عن القتل لان لله تعالى شيء آخر يسمى ارادة بخلاف هذا القول يعجز هذا الرجل ان يقاومه عجزا مطلقا وهو ان يجره الله

تعالى حتما الى أن يفعل هـذا القتل بقدرته الالهية .... ثم يقول هذا الامام المسلم .... ن الله تعالى له حجة قوية على هـذا الرجل يوم القيامة عند مايعذبه فى جهنم ... وما هى هذه الحجة ؟ هى انه أمره في القرآن بهذا الامر بقوله : لاتقتل .... فاذا اعترض هذا المسكين طبقا لهذا الامام المسلم فى مبدئه من أن قوة الله الخفية وهى الارادة التي يقول عنها هـذا الامام هى التى جعلته يقتل بما يعجز عن مقاومته عجزا مطلقا ..... وقف هـذا الامام فى وجهه وقال له : اسكت لاتتكلم ولا تنفوه بعد ذلك بكلمه .... الله يفعل (زي) مايحب فلا تسئله عن ذلك ! ! ! ! ! فيخرس هذا المسكين مضطرباعقله فيموت شهيداسرار التضليل فى الدين . « فليحملن أوزارهم واوزار الذين يضلونهم بغير علم الاساء مايزرون . » .. فاذا رفع رأسه عاقل حر نقاد واستفتى هـذا الامام المسلم بقوله : وما السبب فى ان يصدر أوامره في القرآن بالعمل أوالنهى أليس ذلك لعلة معقولة ؟ .... أجابه هـذا الامام الذى تقدس مبادئه الامة في صحيفة (٣٨) من هـذا الكتاب بقوله : في الحقيقة لاعلة لامره ..... فاذ تأمل هـذا المستفتى قليلا بثاقب فكره لهذا الجنون وسأله ثانيا بقوله : وهـل يقول لله تعالى أمرا بلا علة معقولة كما تقول ثم هو بعد ذلك يتخذه أيضا حجة وسببا ظاهريا يوم القيامة في عذاب هذا المسكين فى الجحيم مع أن المفهوم الآن من هذه المبادىء انه جره بقوته وارادته الفعالة الى القتل وسيجره بمثلها الى الجحيم بما لايمكنه ان يقاوم فى شىء أو يخلص حتى ولو عمل كل الفضائل .... ألم يك فى الحقيقة الخالصة المعقولة ان ذلك الرجل سيعذب بلا سبب من نفسه صريح واضح ؟ .... فماذا يجاوب هـذا الامام المسلم ؟ .... يقول في صحيفة (٣٩) : فله ان يعذب بلا سبب (أى الله) وان يسعد بلا نسب ولا مكتسب .... الى أن يقول ... لايسئل عما يفعل ! ! ! فهل ذلك حقيقة في الدين كما يدعون ؟ .....

يقول الله تعالى فى القرآن الحكيم عن أمره انه مقرونا بالارادة فان أراد شيئا قال عنه صريحا فالارادة منطبقة على القول كما ان القول مطابق للارادة واذا أراد الله تعالى ان يأمر عبدا لاطاعة أوامره بمطلق حريته التى ملكه اليها فليس معناه بعد ذلك ان يضطره على نتيجة الامر اضطرارا فكل ارادة وأمر غرض ترمى اليه ولانطباق الامر مع الارادة

عند مايريد تنفيذ شئ وجب وقوعه حقا أوخلقه قال تعالى في الآية : « انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون » مما يدل على انطباق القول مع الارادة انطباقا متلازما . وأما أوامره تعالى فى القرآن فليست الا للتذكير فقط حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فان قال تعالى للناس لاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق فلا يريد من ذلك الا مطلق التذكير حتى اذا اعتدى أحد بحريته وقتل نفسا بلا حق نفذ ارادته تعالى من حيث جزاءه بالجحيم وتلك الارادة هى التى أعلنها للناس أيضا بقصد الانذار والتذكير وبمثل ذلك يقال عند مايأمرنا بعمل البر والاحسان أوالايمان

وبخلاف ذلك فانه تعالى أنب فى القرآن ومقت كل مؤمن يقول قولا فيه فائدة ما أوعملا صحيحا صالحا بسيطا من غيران يقرن القول بالفعل بلاتردد وانتظار فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون » . .. فاذا كان تعالى يمقت كل مؤمن يقول قولا ولا ينفذه بمثل هذا المقت الاكبر فهل يصح للخالق سبحانه ان يقول أقوالا بلا علة لارتباط لها بأفعاله أوان أفعاله لارتباط لها بأقواله ؟ ... ألم تك تلك النقيصة هى نقيصة الكذب والخداع صريحا ! ! .... على هذه المبادىء التى تسير عليها الامة الاسلامية خلف هؤلاء الائمة ... اذا نظر رجل أخاه يسرق وكان هذا الاثم لايمس الناظر فقد يتركه يؤدى عمله الفظيع لعلة ... انه اذا كان الله كتب عليه ان يقبض ويجازى فعل ... وربما اذا طلب الشهادة ضده لايقول الحق لعلة انه اذا كان الله تعالى كتب له الاذية فسيمدها اليه من غير الشهادة .... وبذلك انتشر الكذب بين افراد الامة والباطل وكذا المرأة قد يدفعها فقرها الى الخدمة ولكنها لاتقصد الخدمة الشريفة بل تبيع عفتها وتدوسها لالعلة اضطرارها بل لعلة ان الله تعالى اذا كان لم يكتب عليها مثل هذا العمل الفظيع منعها عنها واذا كانت لها الجنة من الازل فلا يؤثر هذا المنكر على حرمانها ... كما انها اذا عملت أشرف الاعمال فى خدمتها وكان ذلك في امكانها فلا يفيدها شيء مطلقا ان كان الله تعالى كتب لها النار من الازل وبذلك انتشر الفساد بين طبقات الامة وبمثله الرجال أيضا في جميع الاعمال والاحوال وكم من حكاية خرافية منتشرة بين افراد الامة يؤدى غرضها الى ان أكثر المفسدين ربما كانوا أرفع مقاما عند الخالق

من افراد مخلصين مستقيمين لتأييد مثل هذه البادىء الوهميه - بمثل هذه المبادىء اذا واجهت صانعا مسلما خمولا وسألته عن علة عدم اتقانه صنعته أجابك بان الله تعالى ان كان كتب له ان يكون سعيدا بلا صنعة فلا مانع ولا فائدة من اتقان الصنعة واذا كتب له الفقر من الازل واصلح صنعته واجتهد فيها مهما اجتهد فلا يفيده اتقانها شيئاً فيستمر فى موت الوهم حتى ماتت الصنائع وخمدت القرائح ..... بمثل هذه المبادىء الوهمية اذا واجهت تاجرا مسلما . وسألته عن علة عدم تحسين حاله باقدامه ونشاطه وحسن معاملته... أجابك بنفس جواب الصانع ... ومثل أولئك جواب الغنى في شحه ... والفقير فى كسله.... والزارع في أرضه .... فانتشر الكذب وعم الفساد وفشت المحرمات وديست الفضيلة .. وضاع الشرف وفقد البر والاحسان . وكثر الحسد والانتقام فانعدم شكل الأمه وكادت ان تكون مع الهالكين .

على هذه النغمات الوهمية يضرب ائمة الاسلام وعلمائه فى الدين وبها ملؤا آذان الامة من رفيع ووضيع بنثرهم وشعرهم حتى قال على مثل هذه النغمة عينها الامام وشيخ الاسلام ابن تيميه المتوفى سنة ٧٢٨ هجريه حيث يقول :

فمن كان من أهل السعادة أثرت أوامره فيه بتيسير صنعة

ومن كان من أهل الشقاوة لم ينل بامر ولا نهى بتقدير شقوة

فهل كل هذه الادعاآت الباطلة ضد الله تعالى صحيحة وهل هى فى الدين ؟...

كيف يدعى المسلم ان كل بلاء ينزل به أوكل منكر يأتيه ينسبه لقضاء الله وقدره القديم بانه كان مكتوب له بالذات قبل ان ينفذه مع انه تعالى جعل في كل نفس وجدانا يوقظها للخير والشر فقال جل شأنه : « ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها » هذا بخلاف الاوامر والنواهى المختلفة والفروض التى فرضها الله من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والصوم والحج والحث على عمل البر والاحسان وفصل كل شىء تفصيلا ليعمل كل انسان بها ويستنير بنتائجها .

سل المسلمين الآن عن سبب تأخرهم عن الامم الحية الراقية يجيبونك كل شىء قدره الله قديما .ولو أراد الله لنا شيئا لفعل.أما نحن فلا عمل لنا .نعم ان الله على كل شىء قدير.

ولكن الوقوف بلا عمل مما أنتم فيه من الاوهام السطحيه مستسلمين للقدر هى وساوس باطلة يجب الاقلاع عنها واعملوا الاحسن بحريتكم فستجدون بعد ذلك قدر الله أيضا!!... فاذا أردنا خيرا لانفسنا فعلينا اتباع شريعة الله وحقائق نورها الظاهر بحريتنا ... وعمل الوسائط التى يرشدنا اليها عقلاء الامة للخدمة الخاصة والعامه حتى بح صوت الاكثرين فما بالنا عن ندائهم صامتين وما زلنا في بحر الاوهام هائمين

كل يوم ينادى عقلاء الامة بوجوب انتشار التعليم المؤسس على المبادىء الصحيحة والصنائع والعلوم العصرية على اختلافها بين افراد الامة لانها البلسم الوحيد لشفائها من مرض جهلها فما وجدنا غير الخمول مع انعدام المدارس العالية الاهلية بين الامة وهو دليل يظهر على كمون الجمود فى اعصاب الامة من مرض القضاء والقدر القديم المزعج الفتاك للارواح والفضائل

فالله لا يقضى على المرء بشىء ولا يسوق للامة شيئاً الا اذا أقدمت على أي عمل بنفسها ان خيرا وان شرا و « الحرية في العمل » أول شىء قدسه الخالق « فالله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم » وان القضاء والقدر بالشكل الذى يعتقده المسلمون من قرون مضت الى الآن بهذا الشكل المرتبك الذى لا يوافق طبيعة العقل ونصوص القرآن الصريحة سبب من الاسباب الكبرى المهمة التى ينسبها الامم الاخرى لتأخر المسلمين . وهم محقون في زعمهم لان هذا الوباء الفتاك قد تمكن من نفوس عامة المسلمين وعلمائهم مع ارتباك عقول الناشئة الحديثة الراقية فى هذا الموضوع المقلوب عن الحقيقة . ومن المحتمل اذا سألت بعضا من المتعمقين في هذه الاوهام عن الفرق بين تأخرنا وتقدم الامم التى لا تعتنق الدين الاسلامى لاجابوك بان هؤلاء كفرة لهم الدنيا والتمتع بها وأما نحن فلنا الفقر والمسكنة وان حالتنا هذه التى نحن بها هى ماقدره الله لنا وكتبه من القدم لكل فريق وكل شىء سيراه الانسان مكتوب ومخصص له بالذات من الازل فالنوم والراحة والبخل هما المكسب الحلال « ولبئس مايدعون »

لم لا تتمتع معاشر المسلمين بالسعادة والتقدم والعلم والعمران والايمان كما تتمتع الامم الراقية ومعنا كتاب الله الحكيم : ألم يقل الله تعالى لنبيه : «قل من حرم زينة الله التى

أخرج لعباده والطيبات من الرزق» فأي مانع يمنعنا عن السعادة والتقدم ؟ .. ومن الذي يحرم علينا الجد والنشاط والعمل الصالح لنتحصل على طيبات الرزق مادمنا بشريعة الله متمسكين بترو وعقل وحكمة ..... ألا يجوز للمسلم ان يتقدم باجتهاده فى كل علم وفن واصلاح ويفوق عموم الامم والشعوب كما فاق جدوده من المسلمين فى السابق بعلومهم وحريتهم واجتهادهم واستقامتهم وتسامحهم بحكمة أهل الارض . — ان القضاء والقدر شيء عام لاتخصيص فيه لاحد أولامة . أى انه تعالى جعل لكل شيء قدرا معلوما بصفة عامه . فقدر مثلا للقاتل عمدا جهنم ... كما قدر ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . فاذا أقام أى انسان الصلاة لله واستمر على أدائها باخلاص ولدت فى قلبه الكره للفحشاء والمنكر وكفاها فائدة بخلاف مااذا تركها فانه يصير أقرب للوقوع فى الفحشاء والمنكر مما لو أقامها .. كما قدر ان العلم على تنوعه المفيد يقوي الامة وينيرها « هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون » وان انقسام الامة يوجب ضعفها و زوالها . « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » كل هذه الاشياء وأمثالها التى ذكرها تعالى لنا فى كتابه العزيز والتي علمنا بها بالسنن الطبيعية والشرعية قدرها كنظام ثابت عام لاتخصيص فيه لامة أوانسان فهو لايتغير الى الابد « ولا تجد لسنة الله تحويلا »

كيف يكون الامر كذلك وندعى ان جميع البلايا التى تحيق بنا من انحطاطنا وسوء أعمالنا وأنفسنا شيء قدره الله لنا بكيفية انه مكتوب لنا بالذات بلا علة وهو يسوقنا اليه مع ان الله لايدعونا الا الى الخير دائما « بيدك الخير انك على كل شيء قدير » . فاذا أصاب الانسان سيئة كان ذلك من نفسه وعمله وبمثل الفرد تكون الامة اذ قال جل شأنه : « ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » . — كيف نعرف ذلك وكل انسان حر فى ارادته ويجازي بكل ماتسول له نفسه ان خيرا وان شرا ثم نقول ان فلانا قدر له هذا الشيء وكتب باسمه من القدم وذاك قدر له هذا الشيء الآخر وأحدهما فى النعيم والآخر فى الشقاء . — اذا اعتقدنا ذلك مع تساوى الفردين لنسبنا له تعالى عدم المساواة والظلم ... ان صرحنا بانه خص هذا بالشقاء قديما وذاك بالسعادة من الازل ... اذ أن الناس أجمعين كانوا في الفطرة الروحية مؤمنين مخلصين امة واحدة

فاختلفوا باتفسهم بعد خروجهم في هـذه الحياة بالحرية الممنوحة لهم بحق مطلق من الخالق وبحسب ماراد كل فرد واختار لنفسه فصار لكل فرد غرض يرمى اليه ويعامله الله تعالى بمقتضاه وان قضاء الله وقدره القديم أمر عمومى لاتخصيص فيه لاحداذ قال تعالى : « كان الناس أمة واحدة فاختلفوا » أي بحريتهم في هذه الحياة

فحاشا لله ان يكون ظالما ليخص زيدا من القـدم بالشقاء وعمراً بالسعادة من الازل بلا سبب فهو تعالى مع ظلم الانسان لنفسه لاختياره طرق الشقاء بحريته كتب على نفسه الرحمة قبل ايجاد الخلق ليكون فى الرحمة أعم .. والعفو خليق بقادر خالق رؤف رحيم .... ان المنتقد الخبير اذا نظر على يمينـه وحول بصره الى الامم التى لاتدين بالاسـلام لرأى منهم اقداماً ونشاطاً يحير الالباب بما يظهرونه من آيات الله ونعمه المدفونة فى العالم من كل اختراع جديد واكتشاف مهم ولما حصر الجمعيات الخيرية المتعددة فى بلادهم والشركات الكبرى والاحتفالات بالمعارض والصناعات والتبرعات الهائلة من كرام المحسـنين لخير الوطن والرفق بالايتام والفقراء والاموال الجزيلة لانشاء الاساطيـل وغـيرها مما لايعد ولا يحصيه العقل والفكر مما يدل على الحياة الجميلة العالية حتى صارت هـذه الامم أبهج من نور الشمس بعلومها وقوتها واجتهادها وسهرها على ماينفعهم فى جميع امورهم وكادوا يبتلعون الارض وما عليها من نعم وخيرات ومنافع عديده !!..

فاذا حول بصره الى الجهة الاخرى ونظر الى الامم الاسلامية على اختـلافها لرأى الانقسام والتباغض والتحاسد والجهل والتأخر على أكثرهم ولعـلم ان الجميع في مرض صار مزمنا يعز شـفاؤه ويكاد الانسان ييأس من وجود دواء لشـفائه وسببه فى الغالب الخمول الناتج من فهـم القضاء والقدر مقلوباً وهذا ليس بغريب اذا تمسكت الامة بشيء ليس من الدين مطلقا ولا فى أي ناموس في العالم!!!

« اللهم الا في المخايلات السحريه فانه يتخيل لناظر ظواهرها أنها حق مع ان باطنها كله الباطل » بل هى أوهام تمسكوا بها بخلطهم فى معنى القضاء والقدر القديم من غير تدبـير آيات الله ومشوا عليها جميعا بلا استثناء مما كان سببا فى جمود الامم الاسـلامية كافة بعد النهضة الاولى للاسلام بقوم قد اغترفوا من بحر العالم والعلوم جهد استطاعتهم بما وافق

روح القرآن وحكمته البالغة فكانوا على الارض كالبرق اللامع المنير .

فاذا كانت الامم الاسلامية سائقة نفسها على حسب كلام الله تعالى فيما يختص بقضاء الله وقدره الموضح حقيقته الكلية الخالصة فى القرآن لما ارتفعت امة من الامم على الاطلاق على الاسلام ولدامت الامة الاسلامية هى النور الساطع الى الابد فوق الارض وهى لابد ان تنهض من كبوتها (لو أرادوا بعد اليوم ان يتمسكوا بحقيقة مبادئ الدين) لتكون كذلك حتى لاترجع أبداً الى ماوقعت فيه .

اذا فرضنا وسنت الحكومة قانونا لرعاياها ان من يزنى من الرعية يكوى بقطعة من حديد مثلا فى يده ... فهذا القانون المسنون أشبه بلا تمثيل لقضاء الله وقدره للناس فى هذه الحياة أجمع . وان الرعية نفسها للحكومة أشبه تماما بلا تمثيل للمخلوقات امام الله القادر

فاذا فرضنا وضبطت الحكومة رجلا يزنى وعلم لها من انه وقع فى الجرم الذى سنت له هذا القانون .. فلا شك انها تكويه فى يده بقطعة الحديد كما سنت ذلك في قانونها أيضا .... أفهل يقال ان الحكومة كتبت اسم هذا الزانى الذى وقع فى يدها في قانونها وكتبت جريمته .... كلا ... ان ذلك ليس هو قانون الحكومة ... بل القانون عام لاتخصيص فيه لاحد من الرعية ولكنه ينفذ على كل فرد من الرعية كلما أراد أحد بنفسه الوقوع فيه كهذا الذى وقع ثم كتبته عليه فى صحيفة الخاصة بدفتر قلم السوابق !!..

فكذلك قضاء الله وقدره في عباده ومخلوقاته فالله تعالى خلق الانسان حرا ومنحه حرية مقدسة ليختار ويفعل مايشاء فكل مايحدث منه أو يقع فيه يكون له من الله قدرا عادلا بحسب ماتقدر فى أم الكتاب بصفة عامة فلا شىء مكتوبا لذات من الانفس بالتخصيص وبعد نفاذ الجزاء يكون مقيدا على الانسان أوله بمعرفة الملائكة الكتبة فى صحيفته الخصوصية « وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون » كما قيدت الحكومة جريمة السارق السالف مع جزائه في دفتر سوابقه الذي هو شىء آخر خلاف القانون العام ... فبقدر الحال تكون النتيجة ... ولكن الفرق بين الله والحكومة . . . ان الله تعالى رقيب على كل شىء صغيرا مهما كان كحبة من خردل أو ذرة أو كبيرا كحجم السماء والارض فهو الذى لاتخفى عليه خافية وهو بكل شىء عليم وعليم بذات الصدور . « وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا

حبة في ظلمات البر والبحر ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين . »

أوهل ان وقوع الرجل المذكور مع حكومته ومجازاته غير شياء مما سنته الحكومة في قانونها أم القانون محفوظ لا يتغير ؟ ! ؛ نعم ان القانون لا يتغير .

أوهل اذا لم يفعل الرجل هـذا الاثم ولم تجازه الحكومة هـل يغير ذلك كلمة واحدة مما سنته الحكومة فى قانونها ؟ .. أم القانون مازال مكتوبا ومازال ثابتا موجودا لا يتغير ! ! ! نعم . . . ان وقوع الرجل في هذا الجرم ومجازاته وعدم وقوعه وعدم مجازاته لا يغير شيئا من القانون المذكور لانه مسنونا من قبل كما كتب الله تعالى كل شيء فى أم الكتاب عن اختلاف الحوادث والاعمال لجميع الخلق بصفة عامة قبل ان يوجد العالمين

فقضاء الله وقدره مع الخلق أشبه تماما بلا تمثيل لقانون الحكومة ... ويكون الامر كذلك اذا سنت الحكومة قانونا لعمل الخير أولمكافئة أحذق صانع من رعيتها في عمل ما فالقانون موجود لا تغير فيه والرعية تعامل به بلا تمييز بكل دقة ... وهكذا القضاء والقدر شيء عام يسير على الجميع بسنة واحدة وعدل حق مطلق .. ..

وكذلك اذا قلنا انه اذا زنى زان وأصيب بمرض توفي به على الاثر .... هل نقول ان زناه واصابته وموته كتبهم الله تعالى لذاته بالتخصيص من القدم قبل ان يفعل وقدرهم عليه حتما ثم ندعى ان ذلك هو قضاء الله وقدره ... أم نقول ان قضاء الله وقدره أشبه بلا تمثيل لقانون الحكومة لا يخص ذاتا أو انسانا ... وان حالته التى صار بها هذا الشخص قد أمده الله بها تبعا لاعماله الذاتية بحريته بحسب القوانين التى أوجدها في علمه وهى القضاء والقدر المذكور العام على الجميع وانه موجود قبل ان يخلق هذا الشخص وقبل ان يقدم على أعماله . بحيث كان فى امكانه ان يغير سيره القبيح الذى أوقعه فى هذا الهلاك بما هو أحسن ويجازى بالحسنى أيضا ؟ ... نعم .... ان الحقيقة هى كذلك

الا تخجلون أيها المضلون ان تقولوا كتب الله لكل نفس ماقدره عليها من القدم بالتخصيص وهو يصيبها رغما عنها مع انكم تقرؤن قول الله : فما تكسب كل نفس الا عليها . الا تخجلون أيها المخرفون من أن تقولوا كتب الله لكل انسان حركته وسكونه وخيره وشره بالتخصيص من القدم وسينفذ عليه بلا زيادة ولا نقصان مع انكم تقرؤن

قول الله : اعملوا ماشئتم انى بما تعملون عليم مع قوله تعالى : فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ..... فما معنى ان يعمل العبد مايشاء من خير أوشر أويكفر أويؤمن ؟ . ومامعنى ان يكون قد كتب الله كل مايرد على الانسان لشخصه من خير أوشر قبل ان يختاره ومحتم عليه نفاذه قبل الوقوع فيه ! .. وأين هى حرية النفس المفهوم أمرها من نص هذا الامر .... وما الداعى لصدور أمر ان كان هناك شيء مقرر يصيب الانسان أياما كان من خير اوشر ! ! ألم يك ذلك داعيا الى الفهم من أقوالكم حصول الخداع من الله وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. أما تخجلون أيها المدعون على الله بالباطل بمثل تلك الاوهام مع انكم تعلمون ان الله يرسل النبيين والرسل للناس ليمنعونهم بحريتهم عما هم فيه من الفساد وارتكاب الآثام بجهلهم بالقاء أوامر الله تعالى عليهم ! ! وما الفائدة من ارسال الرسل والكتب السموية ان كان هناك أمر مقرر بالتخصيص لكل انسان ينفذ عليه على كل حال ... أهل يفعل الله ذلك خداعا للبشر .... كلا .. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ولبئس ماتدعون. أيها المفترون على الله كذبا قد نخر سوسه فى عظام أفهام الامة قد ضللتم أنفسكم وأضللتم غيركم ضلالا كبيرا « ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون » وأوقعتم الامة في هاوية الدمار والتقهقر والموت بتمسككم بأمر تجهلونه جهلا كبيرا وقد فتنتم أنفسكم بفهمكم القضاء والقدر بهذا الشكل المريع .

ومن الغريب انك تجد لكل فريق من المسلمين أوعالم من علمائهم مبدأ خاصا واعتقادا غريبا فى هذا الموضوع . حتى تشتت عقولهم وتمزقت من التضارب أفهامهم فهذا يتمسك بظاهر آية ويترك أخري وآخر يتمسك باقوال عالم أوحديث .. وهكذا واذا قست كل ذلك على منبع الجميع وهو القرآن العظيم وجدت فشلا وتضادا فى الجميع لايرجع الى أصل ثابت . وما ذلك الا لعدم الوصول الى أصل الحقيقة فى هذا الموضوع وانه كان يمكنهم أن يعلموا بزيغان أنفسهم جميعا من نفس القرآن الحكيم القائل : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) . فلم هذا الاختلاف اللامتناهى ؟ ...

فترى بعضهم ان أراد أن يعترض على مبدأ آخر ليؤيد مبدأه الخاص يتخذ آية من القرآن الحكيم ويجزم بانها ترمى لغرض كذا وكذا مما يكون وضعها ومقصدها بعيدا بعدا

كليا عن جوهر الموضوع ولا علاقة لها به وانما لو تؤملت بزيغان القلب عن الحقيقة الخالصة ربما تؤيد وهما خياليا يظهر بطلانه مجسما بالبداهة والعقل ومن آيات أخرى ثابتة حكيمة... ولكنهم مع ذلك يتمسكون بهذا الضلال منعا للحيرة التي تختبط أفكارهم فيما اذا لم يلتجؤا الى قصد يظهر لهم أصل الغرض تاركين العقل وكل شيء يعترض سبيل فروضهم الوهمية المذكورة

من ذلك قول الامة بأسرها من عالم وجاهل وأمي وقارىء في منتصف شهر شعبان هذا اليوم الذي تتصاعد فيه أصوات الدعاء فتملأ الفضاء مع انها لا تتعدى جدران الجوامع اذ لا يقبلها الله . فهم يناجونه تعالى بتهمة ضده سيجازيهم بها ان لم يتوبوا فكيف تصل اليه أو تلقى منه قبولا فيقولون : « اللهم ان كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقياً أو محروما أو مقتراً عليَّ في الرزق . فامح الله شقاوتي واقتار رزقي وحرماني واثبتني عندك في أم الكتاب سعيداً موفقاً للخيرات فانك قلت وقولك الحق في كتابك المنزل يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.»

هذا هو الدعاء الذي تقشعر منه الفضيلة والايمان خجلا وألماً يتبتلون به في الجوامع وقد مرت عليهم القرون والاعوام وهم فيه لا يتفكرون .

فهم يقولون في دعائهم : اللهم ان كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيا.. أو الخ مع ان الله تعالى لم يكتب أحداً منهم في أم الكتاب لا شقيا ولا سعيداً بالتخصيص ولكنهم يقولون ذلك بلا تعقل لاستنادهم على آية يذكر الله تعالى فيها انه كتب كل شيء قبل أن يخلق الخلق وهي : « ماأصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها » مع ان الله تعالى يقصد بذلك كل نظامه العام كالجزاء بالخير والشر وكيفية حدوثه ونفاذه وما يترتب عليه وكذا كل حدث ممكن حصوله في الارض أو في السماء بصفة عامة تحصر نوع الاعمال الممكن حدوثها في العالم بلا تخصيص فيها لاحد شيئاً بالذات فهم عوضا عن ان يتصوروها كذلك أيدوا على أنفسهم باطلا بأن كل انسان تخصص له منها بالذات نصيبه ويساق اليه حتما .... ولكن لم هذا التخصيص ؟... وهل اذا كان كل شيء عاما في الكتاب على الجميع لاظهار العدل والمساواة في معاملة العباد وليكون لكل نفس

ما كسبت بحريتها وعليها ما اكتسبت تحت هذا القانون العام ... ألم يك ذلك أقرب الى كمال الخالق العادل ؟ .... نعم ... وهذه هى الحقيقة الكلية التى لانزاع فيها.

وليتهم اقتصروا على ذلك بل نسبوا الله تعالى عملا لم يعمله قط وهو المحو والاثبات فى أم الكتاب ثم هم يقيمون الحجة بقولهم : فانك قلت وقولك الحق على لسان نبيك المرسل : « يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب »

فبادعائهم هذا الباطل ضد الله تعالى بكونه يمحو ويثبت في أم الكتاب لكل شخص منهم هى تهمة لم يقلها أحد فى العالمين قبل هذه الامة المسكينة حتى ولا الشيطان الذي تعمد الكفر بعلم وتكبر لم يتفوّه بتهمة هذا مقدار فظاعتها . — فأم الكتاب دستور الله تعالى العام وقانونه الحق المطلق الذى كتبه بيده لا يتغير ولا يتبدل وهو كقانون الحكومة العام الذي تسنه لتنفيذ نظامها على الامة التى تحكمها . والمحو والاثبات المذكوران لله تعالى هو في كتاب الانسان الخاص المكلف به ملكان طاهران صادقان يعلمان ويكتبان بالدقة والحق كل مايعمله الانسان . — ولعلهم تركوا وراء ظهورهم قول الله تعالى : « وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون » — فما فيه المحو والاثبات هو كتاب الانسان الخاص الذى سيقول له الله تعالى عنه « اقرأ كتابك » فهو المعرض للمحو والاثبات من ارتكاب الآثام أو الفضائل بحرية الانسان وعمله فيجوز مثلا ان يرتكب الانسان اثما بلا قصد ولو باللفظ « مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » ثم يتفكر انه حدث خطاء منه فليعلم انه كتب عليه فى الحال في صحيفته بلا تأخير . فان لم يعجل فى أن يطلب عنه المغفرة من الله تعالى ليمحى من صحيفته ثبت عليه ويحاسب عليه وانه لا يمحى من صحيفته الا ان يطلب من الخالق العفو فهناك يأمر الله الملكين بمحوه من صحيفته أيضا طبقا للنظام العام المكتوب فى أم الكتاب وهو : « من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم »

فغفران الله تعالى للخاطىء هذا هو ان يمحو من صحيفته بالكلية بواسطة ملكيه هذا الخطاء الذي لم يتعمده بعد تطلب الغفران ولكن ليس هذا المحو فى أم الكتاب بل أم الكتاب فيها فقط « من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور

رحيم » فلا اختصاص فيه لزيد من الناس بالاسم والذات بل هو كقانون عام ينفذه الله تعالى كدستور على الجميع بلا استثناء .

وأيضا . اذا فرض وقتل رجل أخا له مؤمنا عمدا فيكتب في صحيفته أيضا في الحال كيفية القتل وكل ماحدث حتى تم هذا الجرم الفظيع .. ولكن مطلق طلب الغفران بعد ذلك لا يفيد — فمثل هذا لاغفران له مطلقا ان لم يك جزاؤه في الدنيا ففي الآخرة « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم » فطلب الغفران من الله تعالى لايعتبر كقاعدة عامه لمحو الذنوب من كتاب الانسان الخاص بلا جزاء بالمرة ... كلا .. بل كل شيء له حد ونظام في أم الكتاب مرجعه العدل المقرون بالرحمة بقدر الامكان فهو كقانون الحكومة العام الذى ترجع اليه فى تنوع واختلاف الجزآت حسب أهميتها وظروفها وأحوالها على الاشخاص .

ولذا يقول الله تعالى : « يمحو الله مايشاء ويثبت » فهو تعالى يقول مايشاء (أي بحق وعدل ورحمه) وليس ذلك كمن يدعى من الناس الاستبداد في الحكم مما تشتهيه النفس بلا رجوع الى قانون ودستور وأصول عادلة حقه رحيمة .... بل هو يقول ذلك ثم يوضح لنا ان اشاءته هذه يرجع بها الى قانون مؤيد سابق حتى أيده بنفسه وهو مافي أم الكتاب المذكور اذ قال تعالى بعد ذلك : « وعنده أم الكتاب » أي يتنفذ المحو والاثبات طبقا لقوانينها العامة على الجميع . فالمرتكب ذنبا خطاء لايتساوى بالمرتكب جريمة القتل عمدا فذلك له نظام في أم الكتاب وجزاء والآخر له نظام عام أيضا وجزاء حتى ولو فرض وتطلب كل منهما المغفرة لمحو ذنبه . — فان مافى أم الكتاب نفسه من نظام حق لايمس ولا يتغير بل يتبع بالدقة والاحكام .

وبهذه الكيفية يمكننا ان نقدر فظاعة النسبة التي ينسبها المسلمون لله تعالى من قرون مضت من انه جعل اناسا مخصوصين للشقاء والجحيم وآخرين للرحمة والجنة والسعادة بلا سبب ثم هم يضيفون الى ذلك انه يمحو ويثبت فى أم الكتاب بلا نظام معقول .

والحقيقة ان الله تعالى يوضح لنا هذا النظام العادل الحق ليعلمنا من هذه الحكم العاليه أشرف عمل دستورى هو أساس سعادة البشر ان تمسكوا بمبادئه الحقة القويمة . واذا كان هذا النظام الحق سائدا في مسئلة كتابة الاعمال ومحوها واثباتها فى صحيفة الانسان الخاصة

فان جزاء الله تعالى لعباده عن الاعمال المختلفة صالحة وطالحة يتفاوت أيضا بتقدر أهمية العمل وظروفه وأجرا كما فى الآية :لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعدوقاتلوا وكلاً وعد الله الحسني والله بما تعملون خبير.» .... وبذلك يتضح جليا حسن النظام ودقة المراقبة في منح كل ذى حق حقه حسب أهمية اقدامه واعماله « ولاتظلمون فتيلا »

حتى اذا فرض وكان الانسان في غاية الايمان والاستقامة ثم انقلب بحريته الخصوصية الى الآثام والكفر والفساد فهناك يتنفذ عليه بلا تأخير في الحال حسب النظام المسنون في أم الكتاب لكل نوع من الاعمال ماانتضاه عمله الاخير السيىء الذى ارتكبه بحريته الممنوحة له من الخالق قال تعالى : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون . »

ومن المحزن ان الانسان اذا ناقش عالما من حزب التقهقر واعترض عليه قائلا : كيف تدعى ان الله تعالى كتب على كل انسان من القدم هذا شقى بالذات...وهذا سعيد بالذات مما يثبت عدم الفائدة من طلب الغفران أو الاوامر والنواهى الدينية ثم تطالب بالثانى بمثل دعاء شعبان الكاذب المحو والاثبات فى أم الكتاب من الشقاء الى السعادة مع كونك تعلم كما تدعى انه كتب نهائيا : هذا مؤمن من الازل وذاك كافر حتما من الازل .... ألم يك ذلك تناقض لايرتاح له العقل والضمير ؟.... فماذا جوابه ؟... وما الذى ينطوي في صدر ضلاله ؟ .... يجاوبك في الحال كما قدمنا بآية قرآنية بعيدة عن الموضوع بعد الارض عن السماء فيقول : « لايسئل عما يفعل وهم يسئلون » فهو يقصد بذلك ان هذا الآله « سبحانه ويتعالى عن ذلك » حاكم استبدادى مطلق فهو يعذب بلا سبب ولا علة ويرحم بلا سبب وعلة فهو خلق بقدرته الخلق فان عذب فلا أحد يسأله ولا يقدر أن يتفوه بكلمة اعتراض وان رحم وغفر فلا علة أيضا ... فاذا سألته وقلت : اذا كان ياأستاذ هذا لانظام له معلوم كما تدعى فى استبداد وعذاب ورحمة ... أما كان الاولى أن يجعلنا كالحجارة صما كما جعلك حتى لايكون لنا عقول تتأمل فى مثل هذا الظلم المجهول

العلة أو شعور أو قلوب تتأثر من هذه القوة الهائلة التي تدعى كذبا أن لانظام لها حيث يسألنا هو ويعذبنا ويحاسبنا من غير اعتراض ونظام ؟ .... أجابك ان هذا خروج عن حد الادب والدين و كفر وضلال مبين فألزم الصمت وعدم الكلام والا فقارقني بسلام .....

هذه هى مناظرة علماء الضلال فى هذا الموضوع الهام ولعل استبداد الملوك والحكام فوق الامم الاسلامية بدرجة ان جعلوا أفراد الامم أرقاء مستعبدين لايبدون شيأ مهما وقع الظلم عليهم حتى انك لتجد ان أغلب الامم الاسلامية كالاموات أو الانعام المسلوبى الارادة خاضعين مستسلمين لكل ذل وهوان نتيجة من نتائج هذه الاعتقادات التى بثها علماء الضلال في عقول الملوك والحكام المستبدين بأنهم خلفاء الله فى الارض لهم من السلطة التى لاتقاوم من غير اعتراض عليها ولا تحديد — وان المطلع على تواريخ الممالك الاسلامية لايجهل هذه الحقيقة المتأصلة فى النفوس الى الآن حتى انهم استبدوا بالنفوس بدرجة كاد الجبن والاستسلام أن يكون فطرة للنفوس بل كاد الخضوع لكل دنيئة أمر طبيعى لاتأثر منه ولا شعور .

والحقيقة ان الله تعالى لم يذكر فى القرآن الحكيم الآية : « لايسئل عما يفعل وهم يسئلون » لهذا الغرض الردىء المقلرب السيىء . بل لغرض أسمى وأشرف وأعظم وهو انه تعالى من تمام عدله وأحكام جزائه بالحق ومع تمام حرية النفوس فى أن تجادله تعالى فى الآخرة جهد طاقتها بكل مايصيبها به وتسأله عن أسبابه « يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها » فانه لايجد بعد كل ذلك نفسا واحدة تسئله بحق معترضة على ماأصابها بحق بل الجميع على ماهم فيه من النعيم أو الآلام يعترفون بعدل الجزاء وأحقيته بتمام حريتهم بل يجدون علاوة على ذلك بأنفسهم أنهم أحق بالتقريع والسؤال عند العذاب فهو تعالى « لايسئل عما يفعل » أى من جزاء حق عادل لانهم سيحكمون على أنفسهم بعدالته الحقة « وهم يسئلون » أى عما كانوا يعملون من الضلال والكفران لان ذلك حق أيضا .

واذا كان أستاذ حزب التقهقر التزم الصمت في ختام الكلام عند ما تناقش حالما افترى على الله كذبا لا يقال ولا يطاق ... فهل ما نذكره الآن من المقاصد الحقة له دليل فى القرآن الحكيم ؟ . . . . نعم له ألف دليل . بل آلاف . فالنور يسيرنا للامام والظلام

يوقفنا فى الطريق المخيف . . . . . فمن ضمن مناقشة بعض الناس يوم القيامة فى القرآن الحكيم أن يقولوا لله تعالى : ان قوتك العظيمة في الحياة الدنيا كانت أعظم لتردعنا بها عما كنا فيه من المنكرات والفساد والشرك فيقول الله : بماذا أداه نعم ان ذلك حق من حيث كونه قادرا على ذلك ولكنه تعالى جعلنا بنظام ودستور ثابت حق أيضا منه وجوب منح الحرية للانسان فى هذه الحياة ليقدم بها تمام الشكر باخلاص الى الخالق سبحانه وسبقت كلمته تعالى فى أم الكتاب بعدم مساسها مطلقا الا بحق كما أيدناه في الابواب السالفة . . . فاحتجاج هذا الفريق بأن قدرة الله تعالى كانت أعظم لتردعهم عن الفساد احتجاج من أنكر الحق وعدالة وجوب عدم مساس حريتهم فى هذه الحياة وكان لا لزوم اذاً لنظام ولا لغيره بل كانت هذه الحياة والخلق فى ذاته باطل وهو محال لان الباطل لا يصدر الا عن باطل . قال تعالى عن ذلك : « وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون » فالله تعالى من اعتراضهم هذا يسألهم هل لهم حجة عقلية أو علم يثبتون به هذه الحجة الباطلة والادعاء الكاذب ؟ . . . ان كان لهم فليظهروه وليجادلوا به ما شاؤا . . . ولكنهم لا يجدون حجة ولا كلاما . . . بل هم يخرصون عن الكلام كما خرص بالصمت أستاذ حزب التقهقر والضلال .

وقال تعالى فى موضوع آخر يثبت قبول النفوس عدالة الحكم الآلهى الاخير في الجزاء : « قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا ادّاركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار . قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون . وقالت أولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون » فنرى من هذه الآية ان الفئة التابعة لغيرها في الضلال والكفر لمجرد الاستسلام لها بأي سبب تتطلب زيادة الجزاء فى الجحيم لمن تبعتها مع ان المتبوعة مهما كان لها من السلطة الوقتية لا ذنب لها مطلقا لان لا عذر لانسان مطلقا أن يدعى بتقييد حريته في هذه الحياة أو ان أحدا يسوقه الى غير ارادته الباطنية فى الكفر أو الايمان حيث جعل تعالى حرية النفس فوق كل شيء ولم يجعل

سلطانا عليها من أحد مطلقا فقد يجوز أن يكره انسان بلتظاهر بالكفر ولكن قلبه يستحيل أن يتحول الى الكفر اذا أراد بحريته الايمان « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » .

- فطلبها زيادة الجزاء للمتبوعة طلب هى أحق به لانها تدعى كذبا انها أضلتها الى الكفر مع ان ذلك محال وهى التى أضلت نفسها بتمام اختيارها . ولذا أجابها تعالى بالقول : « قال لكل ضعف » . لان ذلك هو الحق . وان هذا ما يثبت يقين تلك النفوس بعدالة هذا الحكم الشديد ما داموا يتطلبون لبعضهم مضاعفة العذاب « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب » وبذلك يتضح للقارىء أن مقصد هذه الفئة الضالة من كلام الله تعالى بعيدا عن الحقائق المقصودة من هذا القرآن الابهج المنير .

وفى هذه الملحوظات القليلة البديهة الثابتة تلميحا لمن يضع كلام الله تعالى في غير موضعه بقصد المجادلة الفارغة والضلال البعيد .

فاذا كانت الامة الاسلامية تتمسك بمثل هذه الاوهام وتنسبها للدين فالدين يتبرأ من ذلك وروح الاسلام مبنية على مباديء عالية توصل المتمسك بحقائقها الى اعلا الدرجات الدنيوية والاخروية

اذا كانت الامم الاسلامية تشكوا تقهقرا واضمحلالا فهو لجهلهم أهم نقطة في الدين وهو الاعتقاد فى القضاء والقدر اعتقادا مقلوبا عن الحقيقة قلبا كليا - يكاد المسلم الحر أن ينفطر قلبه كلما رأي تلك الامم الاسلامية التى كانت كشعلة من نور أضاء الكون واكتسب من آداب الاسلام ومبادئه الجميلة ما جعل تلك الامم الراقية الحديثة تعض عليه بالنواجذ ونحن لاعمال الاوائل تاركون والقرآن العظيم ما زال هو المصباح الذي استضاؤا به وبهداه يبهر أعيننا بمبادئه الفائقة الموصلة لكل تقدم وارتقاء ونحن عنه غافلون وفى بحر الاوهام وزيغان الاعتقاد تائهون . . . . لا . . . بل يكاد الانسان ييأس من معرفه دواء لشفاء هذه الامم الاسلامية لعدم التمكن من وجود وسيلة ترشدهم الى هذه الروح العالية والحركة الكبري والحياة الحقيقية التى عليها الغربيون وغيرهم وهم يرونها بأعينهم ويسمعونها بآذانهم مما يدهش الابصار ويسر الفؤاد ويتمنى كل انسان محب لوطنه ودينه وأمته أن يقول فى سره وجهره : لو أن لى أمة في مثل هذه العظمة والقوة وعمل البر والاحسان والفخار . —

حقا .. ان الامم الاسلامية صارت كالمريض الذى وقع فى مرض شديد حتى تمرض جسمه واذا سأله الطبيب عن مركز المرض قال له جميع أجزاء الجسم مريضة ولا أعرف مركز المرض فافحصنى بذكائك وبما أعطاك الله من حكمة .. والا فاتركني أموت لاستريح من هذا العناء . — فاذا حار الطبيب مع هذه الامم وقال لهم : اشربوا الدواء الذى يريحكم وينعش جسمكم وفؤادكم لانى تحيرت في مرضكم وشفائكم . لاجابوه بصوت واحد وجواب صريح ظاهر وبنية خالصة : ان دواءنا الوحيد الذى نستريح فيه وتستريح عليه قلوبنا وأجسامنا وعقولنا هو : الاسلام و « دين الاسلام » دون غيره ولنعم مايتمسكون بالالفاظ وما أعظم مايختارون بالقول والكلام .

لانه لو قبض بيده على (القرآن العظيم) وأخذه بقوة وقلبه سورة فسورة وآية فآية وكلمة فكلمة ثم حلل بميزان عقله وثواقب فكره ماجاء في هذا الكتاب المبين لم يجد فيه خلاصة ولوخيالية ترسب في قاع حقائقه بل يجده كله بلا استثناء نورا وقوة وانماشا ورقيا للعقل والجسم والروح والامة بل ولجميع الامم وخاطبهم بلسان فصيح : (انى هدي ورحمة للعالمين)

فاذا أعاد الكرة وارجع بصره الى تلك الروح العالية (القرآن) التي يستاق المسلمون منها صباحا ومساء وكل يوم وكل ساعة لعلم (اذا عقلوه وتدبروه) انهم أحق من جميع الناس والامم بالقوة والعظمة والعلم والاختراع والاستعمار والفخر والصبر والجلد والاقدام على جلائل الاعمال العظيمة كما كان أجدادهم العقلاء من قبل في مثل هذه النعم العديدة ولكذبوا فى آن واحد بأقوى الحجج دعوى بعض الامم التى لاتدين بالاسلام ويتعدون بجهل على الاسلام ويرمونه بانه مصدر الضعف والانحطاط لعدم وجود تأثير منه على أهله لترقيهم في المدنية وهم يحرصون عليه حرص البخيل على درهمه .

ولكى أقول لهذا الطبيب الماهر الذى علم كيف تتغذي هذه الامم الاسلامية با كسير الحياة الحقيقية والسعادة لابدية بقرآنها ولم يشفوا من مرضهم ويقوموا من رقدتهم! لاتعجب ولا تتحير .... فان هذه الامم تدعى المرض وهى أدرى به من غيرها ولكنها تجهل حقيقة أسبابه والاسلام وروحه العالية يتبرآن من تلك السموم القتالة الرديئة . فلو علمت ان أغلب

المسلمين المنتشرين على الارض يتجرعون سموما قوية قتالة وهم بأيديهم يدخلونها فى روح الاسلام العالية جهلا وظنا منهم انها تساعد على راحتهم واطمئنانهم كما تظن الام الجاهلة في اعطاء ابنها وفلذة كبدها أبو النوم سما زعافا تتوهم به راحة ابنها ومنامه مطمئنا مستريحا وهى لاتدرى انها تسوقه بيدها الى الهلاك العاجل لتوضحت لك فى تلك الامم أسباب المرض واعراضه أيضا . فهم لذلك كالمدمن على الحشيش الذى يتخيل فيه القوة والسرور وهو يساق به الى الضعف والجنون رغم أنفه .

ولذا أقول ان سموم الاوهام والاعتقادات الباطلة بانتسابها للدين أوقفت الامم الاسلامية بلا حركة ولاعمل مفيد واوقعت نفسها وأوطانها في البلاء الجسيم . وانى أحمد الله وأشكره باخلاص على التوفيق لان أظهر هذا الموضوع الذى يهم كل مسلم في الارض حيث قد طرقه كثير من العلماء والمؤلفين والفلاسفة فخبطوا فيه خبط عشواء .... وكثير من علماء الاسلام للآن في نفس هذا الموضوع مازالوا فى الاوهام يتخبطون ولا يقولون فيه قولا صريحا يوافق كلام الله تعالى والسنن الطبيعية والنظاميه .

فانا بذلك أصف الدواء لمرض قد عرفت حقيقة مركزه فهو أصل الخمول ومن الواجب على ان أظهر الآلام الناتجة عن سم هذه الاعتقادات المقلوبة وأشخص اعراضها وأوضح أوصافها حتى اذا تأكدت الامة من اضرارها الجسيمة تركتها ليكون دين الله الحق كما هو صافيا وخاليا من الشوائب ولذا يقوم تأثيره في النفوس فتنهض كالاسود من رقدتها الطويلة فى الاوهام

ان الامم الاسلامية لو وجدت لها نصيرا من علمائها وعقلاء افرادها الذين حنكتهم التجارب والعلوم وثبتوا في عقولهم حقيقة الاعتقاد الصحيح بما جاء به القرآن كما أنزل الله من غير زيغان كهذا يتوهمونه في نفوسهم حتى أوقعهم في مثل هذا الاضمحلال المميت ثم الزموا أنفسهم بالترقى حسب النواميس الالهيه والعمرانية والطبيعية المطابقة تماما لما جاء في آيات القرآن الباهرة لكانت الامم الاسلامية مازالت من أفضل الامم وأقومها في المبادي العادلة الجميلة . — ان مبادى الدين الاسلامى دونها المبادى الوطنية العالية والمبادىء البشرية العظيمة . — ان الدين الاسلامى ومبادئه مع العقل والنواميس الطبيعية الثابتة

شقيقان لا يفترقان شعرة أو ما يقل عن الذرة .

ان كلمة واحدة قد اتفق عليها علماء الاسلام عدة قرون جلبت على أنفسهم وعلى الامة الاسلامية وبالا يذوقون طعمه الآن حتى خلفوا من أوهامهم ذرية ضعافا لا يزال سوس أوهامهم ينخر في عظام البقية الباقية منهم وهم لا يزالون يضلون الناس باوهام القضاء والقدر المكتوب لكل انسان وما سيحصل له من أكل وشراب ومنام ونكاح وسعادة وشقاء بحيث لا مناص له منه حتى وقف كل فرد ينتظر ما قد تقدر عليه وكتبه الله عليه من القدم فاماتوا أنفسهم موتاً ونسوا أمر الدفاع عن شرف دينهم بسوء أعمالهم واعتقاداتهم ووقفوا مستسلمين أمام كل رزيلة كأنهم لا يعقلون ولا يبصرون وبآيات الله لا يتفكرون

اذا سألت عالماً من علماء الاسلام أو عامياً من عامة الامة الاسلامية وقلت له : لم لا تتوجه الى البلاد السودانية مثلا لتتاجر أو لتعمل عملا ينفعك . . أو لم لا تتوجه الى الاقطار الحجازية لتؤدى فريضة الحج ؟ . . لاجابك بانه اذا كان الله تعالى كتب له في أم الكتاب أن يحج الى بيته لتوجه . . وان لم يكتب عنده ذلك من الازل فما أنا بمتوجه . . . أو لقال لك . . . اذا كان الله تعالى كتب له من الازل أن يطأ أرض السودان فهو يطأوها وان لم يكتب له ذلك من القدم فلا يطؤها الى الابد . . . هكذا يقول كل فرد من أفراد الامة الاسلامية ويعتقد في أي عمل أو حادث . . . أفهل ذلك يطابق الدين المنير يا علماء الاسلام ؟ . . . . كلا . . وألف مرة كلا أنا لا أقول ولا أعتقد أن الله تعالى كتب عنده في أم الكتاب النقط التي يتوجه الانسان اليها مخصصة اليه بالذات . . . بل أقول طبقاً لما ظهر من الحق في البراهين السالفة الواضحة أن الانسان حر في كل شئ « الا في ما يستحقه حتما من جزاء الله تعالي من نتيجة أعماله » وانه اذا قام في بلده وعمل كذا أصابه الله بكذا وان توجه الى السودان وفعل كذا أصابه الله بكذا مع علم الله تعالى بكل محل وبكل ما يمكن للانسان عمله في هذه الحياة قبل أن يعمله بلا تخصيص بحيث لو أمكن وكشف الله عنا بحيث يمكننا أن نختار أحد الطرفين أو كلا العملين المتغايرين لبعضهما تغايراً كلياً ونفذ أحدهما أو كلاهما فان ذلك لا يغير شيئاً من قضاء الله وقدره الثابت من قبل أن يخلق الارض والناس أجمعين

قال الله تعالى في كتابه العزيز : « ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن

يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون . »

فهذا كلام الله تعالى عن أهل المدينة يقول بانهم اذا أصابهم ظمأ في سبيل الله كتب الله لهم به عملا صالحاً ... فلا نقول أن الله تعالى كتب لبعضهم من الازل الظمأ ليقرر الله تعالى له قبل حصوله العمل الصالح ... بل نقول .. ان كتابة الله تعالى لبعضهم عملا صالحا بسبب ظمائهم فى سبيل الله تعالى متوقف على حدوثه عند اقتحامهم ذلك .. وهكذا يقال اذا وطئوا موطئاً يغيظ الكفار أو نالوا من عدوهم نيلا .... أما مثل هذه الاعمال فهي مكتوبة في أم الكتاب مع جزا آتها قبل الخلق بصفة قانون لجميع المؤمنين من أهل المدينة والسابقين واللاحقين لهم من الامم الاخرى ... وليست مخصصة لاهل المدينة بالذات بحيث اذا أصاب غيرهم من المؤمنين شيء من ذلك في سبيل الله أيضاً كتب الله تعالى لهم نفس العمل الصالح الذى كتب لهؤلاء .... وان قول الله تعالى ولا يقطعون واديا الا كتب لهم . دليل واضح على أن الكتابة لهم بالتخصيص عن هذا العمل أو غيره ليس مكتوبا لهم من قبل كما يدعي المضلون بل متوقف على اجتيازهم أى واد يقطعونه بحيث اذا فرضنا انهم لم يجتازوا واديا لم يكتب لهم شيء من ذلك بل يكتب لهم بالتخصيص نوع العمل الذى يعملونه بالذات فقط

يقول علماء الاسلام السابقين في كتبهم الدينية ووافقتهم عليه الامة الاسلامية ان آدم عليه السلام حاج موسى عليه السلام بحديث وقالوا ان آدم غلب موسى في الحجة . فقال له كيف تقول اني أهبطت بني الانسان من الجنة الى الارض؟ هل لم تعلم أن الله تعالى كتب عليَّ ذلك قبل أن يخلقني باربعين سنة وانه حتم عليَّ نفاذه من الازل وانه لا قوة لي ولا حيلة فى ارادته؟ . — ولم نعلم من أين سمعوا هذه المحاجة !!! . ولمَ لمْ نسمع محاجة أحد للآن ؟.. ولم هذا الدليل لتأويل كلام الله تعالي تأويلا رديئا يقصد به التثبت من غرض جهلوا أساسه تمام الجهل .. وما تأييدهم لمثل تلك الاوهام الا لجهلهم الا كبر بكتاب الله وبعلم الله وانهم لفى ضلال بعيد .... يقولون ان الله تعالى قدر وقوع آدم في هذا العصيان ليأ كل من الشجرة

لتكون على الارض كما نحن الآن وهو تعالى يعلم بالتخصيص ان آدم سيأكل منها قبل ان يمديده اليها ... فاذا سألهم سائل كيف تعتبرون ذلك والقرآن الحكيم امام أعينكم فيه يقول الله لآدم وزوجته بهذا النهى الصريح الواضح : « ولا تقربا هـذه الشجرة فتكونا من الظالمين » ... فكيف هذا الظلم اذا كان بنفسه سبحانه قرر حصول ذلك حتما كما تدعون وهو يعلم به قبل وقوعه بانه لا بد أن يأكل من الشجرة ... فاذا شربتم في قلوبكم مثل هذه النسبة الظالمة لله تعالى واقتنعتم فهو عنوان اثم عظيم لكم في هذه المسئلة .... وكيف يقول آدم بنفسه : « ربنا ظلمنا أنفسنا » ؟؟ .... ألم تكونوا بذلك أيضاً أيدتم رياء آدم عليه السلام من أنه يخاطب موسى خطابا يؤيد به براءته ثم يخاطب الله تعالى في القرآن العظيم بخطاب آخر بانه ظلم نفسه بنفسه في الاكل من الشجرة !!! .... لا تلوموني اذا قلت لكم أنكم لا تدركون شيئاً وأنكم في تيه وضلال مبين

أيها العلماء ... نعم ... ان الله قضى وقدر قبل أن يخلق آدم عليه السلام انه اذا أكل من الشجرة يهبط به الي الارض وعلمه بذلك في الامكان ... ولكنه تعالى قضى وقدر أيضاً أنه اذا كان لم يأكل منها لكان في قدره وعلمه شيء آخر ولحصل لبنى آدم تاريخا بحيث تكون النسبة فيه كما نحن الآن من حيث أداء الغرض من الخلقه بما لا نعلمه ... وان آدم عليه السلام أكل من الشجرة بمطلق حريته وكان في امكانه عدم الاكل من الشجرة المذكورة اذ هو باستقلاله الذاتي عصى ربه وما ترتب له من جزاء هو الحق المقرر .. بحيث اذا لم يأكل منها لكان في قدر الله تعالي شيء آخر أيضاً فمن عمل النفس بحريتها يتنفذ عليها رغماً عنها القدر «وربك على كل شيء قدير»

قال تعالى في كتابه العزيز : أولما أصابتكم مصيبة » أى بواقعة (أحد) التى كان فيها النبي عليه الصلاة والسلام وقتل فيها سبعون نفراً من أصحابه الشهداء « قد أصبتم مثليها » أي بواقعة (بدر) المشهوره حيث قتل المسلمون من المشركين سبعين وأسروا سبعين أيضاً مثلهم والنبي صلى الله عليه وسلم معهم « قلتم » أى للنبي متعجبين في نفوسكم « أنى » أى من أين لنا « هذا » الخزلان فى واقعة (أحد) مع أننا مسلمون ونحن مع رسول الله وموجود وقت الحرب في وسطنا ؟ ....

هذا ما قاله أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم بعد هذه الواقعة وتعجبوا كيف يقتل منهم

فرد واحد بسبب وجودهم مع رسول الله . . . اذ كان بالطبع قادرا على أن لا يجرح واحد منهم أو في امكانه أن ينزل على الاعداء صاعقة تأخذهم من غير حرب أو قتال .... ولكن الله تعالى عادل لا يحابي أحداً بلا حق مهما كان مركزه ..... ولو استعمل الناس الذين قتلوا تمام البسالة وعدم الجبن واتخذوا طريقا غير الذى سلكوه لما ماتوا في هذه الواقعة ... ولكنهم قتلوا بحق مطلق لتركهم مراكزهم في القتال فكان جزاؤهم من الله القتل من يد أعدائهم . . . لان حالتهم هذه ربما تكون سببا لتزعزع جميع المتحاربين في أحرج المواقف أمام الاعداء مما يكون منه الفشل للجميع

ولقد أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي قائلا لهم عز وجل بما علمه تعالى من حالة المقتولين وسبب قتلهم لتركهم مراكزهم فقال : « قل » أى لقومك يا محمد جوابا لسؤالهم « هو من عند أنفسكم » أى انهم أنفسهم هم السبب فى قتل السبعين الذين قتلوا في تلك الواقعه ... وكان قتلهم بالطبع هو كما في أم الكتاب أشبه بالقانون العادل العام الذي يسيره الله تعالى في جميع عباده لا فرق ولا تمييز ولا تخصيص ... وان هؤلاء المقتولين لولم يرتكبوا هذا الخطأ ما قتلوا ولعاشوا من المحتمل أضعاف أعمارهم ... وهذا التغير والانقلاب الذي عملوه لا يغير شيئاً مما كتبه الله تعالى كدستور عام على جميع عباده وقد أعقب الله تعالى قوله السالف بقوله : « ان الله على كل شئ قدير » ليتثبت أولئك السائلون من أن الله تعالى سريع الحساب ليوقع الجزاء بحق ولو في اللحظات القليلة التي يشتبك فيها بالقتال مع احتمال سرعة تقلب القلوب وقت الشدة وفي آن واحد ذكر لهم ذلك منعا لتوهم أولئك السائلين فيما يحتمل اعتقاده فى قدرة الله تعالى من أنه قادر أن لا يوجد هذه الحرب « ولكن بحق » أو لو شاء لهلك الاعداء بلا حرب « ولكن بحق » أو أن يهديهم جميعاً للايمان « ولكن بحق »

وعلى كل حال فقد سيرهم على النظام العادل المكتوب في أم الكتاب وهو الذي جعله على جميع عباده بلا استثناء -- فيصيب كل مخلوق بما اختار بحيث أن تغير القلوب والامور والحوادث أو الاعتقادات أو اختلاف تيار الاعمال من بني الانسان لا يغير شيئاً من قضاء الله وقدره كما سبق البيان بل الجزاء حتما على قدر العمل حيث قال تعالى بخصوص جبنهم في الحرب أيضاً : « ان الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا

ولقد عفا الله عنهم » وهذا يؤيد ما أوضحناه باجلى بيان أيضاً

هذا ويجب على كل فرد من أفراد الامة الاسلامية أن يتمسك بالايمان أولا ثم يطلق عنان فكره فى كل علم وعمل صالح وأن يقدم عليه بثبات وقلب حديدى وأن روح القرآن لا تدعو الا الى كل شعور حسن وعمل نافع مهما تنوع مع المحافظة على حدود الله وان الاوهام السطحية والنعاس المسلم في الوهم والمنكرات ناسباً ذلك لقضاء الله وقدره القديم مخصصاً له بالذات من ضمن الآثام ولم يقل به الله في كتابه العزيز ويتبرأ منه القرآن كل مبرأ

واني متأكد من أن هذا السهم سيصيب كبد الحقيقة لايقاظ الامة الاسلامية من أحلامها وليكذب في آن واحد كل من كان يتكئ منهم في علمه وعمله وأحلامه على اعتقاد مقلوب من الاوهام والوساوس .

وليت الامم الاسلامية قلدوا غيرهم في الفضائل من باقى الامم الراقية في الاقدام على كل عمل صالح من غير أن ينسبوا شيئاً للدين ... ولكنهم أضافوا الى ذنوبهم اثما آخر جسيما لاتكائهم على القضاء والقدر وفهم الغرض منه فهما مقلوبا فاوقفوا أنفسهم بالاوهام والوساوس الشيطانية للتأخر والاضمحلال حتى عم ذلك أفراد الامة وصار يترنم به الصغير والكبير . —

قال تعالى في كتابه العزيز : « وأن ليس للانسان الا ما سعي وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفي » ففى هذه الكلمات الصغيرة الكبيرة جمع الله تعالى أصل الغرض من الخلقة ثم مآلها ثم نتيجتها .... فاذا كان كتب لاى انسان شيء من الازل قبل أن يسعى اليه بحريته كما يدعي الجاهلون لقيل : « وأن ليس للانسان الا ما كتب عليه » عوضاً عن هذه الآية الحقة الكريمة .... ولكن ذلك محال الا أن يدعى بها ظلما مبطل كافر . وعلى هذه البراهين القوية البديهية يجب على كل مسلم أن يكون في جهاد ونضال لعدم الاقدام على عمل رديء أو مضر سواء كان ذلك للنفس أو للغير ... بل كم من فوائد تفوت المسلم في تقاعده وضياع الوقت سدى ... وعدم انتهاز الفرص في الاقدام على كل عمل مفيد وتنفيذ كل فكر حسن يتأمل منه فائدته أو منفعة غيره أووطنه ... اذ مالاجدال ولا شك فيه أن الدنيا دار عمل وتنافس للتسابق للخيرات الدنيوية والاخروية لا دار خمول وتقاعد وانتظار للقضاء والقدر ... يؤيد ذلك الله والقرآن والرسول : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك

تموت غدا » وجميع السنن الدينية والطبيعية والعقلية والاوامر الالهية وليس كما يساق لنا من الوساوس والاوهام . ولا نعجب بعد ذلك اذا تمسك كثير من الامم الراقيـة التي لا تعرف حقائق القرآن بمبادئ وأمثال لا تقل في حكمتها عن مجموع ما أوضحت حتى ترقوا على الامم الاسلامية الآن المتمسكة بالاوهام والخمول كقولهم « الوقت مال » يقصدون بذلك دوام العمل الصالح بلا كلل ولا ملل في كل أمر نافع وعدم ضياع وقت ولو قصيراً في عدم التفكر فيما يرفع شأنهم وأوطانهم ويقوي ملـكهم . . . وهم لا يقرؤن مثلنا صباحاً ومساء هـذا القرآن العظيم الذي يهدي للتي هى أقوم . . . ويفصل كل شيء أجمل ايضاح وتفصيل . . . وهو يدعونا ويحثنا على العمل بهذه الروح العالية . . . فما أجهل الامم الاسلامية بروح الاسلام الجليلة .

ان الاسلام يحث بكل قواه لكل عمل صالح ينفع بني الانسان وللتقرب الى الله بأنواع العبادة والبر والاحسان العام . . . بل ويدعو لكل تقدم وعلم نافع وحرية وأخاء عام وتعاضد ومساواة وتكاتف واختراع واستنباط وتبصر وتفكر وطلب المزيد من القوة والثروة ونفع الوطن والاستقلال والتمتع بكل ما تخرجه الارض والنظر في خلق الله في السماء والارض وانه لآيات بالغة أوج الكمال من الحكمة لقوم يتفكرون .

وعلى ذلك . . فالاحسن للمسلم ان يختار الطريق الذي يوصله للسعادتين الدنيوية والاخروية « فعند الله ثواب الدنيا والآخرة » ويجتهد فى كل عمل يؤمل منه النفع بلا تردد سواء كان لنفسه أو لغيره من غير تمييز فى الجنسيه « الا من اعتدى بلا حق » أو لبني وطنه وان يكون متصفاً بكل أوصاف الرجولية التي تشرفه وتعلي قدره مع الايمان بالله والاخلاص له في جميع الامور والصبر والجلد وعدم اليأس في نوال المقصود مهما طال أمده والاقدام والثبات وحسن التوكل والتسابق في عمل البر والاحسان وتنفيذ الاوامر التي يحثنا الباري جل شأنه للتمسك بها لحكم نعلمها أو نجهلها مؤقتاً ثم مراجعة العقل والضمير دائماً في جميع الاعمال والاحوال وفي ذلك ذكرى لقوم يعقلون

كيف تكون سعيداً

علاوة على ما قدمناه من الدلائل والشواهد عن موضوع « القضاء والقدر » فاننا نجد

هذا الموضوع هو الحجر الوحيد الذي وقف عثراً امام تمدن الامم الاسلامية وارتقائها عدة قرون ... بل نجد ان أكثر الفلاسفة والعلماء أجهدوا عقولهم فيه كثيراً ورجعوا منه بالفشل الاكبر حتى تسبب منه انقسام الآراء وانهكت قوة الاسلام من الخمول والجمود .. ولذا نحن نعاود الرجوع من وقت الى آخر لطرق الابواب التي طرقها العلماء والفلاسفه فيه لنبين حقائقها .. وكيف ان آيات القرآن الحكيم تسير كلها مع العقل جنباً لجنب بلا خلاف بمبادئ هي في الحقيقة أساس للتقدم الانساني بحريته الذاتيه .. فلننظر الآن مسئلة الاختيار الذاتي في الاكتساب فنقول .

الاختيار : هو التخصيص بحرية النفس بأحد الشيئين المتضادين في وقت واحد معين بحيث لا يجوز الجمع بينهما مطلقاً عند وقوع الاختيار أو التخصيص بأحدهما قبل حلوله ووقوعه ولذا كان من « المحال » ان يعلم الاختيار نفسه الذي هو تخصيص أحد المتضادين لمن يختار الا في وقت وقوعه ممن يفعله .... فاذا كان أمامك برتقالة وتفاحة معاً وقلنا أن لك احداهما فقط بالاختيار فالتصريح منا لك بالاختيار المذكور موجب حتما لتأجيل «علمنا» بالتخصيص بواحدة منهما لك لوقت وقوع الاختيار أو التخصيص منك فعلا ... فان لم يقع هذا التخصيص .. فالقول منا بالتخصيص بواحدة أو « علمنا » به قبل الاختيار ووقوعه فعلا « محال » ... اللهم الا اذا امتنع هذا الاختيار وانتفى فرض حصوله .... وعلى ذلك يمكن استيفاء « معنى الاختيار » بوجود الاربع نقط الآتية بحيث اذا عدم احداها عدم الباقي أيضاً كما توضح وانتفى الاختيار ووجب ضده وهو التقييد أو الاضطرار وهذه النقط هي :

(١) الحرية لمن يختار

(٢) وجود أمرين متضادين معاً لا يمكن جمعهما في وقت واحد ومعلومين

(٣) تأجيل « العلم » بالمختار لوقت وقوع تخصيصه ممن يختار بشخصه

(٤) عدم تخصيص أحد الامرين قبل وقوع الاختيار

لانه اذا وقع الاختيار على واحدة منهما بمعرفتك من « المحال » ان تكون لك الاخرى في الوقت نفسه والا امتنع الاختيار أيضا ... فاذا فرض ووجدت واحدة فقط بدل

الاثنتين قبل الاختيار وكان لابد لك من الاختيار . . فعدم وجود الاخرى ينفي هذا الاختيار أيضاً بل ويزيله . . . ولذا فالاختيار لا بد وان يكون بين أمرين متضادين موجودين فعلا وان العلم بالتخصيص بالمختار منهما مرتبط بوقت وقوعه فعلا ممن يختار وليس قبله لان ذلك « محال »

فاذا قلنا باحتمال وقوع الاختيار على أحد المتضادين المعلومين « فالعلم » بالمختار اذ ذاك « واقع » في حيز الامكان لا في حيز التخصيص . . . اذ من المحال التأكد بالعلم بالتخصيص لاحداهما الا اذا انتفى الاختيار نفسه وصار لا وجود له بالمرة كما تقدمت العلل والاسباب . فيقال عن هذا العلم الامكاني قبل وقوع الاختيار : أنا أعلم انه يمكنك ان تختار البرتقاله . . . وأنا أعلم انه يمكنك ان تختار التفاحه . . على ان « علمي بالتخصيص » لاحدهما لك قبل وقوع الاختيار منك فعلا « محال » كما تقدم

ولكن . . . هل عدم علمي بالتخصيص لما تختار منهما يوجب الفهم بنقص علمي بالبرتقاله أو التفاحه أو بشخصك الذي سيختار أحداهما أو كيفية تقلب نفسك على الحالتين عند الاختيار لكل منهما أو بالوقت الممكن تخصيصه لتفعل فيه الاختيار أو بنوع أخذك البرتقاله أو التفاحه وقت الاختيار ؟ . . . كلا . . . . كل ذلك معلوم لي من قبل « بالفرض » ولكن تجد أني اذا أعطيتك الاختيار فالجمع بين تقرير علمي بالتخصيص لاحداهما لك وتقرير الاختيار نفسه في وقت واحد « محال » اذ هذا العلم الذي هو التخصيص متوقف على تخصيص من يختار بنفسه لا على من قرر الاختيار والا امتنع الاختيار — هذا مع كون علمي « بالامكان » واقع قبل حدوث الاختيار كالعلم بالتخصيص بالضبط بلا زيادة ولا نقصان . . . . والفرق بين العلم « بالامكان » والعلم « بالتخصيص » هو أن الاخير من طريق واحد ولكن العلم بالامكان من طريقين متضادين مع عدم تغير العلم فيهما مطلقا لا بالزيادة ولا بالنقصان لا قبل الاختيار ولا بعده ولا وقته ولكن العلم بالتخصيص مع وجود الاختيار وقبل وقوعه في آن واحد من « المحال » . . . أللهم الا اذا انتفى الاختيار وتحول الى التقييد أو الاضطرار كما ذكر

فاذا تقرر هذا عقلا وحقيقة فلننظر هل الاختيار موجود في الدين ؟ وهل هذه النقط

الاربع موجودة فيه أيضا ؟ . . . اذا كانت هذه النقط موجودة في القرآن الحكيم فالاختيار من الله تعالى للانسان في الاكتساب واقع من طبيعته لامحاله

الاولى – عن « الحرية » يقول تعالى : فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . . . وهذا واضح

والثانية – عن الطريقين المتضادين الغير ممكن جمعهما فى وقت واحد يقول تعالى: « وهديناه النجدين » أي الطريقين طريق الخير وطريق الشر أو طريق الايمان وطريق الكفر

والثالثة – عن تأجيل علمه تعالى بتخصيص المختار لمن يختار لوقت وقوع تخصيصه ممن يختار بنفسه يقول تعالى : « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا « لنعلم » من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه »

فهو تعالى يعلم من قبل وجود الخلق بالنسبة لهؤلاء الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم كل مافى « النجدين » وفتحهما لهم بلا ممانعة لاختيارهم الذاتى فى حياتهم لا « نجدا » واحدا منهما وعلم تعالى أيضا : انه في الوقت الذى امكنهم انهم لم يتبعوا فيه النبي صلى الله عليه وسلم من طرف كان يمكنهم بحريتهم أيضا ان يتبعوه فيه ويؤمنوا به من الطرف الآخر . . . ويعلم تعالى أيضا بالذى سيجازيهم به وكيفية ايمانهم ان تبعوه ويعلم في آن واحد ماسيجازيهم به تعالى ويصيبهم وكيفية كفرهم ان لم يتبعوه أيضا فهو تعالى يريد ان يعلم اختيارهم أى التخصيص فقط لانفسهم بحريتهم أحد الطريقين المعلومين لله تعالى من قبل هذا الاختيار ... فالذي يتأيد هو التخصيص فقط وهو بالبداهة مما لايزيد علم الله تعالى ولاينقصه لان هذا العلم نفسه قبل الاختيار كان معلوما لله تعالى باكمله لهم غير انه فى حيز الامكان لافي حيز التخصيص لكونه من طريقين متضادين محال ان يجمع الانسان بينهما فى وقت واحد وضرورة تفرقهما هو العلة الوحيدة في وقوع العلم بهما عند الله للانسان فى حيز الامكان وانهما له معاً في وقت واحد للاختيار ولولاهما ما كان الاختيار ... ولولا الاختيار ما كان التخصيص لازماً من الانسان .... فعلم الله تعالى قبل الاختيار قديم ثابت لايتغير . . ولكن من طريقين متضادين دائما لذات واحدة

فى جميع الاوقات وهما مفتوحان امام اختيار الانسان الذي له طريق واحد فقط في وقت واحد وان كان يتقلب في الطريقين فى أوقات مختلفة طبقا لاختياره الذاتى فكان هذا الاختيار علة التخصيص من الانسان لاحدهما بحريته لا من الخالق «سبحانه» ولذا بعد اختيارهم الطريق الذى وقع عليه الاختيار سيصيبهم تعالى بما اختاروا فقط واغمض عن أعينهم فى الوقت نفسه ما كان فى الطريق الآخر الذى لم يتبعوه وكان مفتوحا امام اختيارهم أيضا بل ومعلوماً لله تعالى قبل وجودهم وقبل اختيارهم الطريق الآخر ولم يزل معلوما لله تعالى دائما كما كان بعد تخصيص أنفسهم لما اختاروه غير انه مع نتائجه خفى عنهم . . . . . وبذا نقول ان الله تعالى يغير الاقدار في العالم ويوقعها أو يخفيها طبقا لحرية الانسان واختياره مع عدم تغيير علم الله تعالى مطلقا ولذا قال تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » أى انه تعالى يغير الاقدار على الناس تبعا لتغير اختيارهم وحريتهم.

والرابعة — : عن عدم تخصيص أحد المتضادين قبل وقوع الاختيار يقول تعالى : « وما كان الله ليضيع ايمانكم » أى قبل ان يضيعوه بانفسهم وحريتهم . . . وهذا يثبت عدم تخصيص ضياع الايمان الذى هو الكفر قبل ان يتخصص بالاختيار منهم ... وبذلك أيضا يتأيد لنا حتما لزوم الاختيار في الدين لا الجبر ولا الاضطرار

واذا كان كل ذلك بديهيا فيظهر ان نقطة واحدة هى التي أضلت افهام علماء الاسلام السابقين فى كيفية فهم نظام الله تعالى فى هذا الموضوع الاوهى مايسمونه : « علم الله تعالى بجزئيات الاحوال وكلياتها » وذلك كعلمه تعالى بان الانسان سيفعل حسنة قبل وقوعها باكرا أوسيفعل سيئة بعد باكر أوسيدخل الجنة في الآخرة أولا يدخلها بل سيدخل النار على انه تعالى جعل فعل الحسنة باكرا ان وقعت في حيز الامكان قبل وقوعها لا في حيز الجبر والاضطرار مع كونها معلومة وجعل فعل السيئة بعد باكر كذلك ان وقعت في حيز الامكان قبل وقوعها لا في حيز الاضطرار مع كونها معلومة وكذا دخول النار أوالجنة في الآخرة في حيز الامكان لا الاضطرار والتقييد والجبر .... لان الله تعالى لم يقرر للانسان طريقا واحدا بل قرر له طريقين متضادين يسيران متوازيين في وقت واحد وجعل سبحانه الاختيار للسير في أحدهما أوفى كل منهما على التناوب لذات الانسان وحريته الممنوحة له

بحق بمعنى انه تعالى كتب فى أم الكتاب ان الانسان طبقا للوسط الذى يتواجد فيه يمكن ان تكون له الجنه ويمكن ان تكون له النار ... وعلم سبحانه كيفية السير تبعا لهذا الوسط الى كل منهما غير انه تعالى أيضا ترك الانسان بحريته يسير الى أحدهما ولو بالتناوب اذ محال على الانسان أن يسير الى كليهما معا فى وقت واحد بل لاحدهما فقط من غير ان تخصص له جهة دون أخرى من قبل بل له الطريقان مفتوحان فسيره بالطبع لا يكون الا في طريق واحد في وقت واحد والتناوب ممكن له أيضا فى كل منهما فى أوقات مختلفه ... وان قدر الله تعالى الذي يصيبه من أحدهما هو اذا نتيجة ما اختاره الانسان بنفسه وحريته ليس الا ... ولذا قال تعالى : « انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » أي هديناه السبيل الموصل الى كل منهما لا الى طريق واحد فيقال ان الانسان يمكنه أن يشكر الله تعالى ويمكنه ان يكفر بالله أيضا ... وان الوقت الذى شكر الله تعالى فيه كان يمكنه ان يكفر بانه فيه بدل الشكر المذكور أيضا .... ولكن محال عليه ان يجمع بين الاثنين المتضادين في وقت واحد ... فهو اما شاكر الله تعالى كما يقال اما يسير في طريق الخير واما كفورا كما يقال واما أن يسير فى طريق الشر ... على ان الشكر أو الكفر أو طريق الشر وطريق الخير كتبهما الله تعالى في أم الكتاب مع كيفية سير هذا الانسان في كل منهما طبقا للوسط الذي يتواجد فيه ولكن بلا تخصيص له طريق واحد دون الآخر ... لانه لو كان مخصصا له أحدهما بالذات دون الآخر حتما لكان امامه اذ ذاك طريق واحد لا طريقين وبذلك ينتفى ويبطل كلام الله تعالى القائل «وهديناه النجدين» ويعتبر لاغيا وهذا محال كما ينتفي الاختيار ومعه « الحرية » أيضا وكلها أمور بالبداهة والعقل من المحال .

فهو تعالى اذ ذاك يعلم « بالكليات » عن هذا الانسان أي كل ما يمكن ان يصيبه من طريق الخير أو من طريق الشر أو من طريق الشكر أو من طريق الكفر وكذلك «بالجزئيات» الممكن ان تصيبه بالذات أو عملها ولكن ليست من طريق واحد بل من الطريقين أيضا .. على ان الجزئيات المذكورة وان كان معلوم لله تعالى كيفية حدوثها وتنفيذ جزائها من كلا الطريقين غير انها لم تتقرر للانسان من طريق واحد وتكتب عليه بالتخصيص الا عند اختيارها بنفسه وحريته التى ملكه الله لها ... بمعنى اذا شكر الانسان ربه باكرا فى وقت

معين فقد كان معلوما لله تعالى ذلك في حيز الامكان من قبل كما قد حصل وان هذا الشكر « الجزئى » الذى وقع هو نوع واحد من الشكر « الكلى » الكثير الانواع وان كانت هذه الانواع فى طريق واحد وجهة واحدة ... ولكن من الجهة الاخرى معلوم لله تعالى أيضا فى آن واحد ان هذا الذى شكر كان يمكنه ان يكفر في الوقت نفسه بنوع من الكفر بدل هذا الشكر الذى وقع وكيفية الكفر نفسه معلومة لله تعالى من قبل أيضا ... غير ان الانسان لما وقع اختياره على الشكر المعلوم لله من قبل بدل الكفر المعلوم لله من قبل في الوقت نفسه أيضا ... بعد عن علم الانسان اختياره للكفر أو كيفيته المتنوعة لعدم وقوع نفسه فيه بحريته وصار هذا العلم بالكفر غائبا عن الانسان لانه لم يطرق مفتاح بابه «وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو » وان هذا الكفر لم يكتب عليه في صحيفته الخاصة كما كتب له الشكر بها لعدم اختياره له ولكنه مكتوب في أم الكتاب ومعلوم من قبل لله كما تقدم من الطريقين للانسان ... وبهذا نقول ان الله تعالى يعلم بالجزئيات والكليات وبكل مايعمل الانسان ويختار ... بل وكتب قبل الخلق نظام كل شيء وكيفيته عنده ولكن عن الطريقين المتضادين فى آن واحد لفرد واحد لا عن طريق واحد ... وانه تعالى لا يخصص للانسان بالذات حتما الا ماقد وقع عليه اختياره بحريته فقط .

ولما كانت الحرية الممنوحة للانسان من الخالق تجوز له ان يسير دفعة واحدة في طريق واحد أو بالتبادل مرة هنا ومرة هناك طبقا لاختياره من الطريقين المتضادين أخذ الله تعالى على نفسه الرقابة على كل نفس بما تختار وتكتسب من أحدهما « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » ليكتب لها أو عليها « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » طبقا لحريتها « ان الله كان عليكم رقيبا » واتخذ سبحانه من الملائكة والرسل والناس شهودا على أعمال الانسان واختياره الحر حتى لو تلفظ بكلمة « مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » ليوضع فى الآخرة بلا ظلم في نقطة هى خلاصة أعماله العامة في الحياة لا زائدا ولا ناقصا « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » « اليوم تجزي كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب »

اما علم الغيب الذى يعلمه الله تعالى فهو العلم الذى أخفاه عن الانسان عند اختياره

أحد الطريقين وكان فى امكانه العلم به لو وقع منه على طريقه الاختيار « اذلاشىء غائباعن علم الخالق » ولكن اذا فرض وعلم الغائب الذى لم يقع عليه الاختيارلكان الذىوقع عليه الاختيار من الانسان وعلم له يكون غائبا ... اذ من المحال الجمع بين الطريقين في اختيار واحد .... قال تعالى : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » أي بنتيجة هى ضد ماوقع عليه الاختيار ... فهو غائب بالنسبة للكل لابالنسبة للخالق سبحانه فاذا كان زيد في القاهرة وبكر فى الاسكندرية وأحدهما لايعلم بما عند الآخر فليس هذا هو علم الغيب الذى أخفاه الله تعالى عنا ليخفيه للبعض ويظهره للآخر ... كلا ... بل هو ماغاب عن الخلق بلااستثناء عما كان في الامكان حصوله لو وقع عليه الاختيار من الوجهة الثانية الغير معلومة ... فانه لم يظهره لاحد فى العالم مطلقا مع كونه معلوما له تعالى وحده وهو يعد علما غائبا بالنسبة لنا فقط « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا » اذ هو سبحانه على كل حال « بكل شىء عليم » ... فمثلا ... عصيان آدم عليه السلام ... فانه كان فى امكانه ان لايأكل من الشجرة ... ولكن « العلم بما كان » اذا لم يأكل منها يعلمه الله تعالى وحده لاغيره في العالم ... وكذا « ابليس » اذا أطاع الله تعالى وسجد لآدم عليه السلام لكان فى قدرالله تعالى شىء آخر من المحال ان يعلمه أحدالآن .... ومع كل ذلك فعلم الله تعالى كما هو البديهى للعقل لايتغير ولن يتغير الى الابد .. وانه تعالى يسير علينا الاقدار بقدر استحقاقنا الذاتى وما سعينا اليه بالاختيار « وان ليس للانسان الا ماسعى »

قال الامام « أبو حنيفه » رضى الله عنه فى رسالة التوحيد (مجموعة بقلم نسخ نمرة ١٢٧ بالكتبخانه الخديويه ن ع ٢٣٧٢)مايأتى :

« لم يجبر الله تعالى أحدا على الكفر ولا على الايمان ولا خلقهم مؤمنا ولا كافرا ولكن خلقهم أشخاصا ... والايمان والكفر فعل العباد ... يعلم الله تعالى من يكفر فى حال كفره كافرا .. فاذا أمن بعد ذلك علمه مؤمنا في حال ايمانه واحبه من غير ان يتغير علمه وصفته وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة . اه »

فقول هذا الامام رضي الله عنه ينطبق على ماقلناه وان لم يكن فيه تفصيل كما ذكرناه ليطابق كل آيات القرآن الحكيم فى معانيه بلا اختلاف .. مما انبهم على عقول العلماء

قرونا كثيرة وتسبب منه تقرير أوهام كانت سببا فى بلاء الامم الاسلامية مما لا يمكن حصره نذكر من ذلك مثالاً .... قال شيخ الاسلام « ابراهيم البيجورى » فى شرحه (تحفة المريد على جوهرة التوحيد) صحيفة ٨٣ مايأتى :

« وبالجملة فليس للعبد تأثير ما فهو مجبور من الله باطنا مختار ظاهراً .. فان قيل اذا كان مجبوراً باطنا فلا معني للاختيار الظاهرى لان الله قد علم وقوع الفعل ولا بد وخلق فى العبد القدرة عليه اجيب بان الله لايسئل عما يفعل . » اه .

أفهل مثل هذه الأوهام لها حظ من الحقيقة فى دين الاسلام ؟ .. ألم يك ذاك افتراء « وان كان غير مقصود » على الله والقرآن والحقيقة وما قاله أبو حنيفة ؟ ...

وبناء على ماقررناه نقول : ان من يؤمن بالله تعالى فى وقت يمكنه فيه ان يكون كافرا .. ولكن اذا وقع الكفر من المحال فى الوقت نفسه ان يكون معه الايمان ... وان الذى يضر فى وقت يمكنه فيه ان يكون نافعا .. وان الذي يفقد ماله فى القمار في وقت يمكنه فيه ان يكون بهذا المال باراً ومحسناً .. وان الذي يكون سكرانا فى وقت كان يمكنه فيه ان يكون لله شاكرا وساجدا .. وان الذي يضر وطنه فى وقت يمكنه فيه ان يكون نافعا مفيداً .. ولكن من المحال اذا وقع الضر ان يكون معه النفع في آن واحد .. فان طريق الخير والشر يسيران فى وقت واحد جنبا الى جنب فلك ان تسير في أحدهما ولو على التناوب ولكن الجمع بينهما محال . فان تواجدت فى أحدهما محال ان تكون في الوقت نفسه في الآخر .. قال تعالى : « وماذا عليهم لو آمنوا بالله » فهذا دليل على عدم الممانعة فى امكان حصول الايمان مع كونه معلوما لله من قبل كما كان الكفر الذي اختاروه معلوما له تعالى ايضا .. اذ جعل لهم « النجدين » لانجداً واحداً وعلم كلا منهما ايضا ... ولذا أمر تعالى بانتهاز الفرص وعدم ضياع الوقت بلا تفكر للاقدام على كل عمل مفيد بلا تأخير كالاية « ولتنظر نفس ماقدمت لغد » أي فلتحاسب كل نفس ذاتها فى كل وقت عما ستقدمه غدا لذاتها عند الله فان ضياع الوقت ضياع لكثير من المنافع التى تغمض عنا فيما لو لم نقدم على العمل الصالح فيه .

المثل الانكليزى يقول : « الوقت مال » ولكن القرآن يقول « الوقت مال وأغلى

من المال بكثير بما لا يقدر » كالآية : « فان يتقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا » فان كان حسن العمل مال فى هذه الحياة ففى الاخري لا يقدر بمال « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » .... قال تعالى أيضا عمن يندمون على سوء أعمالهم فى الآخرة « يقول ياليتنى قدمت لحياتى » فهذا ليس ذكره عبثا ... بل هو يؤيد بكل قوة هذه الحقائق بان هذا المتندم كان في امكانه ان يعمل الصالح في هذه الحياة بدل الفساد الذي أوقعه في مثل هذا الندم ... وقال تعالى أيضا « قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها » فالذي يتطلب الرجوع الى الحياة بعد فوات أوقاتها ليعمل صالحا بدل الفساد سيصرخ بالندم وطلب العودة اليها .... على ان ذكر الله تعالى ذلك دليل واضح يثبت على ان عمل الخير كان فى الامكان وقوعه في الوقت الذي اختار الانسان فيه الشر أو الكفر بحريته واختياره وان علم الله تعالى بعمل الانسان صالحا قبل اختياره الفساد كان في حيز الامكان كما سبق البيان ... ولكن اذا فعل الشر فى وقت محال في الوقت نفسه أن يعمل الصالح أو يعود الوقت الذي فات .... وقال تعالى أيضا : « ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون » فهذا يؤيد أيضا انه كان فى امكانهم عمل الاحسن ليتجنبوا الوقوع فى الجحيم الذي وقعوا فيه .... وان عملهم الصالح الذى يتطلبون الرجوع لعمله ليدخلوا به الجنة بدل الجحيم كان فى علم الله تعالى قبل اختيارهم الفساد بحريتهم في « حيز الامكان » لهم لا في حيز التخصيص ولكن الذى اختاروه لانفسهم من الشقاء هو الذي وقعوا فيه أيضا وفى نتائجه الوخيمة فلا سعادة لاحد من الناس من الازل ولا شقاء لاحد مكتوبا بالتخصيص قبل خلق العالمين ... وقال تعالى أيضا « ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل » ... وهذا كما سبق يدل على ان اجابة الرسل كانت ممكنة في الوقت الذي اختاروا فيه عدم اجابة الرسل مما يثبت أيضا ان علم الله تعالى بالطريقين قبل الاختيار فى حيز الامكان لا في حيز التخصيص وان هذا التخصيص ماحصل الامن أنفسهم التى كان في امكانها ان تخصص لذاتها الطريق الآخر فكان ما اختاروه لهم لا غيره اذ من المحال تغييره أو استبدال نتائجه أيضا ... فاوقات الحياة ثمينة جدا ولكنها مبنية على (الحرية) الذاتية ومن استهان بها كانت استهانته على أم رأسه وعمل الانسان عائد

على ذاته ... فاذا خاف الانسان فليكن خوفه من نفسه وتقصيرها عن السعى وراء الحق والفضيلة .. ولذا كان الدين والرسل للتذكير أيضا وليس للجبر ولا للاضطرار فى شيء رحمة من الله تعالى في هذه الحياة على الناس (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) ليس الا ... « انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وان فائدة « الوعاظ » و « المرشدين » هى للتذكير ايضا اذ الاضطرار على كل حال « محال » .... فاذا كنت متعودا ان تتوجه كل يوم في وقت معين لتشرب بعض كاسات من الخمر فى حانة وفى الطريق أثناء توجهك اليها يوما ما عزمت على التوجه الى المسجد للصلاة كعزمك على التوجه الى الحانة فتأكد انك لن تجد أحدا مطلقا لا من الله ولا من الناس « تحت مسؤليتى » يقبض عليك ويجرك بقوة الى الخمارة .... ولكن اذا سجدت لله فى المسجد شاكرا .. لاتقل لماذا لاأشرب الخمر فى وقته المعين .... فان هذا الوقت قد فات ومحال ان يعود كما انه من المحال ان تحرم حسن جزاء شكرك للخالق — فهل تستعظم على علم الله تعالى ان يعلم ان الوقت الذى فيه يمكنك التوجه الى الحانة من طرف يمكنك فيه ان تتوجه الى المسجد من الطرف الآخر ... عقلك وضميرك لاينكر ان ذلك

على ان علم الله تعالى بمن خلق من المخلوقات قبل وجودها هو « فى حيز الامكان » لا فى حيز التخصيص أيضا (الا أن يخصص الله بمطلق ارادته) فالعالم قبل وجوده كان ممكن لله تعالى ان يوجده قبل الوقت الذي بدأ وجوده فيه وهو تعالى يعلم بذلك وقادر ان يوجد عالما آخر مثله الآن « وهو الخلاق العليم » وبعد الآن الى مالا نهاية له اذ هو على كل شيء قدير وعليم في جميع الاوقات فهو تعالى حر مطلق فى كل مايريد لاسلطان عليه ولا علة لما يريد من الخلق غير مطلق القدرة ومطلق الحرية فيما يفعل .. ولكن اذا قلنا انه تعالى أراد أن يخلق هذا العالم فى وقت كما قد حصل وأراد فمن المحال ان يتأجل أو يتأخر لوقت آخر أوان يوجد في وقت لم يخصصه تعالى من نفسه ومطلق حريته وعلمه .. فلا يجوز ان تقول ان علم الله تعالى بالمخلوقات الحالية قبل وجودها كان في حيز التخصيص والاضطرار ... بل فى حيز الامكان غير انها لم تخصص في وجودها كما وجدت الا باختيار الله تعالى المطلق وارادته الحرة وتخصيصه الذاتى فكانت منه حقا . لان كل مخلوق يتطلب لنفسه دوام

الوجود بعد ان وجد ويجاهد بكل قوته الفعلية للتباعد عن الوقوع في الفناء والزوال ... ولهذا كان الانسان على « صورة » الخالق سبحانه لا من حيث التماثل في الذات بل من حيث منح الله تعالي له أعظم المنح المعنوية التي هى للخالق سبحانه بلا تمثيل . . كالحياة والارادة والاختيار والعلم والعمل والسمع والبصر . . و الخ فهي صورية في الانسان فقط بها وحدها يعرف قدر خالقه الاكبر مع احتجابه عن افهامه — فهل تستعظم على علم الله تعالى ان يعلم ان الوقت الذي فيه يمكنك ان تكفر به يمكنك ان تشكره فيه أيضا ؟ .... هل يدهشك ان الله تعالى خلقك على هذا الشكل الكامل الجميل وجعلك قادراً ان تصعد الجبل أو تقع بنفسك في حفره ؟ .. هل يدهشك منحه لك « الحرية » المقدسة وأن لا يمسك اذا صعدت الي الجبل أو نزلت الى الحفرة ؟ ... هل يدهشك انه ألقى مسئولية أعمالك بهذه الحرية على عاتقك لانه في نظير ذلك منحك « عقلا » يدلك على نتائج مافي الحفرة ويدلك على طريقها ونتائج صعودك على الجبل وعلى طريقه أيضا ؟ . . . هكذا منحك « الحرية » العظيمة وهكذا منحك لاجلها « العقل » وهكذا فتح امامك طريق الجبل وطريق الحفرة لا طريقاً واحداً وكتب عنده تعالى قبل ان يخلقك كيف تسير في هذا وكيف تسير في الآخر وكتب عنه تعالى نتائج كل أيضا ونتائج كل عمل مع جزائه الحق فيجوز لك ان تصعد الجبل دون ان ترى الحفرة ويجوز لك ان تذهب الى الحفرة دون ان ترى الجبل ويجوز لك ان تقترب من قمة الجبل ثم ترجع القهقرى الي الحفرة أو تكون على رأس الحفرة فترجع الي الجبل .... هكذا فتح لك الطريقين وعلم كيف يمكنك ان تسير في كل منهما ولكن اذا وقعت في الحفرة لا تقل لماذا لا أصعد الجبل .... الوقت فات ... الوقت الذي أمكنك فيه ان تقع فى الحفرة كان يمكنك فيه ان تصعد على الجبل .... الله تعالي يعلم مافي طريق الجبل وكيف كان يصيبك منه لو سلكت فيه ولكن اذا وقعت في الحفرة وسألت عما على الجبل لا يجيبك اسئل نفسك عن نتائج الطريق الذي سلكت فيه بحريتك واختيارك تجدها لك معلومة وعادلة .... ومن المحال ان تكون في الحفرة وعلى الجبل فى آن واحد ولكن الله تعالي فتح لك الاثنين معاً وأوقفك في نقطة تقاطعهما وقال لك « انا هديناه السبيل إما شاكراً واما كفورا » ولكن من المحال ان تكون شاكراً وكفوراً في آن واحد اذ قال تعالي أيضا

« وهديناه النجدين » فاختر لنفسك منهما ما تريد هو يعلم قبل ان توجد كيف يمكنك أن تسير فى كل منهما ولكنه لا يصيبك بشيء الا بنتائج ما تسير فيه فقط دون ان يعلمك بنتائج الطريق الثاني الذي تركته « فلا يظهر على غيبه أحدا »

فاذا أردت ان تكون « سعيدا » وتنتظر مني أن أفيدك بالجواب عن ذلك فاسئل « نفسك » أولا وراجع بعدها « عقلك » و « ضميرك » فانك أعلم « بالوسط » الذي أنت فيه أكثر مني طاقات كثيرة وبنفسك تعرف « الوقت » الذي فيه « تعمل » الصالح والاحسن من كل شيء بدل ان تتركه « ولا يكلف الله نفساً الا وسعها » « فبعقلك » و « بحريتك » المقدسة و « باخلاصك » لله تعالي و « بدونى » يمكنك ان تكون سعيدا

ولكني أذكر نصيحة « لنفسي » ولكنها « لك » أيضاً لو أردتها بحريتك الشخصية وربما اعتبرتها « جديدة » وهى : (لا تستسلم نفسك للاقدار بلا تفكر وامعان فذلك جبن منك وهزيمة بل وخسارة على نفسك عظيمة لا تعرف مقدار سوء نتائجها اذ أن ذلك ليس من الدين في شيء ولكن « اعمل بلا تأخير » وبتعقل ما فيه سعادتك ونوال الحق والفضيلة فان « الاقدار » تسعى خلف خطواتك الخصوصية بتمام حريتك في العمل فيمكنك في هذه الحياة أن تقلب « النار » « فردوسا » ويمكنك بقدر سرعة سيرك أن تقلب الظلم عدلا والباطل حقا »

الحرية

(أول مواهب الله للانسان)

(ولماذا ؟)

أنت ترى في بيتك خادما من خدمك تقول له توجه الى الشرق فيتوجه واذهب الى الغرب فيذهب وكل ما تأمره به يفعل ويعمل ... لماذا ؟ ... لانه محتاج لخيرك ومرتبك وحنانك عليه ورحمتك من غير أن يجد عنها بديلا ... فهو ان أمكنه أن يعيش بدونك وينال تلك المقاصد بغيرك ما رأته عينك ... فهو « خادمك » لنعمك عليه وأنت « سيده » لانك تملك كل ما هو محتاج اليه ... وما دام هذا التناسب ثابتا فسيادتك عليه ثابتة وخدمته لك واجبة وواقعة ... ولكن كيف تعرف هذه النسبة ؟ ... فهل تقبل على نفسك أن تنادى خادمك وتضطره بقوتك « على فرض انه فى امكانك التسلط على قلبه أيضاً » لتقول

له : لازم عليك أن تقول أني سيدك بحق واخلاص ثم تعترف أنك خادمي كذلك .. لانك ترى نعمي عليك وترى احتياجك لي واضحا ؟ ... هذا يجوز ان أردت أن تضع نفسك في موضع السفه وعدم الكمال والنقص الادبي .... لانك تعلم أن هذا الخادم لو قام بهذا الواجب بمطلق حريته التي تطلقها له لكان ذلك داعياً لاظهار معني حقيقة الشكر الذي هو خلاصة الرضى بالاقرار بالنعم .... اذ لولا الرضى لانعدم معني الشكر .... وعندها تكمل سيادتك عليه بالشرف والوقار لا بالعجرفة والاضطرار ويظهر نفسه خادما أمينا شريفا عالما بمقدار النعم لائقا لان يضع نفسه في موضع احترامك الذاتي اليه والعناية به أكثر من ذي قبل وعلى ما تقدم تجد أن منح « الحرية » يجب أن يكون الاساس الاول لوجود الخادم والحجر الاول لمعني السيادة وكمال السيد وشرفه .... فاذا أدرت نفس هذه النظرية على شخصك بالنسبة لوجودك العام امام الله تعالى لوجدت سماء جميلة تظللك وأرضا تحملك وشمسا تشرق وتغرب لاجلك وقمرا يضئ ليلا لاهتدائك ونجوما تزين السماء لتسير بها في البحار المتسعه والقفار المجهولة وأنهراً تسير فوقها بالفلك والبواخر ... تقتنص منها صيدا ولحما طريا كما في البر تمرح وتتقلب بين زروع وجنات — تجد نهارا لعملك وليلا لراحتك ... وملا لقوام حياتك ونعمة تثبت بها وجودك وصحة تعمل بها ما تحب وعقلا يرفعك من الحضيض به تمت لك السيادة العامة على الحيوانات والوحوش تركب منها ما تشاء وتأكل منها ما تشاء وتتمتع منها بالنظر والسمع بما تشاء .... كل ذلك ومالا تقدر عليه أن تحصيه من النعم « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » يحيط بك وتعجز أن تعده عدا أو تحصي له قدرا ... فهل تعرف من الذي أوجدك وأحاطك بكل هاته النعم ؟ .... أن ضميرك يقول لك حقا وبلا مناقشة انه هو « الله » وحده .... فان كنت تعلم من نفسك القدرة على الخروج من هذا العالم الذى أوجدك الله فيه وتقوم بنفسك من غير أن يساعدك بشئ من هذه النعم فافعل .... واني « أضمن » أن لا يعارضك الله تعالى في ذلك مطلقا ! ! ... « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا » فان عجزت وكنت بطبيعة وجودك عاجزا عن الهرب من العالم ولا تقدر أن تستقل بنفسك دون الله تعالى ورأيت أنك محتاج كل الاحتياج لان تستعمل قوتك العظمي لتنهب من هذه النعم الالهية ما تقدر عليه مما فيه

نفاذ آمالك ... فلا تشبع من عمر طويل ... ولا تقنع بعلم ... ولا تقف جامدا ... الحياة تملؤك ... والعلم ينيرك ... والعالم تحت سيادتك فانت بطبيعتك الذاتيه « عبد » لله تعالى بهذه النعم وأسير فضائله وهو « الهك » الحق الذي لا شريك له اذ لا تستغني عن شئ قليل منها .... فان نقص منك بعضها تمرغت في التذلل اليه لطلب اتمامه ورجوعه الى ما كان قبل فقدانه .... فهو « الاله » الواحد لانه تعالى ليس كالسيد السالف مع خادمه يحتاج اليه فيرسله في مطالبه الخصوصية أو يناوله رزقا أو طعاما .... بل هو سبحانه مستغن عنك « بالمرة » « ان الله غني عن العالمين » فكل ما عملت من حسن فهو لنفسك وكل ما في العالم فهو لاجلك ومن رزقك « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين »

اذا تقرر هذا وكانت « عبوديتك » أمر طبيعي لله تعالى « حتي ولو تجحدها » فماهى النسبة الحقيقية الكائنة بينك وبينه تعالى ؟ .... لا شك هي الاعتراف الحق منك بهذه العبودية والشكر باخلاص ... وبالوهيته الحقة الوحيدة على ذاتك وعلى العالمين ... فان ذلك يترجم عن معني الوجود العام وخلاصته الكلية ... ولكن ... هل يليق لله تعالى الذي هو مستغن « بالمره » عن شكرك هذا أن يضطرك على أدائه بقوته مع علمك أنه أول واجب طبيعي على شخصك بالنسبة اليه ؟ ... كلا ! ! ! اذا كنت لا تقبل أن تفعل ذلك مع خادمك الذي تقدر عليه والذي يمكنك الاستغناء عنه لان ذلك لنفسك نقصاً أدبيا « فمحال » أن يفعل الله تعالى ما فيه النقص وعدم الكمال ... اذاً ... اللائق من جهة العزة الالهية . بل اللائق عقلا ... بل الحق الواقع الذى لا شك فيه هو أن يمنحك الله تعالي بمطلق ارادته الكمالية وبما يليق لعزة نفسه وعلو مقامه « الحرية » المطلقة في أداء هذا الشكر الحق « ان الله عزيز حكيم » فان ذلك هو اللائق لتفرده في الكمال والالوهية واستغنائه عن الشكر وعمن خلق أجمعين ... وبغير رضاك وتمام حريتك محال أن يقبل منك شكرا وأكرر قولي محال ثم محال .... فان شكرته تعالى فهو يقبله منك بمزيد الالتفات والعناية والرضى بل ويرد لك كلمة الشكر بالتبادل وزياده « فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون » أي فاذكروني بالشكر أذكركم بمثله أيضا ليعلمنا سبحانه بمثل هذا التبادل تنازل عظمته الكبرى

لرعاية حقوق الشكر من كل مخلص بالشكر ولزيادة شكرنا اليه تعالى الذي فيه رحمته وسعادتنا « ان شكرتم لازيدنكم » وليعلم المتكبرون من كل أمة أن المشكور مهما كان عظيما ومهما كان مركزه محتم عليه أدبيا أن يرد الشكر بمثله لغيره مهما كان حقيرا فان ذلك واجب أدبي الهى عظيم « ان الله شاكر عليم » أي عليم بمن يشكره باخلاص أيضاً ... فان لم تشكر الله تعالى بحريتك وكفرت به وبنعمه فان ذلك تنزيل من مقام ذاتك لا يمس الله تعالي منه شيئا وانما الله تعالى بعدم مساسه حريتك قد فعل معك اللائق لمقامه تعالي لغرض الشكر لا اللائق لمقامك لغرض الكفر اذ أنه تعالى قادر أن يرغمك بقدرته على الشكر الاضطرارى ولكن عزة نفسه تأبي الا أن يكون بتمام رضاك وحريتك الذاتية « ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم » فهو تعالي يرضى لك الشكر اليه لان ذلك هو الحق الطبيعي ولان فيه سعادتك الطبيعية ... وفي آن واحد لا يرضى لك الكفر لا لانه ليس بقادر أن يمنعك عنه أو لغرض الكفر نفسه ... كلا .. كلا ... بل لعلة أنه تعالى لا بد أن يترك لك « الحرية » الكاملة علك تعود بها للشكر الخالص ثانيا .. وانه لولا امكانك الكفر بحريتك ما علمت مطلقا أنك في ذاتك حر أو أن الله منحك « الحرية » المطلقة في هذه الحياة لغرض هذا الشكر الواجب والذي يأبي الله تعالى في عزة نفسه الكمالية ألا يقبله الا بهذا الشكل الشريف الكامل . ولهذا السبب نفسه تعلم العلة الاولى الحقة التي بسببها فتح الله تعالي لك « النجدين » أى طريق الايمان والشكر والخير وطريق الكفر والشر والجمود فان ذلك « حق مطلق » لعلة عزة الله الوحيدة فاعمل بذلك ما تشاء منهما وما تحبه من النتائج لذاتك ولذا كانت « الحرية » أول أساس ثابت وضعه الله تعالي لوجود كل مخلوق وأول منحة من الله تعالي للانسان بل هي أول كلمة سبقت من الله تعالى لتقريرها بحق لكل مخلوق وأن لا يمسها فه مطلقا ولا ينقضها ما دامت هذه الحياة باقية وان كل ما قيل في القرآن العظيم من الآيات المماثلة لقوله تعالى : « ولولا كلمة سبقت من ربك » أى كل شيء قبل الخلق فتأكد « تحت مسئوليتي » انما هى الكلمة التي جعلت أساسا أوليا للسعادة والشقاء بحق لكل مخلوق الا وهى « الحرية » المقدسة الذاتية .. لذلك كانت هي « أول ما وهب الله للانسان » أيضا

ان الشيطان عند ما أقسم بالله تعالى وقال «فبعزتك» فهو يقصد عزة الله تعالى التي قضت بحق منح «الحرية لكل مخلوق» وبأنه تعالى لا يمسها مطلقاً في هذه الحياة مهما فعل من الكفر بالله أو عمل الباطل فان ذلك عائد على ذات من يكفر وان علة سبوقها لا لعلة الكفر نفسه بل لعلة الشكر الذي لا يقبل الا بمزيد الرضى وتمام «الحرية» المذكوره ....

وان قسم الشيطان الثاني الذي هو مرادف للسابق في قوله «فبما أغويتني» أي بالكلمة التي لا تنقضها بسبب عزة ألوهيتك العظمى وهي منحي مطلق «الحرية» في الكفر «لأقعدن لهم صراطك المستقيم» أي لغرض التضليل ما داموا أحراراً للضلال أيضاً مثلي مدة هذه الحياة مطلقا. فاذا كان هذا النظام معقولا وحقاً وليس فيه ظلم مطلقاً على أحد وان «ما تكسب كل نفس الا عليها» فتأكد وتحقق من الآن «ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون» .... ان القرآن العظيم بنزوله من الله تعالى وايضاحه أول نقطة في نظام الله تعالى في العالم وهى «الحرية» الذاتية للافراد والامم والشعوب قد أزال سلطة الملوك المستبدين من الوجود زوالا نهائياً — ذلك الاستبداد التي كانت تئن منه شعوب دولة الفرس والرومان قبل الفتح الاسلامي حتى هدمه الاسلام من جدرانه وأحل محله شورى الاحكام ودستور الله العادل.

ولقد غاب عن عيون الامة الاسلامية هذا الاساس الهام «الحرية» كل هذه القرون الطويله حتي رجعوا بعد الخلفاء مباشرة الي الحكم المطلق والانقسام والاستبداد الهادم لكل ترق وتقدم وارتقاء ... حتي أحيت هذا الاساس الامة الفرنساوية بدمائها الشريفه فكان منه نور هو مازال الاساس لسعادة البشر .... واذا كان لا ارتياب في ذلك .. فاحكم على الحكومات الاسلامية الماضية والحالية وقل معي مندهشا: «أين مركزها من الاسلام؟»

حل العقدة الدينية

(هل صحيح في الاسلام؟ «كل شئ قسمه»)

لا نبالغ اذا قلنا ان عقدة «القضاء والقدر» التي تبعثرت أمامها عقول فلاسفة الاسلام وعلمائه من صدر الاسلام للآن كانت لهم أشبه «بالديناميت» الفتاك التي يبعثر بقوة ماحوله

لاقل ملامسة كما يعلم من المؤلفات الضخمة الكثيرة والانقسامات المتنوعة بين الاحزاب الكثيرة التي بها كان خزلان الامم الاسلامية في الارض الى الآن .... فالديناميت ليس لتحطيم قوى المادة العتيدة والاحجار .. بل وجد ديناميت كامن في العقول الاسلامية اذا لمس مزقها شر ممزق .. وهو قديم المكوث يستعملونه ضد أنفسهم لا ضد أحد في العالم وقد وضعه على مايظهر أعداء الدين في صدر الاسلام فنبت وتفرع وصار أصلا للعقول .. يبدد حقائقها متى شاء .. فتقف أمام قوته الوهمية مبعثرة لا تدري كيف تسير . . . فلا ترى منها في كل زمان الا فشلا .. ولن تجد في كل أرض اسلامية الا دماراً ووبالا . . . تقارن بين حقيقة القرآن ونتائج الاحوال بينهم يظهر لك من اعتقادهم بالقضاء والقدر ديناً مستعاراً يطلق عليه اسم الاسلام ... فاذا أردت فحصه بنظارة العقول وجدته مبعثراً بشظايا الديناميت الكامن .. واذا تراجع على الاصل في القرآن الحكيم وجدت العقول نفسها تحوم متفرقة لا تنظر ولا تبصر لشيء يريح الضمائر

كل المصائب الانسانية التي تحل بالنوع الانساني باسم الدين سببها ديناميت الوهم الكاذب في الارواح فيشتغل بالعقول ويرجعها عن أصول الدين .. فاذا تبعثرت صعب ارجاعها الى أصولها ... وأقوى ديناميت في تاريخ البشر بث باطلا في العقول هو الذي تبني عليه الامم الاسلامية فشلها وخزي تقهقرها من قرون مضت الى الآن ... ولم تعرف كيف تحوز المدنية الصحيحة والكمال الانساني بل لم تعرف كيف تتخلص باحتراس من أصل بلائها ووبائها الفتاك .. وباء الاعتقاد المعكوس « بالقضاء والقدر » اذ هو ديناميت الاسلام الفتاك ... ان الانسان في جميع الازمان يخترع للعقول ديناميتاً من تراكيب كيمياء الوهم ويدخله في أصول الدين. ... فيتبعثر الحق والفضيلة حتى يرسل الله تعالى رسولا يظهر حقيقة جوهر الدين فيلم شتات العقول ويرجع كل شيء الى أصله .... ولعلة ختام ارسال الرسل أنزل سبحانه هذا القرآن وعهد الى ذاته الكريمة أن لايمس كغيره ... فكان للآن كما أشار « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .. فبالرغم عن ثبوت القرآن وعدم تغيره ما لبث هذا الانسان حتى رجع بنفسه الى الاوهام واختراع المهلكات باسم الدين للارواح والعقول باقوى ديناميت وهمي وقف عثرة عن التقدم الانساني بشمس نيرة هادية قوية مثل

« القرآن المجيد »

أمر غريب ... وحكمة عالية ... القرآن ليس كالاديان الاخري التي نزلت وبعثرها اللاعبون بل هو واقف كأنه الروح الوحيدة التي لا يؤثر فيها نوع ما من ديناميت الاوهام وان العقول الاسلامية نفسها تفننت كثيراً في الهجمة عليه ولكنها تجد نفسها نسفت نسفاً شديداً بأباطيلها الوهمية حتي توهم الذين لايعرفون القرآن يقولون انه أصل للبلايا التاريخية المتتابعة في كل جو اسلامي ... ولكننا نحمد الله كثيراً على ثبوت جوهره فسيظهر للكل نقاوة أصله وطلاء جوهره ... وانه قانون الانسانية الحقة والتقدم والعمران ... « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ... اخترعت الامم الاسلامية أعظم قوة من ديناميت الاوهام لم يسبقها أمة قبلها في التفنن في اتقانه فأعظم نيشان « الوهم » في التاريخ يجب أن تمنحه الامم الاسلامية الماضية .. فقد صنعته ضد نفسها أولا وضد القرآن ثانيا .. لانها هجمت به أزماناً على هذا الكتاب المنير لتلبسه اياه فتبعثرت هى تبعثراً شديداً بقدرة قوة هجومها .. ومعاناة اقدامها مع ثبوت القرآن مما نرى آثار النزع في روحها في كل مكان الى الآن ... فان أفاقت قليلا .. فلا تكون الا كالسكران الذي يوهم تمالك قوته بالجمجمة واللسان .. مع تأصل الخمول الكامن في جوفه من سموم التخدير بأوهام القضاء والقدر المعكوس ... هذا الديناميت الوهمي تسرب لعقول الامة الاسلامية من بعد خلفاء الاسلام الاولى .. وكان واضعوه على ما يظهر من أمهر الملقحين لسل التضليل .. فامتلأت منه العقول وكثرت جراثيمه حتى كان منه فراش الخمول « كل شيء قسمه » فالمتأخرون الحاليون لا يرون منه تأثيراً واضحاً لعدم كشف أسراره وتأثيره الا أن يروا أنفسهم بالنسبة لغيرهم في غاية الضعف والفشل والاضمحلال حتى كان رأي كل مسلم عند كل حادث كما قال المستر « ديسى » الانكليزى : « الدين الاسلامي يميل بالمسلمين الي الاعتقاد بالقضاء والقدر ومن كلمة « قسمة » نفهم رأى الشرقى في جميع الحوادث » ... فالمسلمون في اجمال أحوالهم الآن في هذا الموضوع أشبه بالمريض الوارث أمراض السل من أبويه فلا يعرف قيمة الصحة الحقيقية الا اذا تجرد من جراثيم مرضه القتال .

نزل القرآن الحكيم بين أمة العرب التي كانت متنافرة متهالكة في العداء الداخلى ..

فاحل بينهم وازع التواد والرحمة .. وكانوا من أجهل أهل الارض بالمدنية والفضيلة والعمران ... فاخذوا به يبثون المدنية والالفة والنظام بقدر ما سمح به الوسط بين ممالك الفرس والروم التى كانت عند البعثة المحمدية عنوان الظلم والفساد والاحن .. ولكن كان أداء ذلك بالنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه الذين عرفوا وفهموا مهمة القرآن الحكيم وعلموا حكمة ما أنزل اليهم وصار العمل المجيد الذى قام به الاسلام بينهم في مدة قصيرة داعيا للدهشة والاعجاب في صفحة التاريخ وسلما للمدنية الحديثة ... ولكن الامم التالية الاسلامية بعد الخلفاء الاول تركوا دستور القرآن الانتخابى المؤدي لكل تقدم وحرية وكان من الممكن تحسين نظامه تدريجيا شأن كل جديد الا انهم لغوه بالمرة واستبدلوا بالاحكام الاستبداديه الى الآن .. فهل كان يرجى لحكومات الاستبداد عدل تام واقامة حقيقة أو نفع عام لترقى العلوم تدريجيا الي الكمال اللامتناهي؟ هكذا استمرت الاحكام الى الآن فضعفت النفوس والعقول وانحصر تعليم حقائق الدين والعلوم في فئة قليلة نفعت قليلا وأضرت كثيرا .. اذ أخذت تثبت من خمول الافكار فى دلائل القرآن النيرة ما جمدت به أعصاب الامة وتخدرت به العقول .. وأول مواد التقهقر كان موضوع « القضاء والقدر » فكان بمثابة الديناميت الفكرى للعقول ومركز الدائرة في كل فشل عام فى جسم الاسلام من بعد الخلفاء الى الآن ... تجد أهم فيلسوف في فلاسفة الاسلام يبحث وينقب ويرفع ويوضع ويغير ويفرض ... وفي النهاية تجده واقفا أمام هذا الموضوع باهتاً وعاجزا لايدرى ماذا يفعل .. ألفت المؤلفات من فطاحل فلاسفة الاسلام وعلمائه وأهدوها للامة هدية من قال : « هذه آخر طاقتى » فكانت تلك الهدايا الاليمة كمنح الطفل كرة من الديناميت الخطر المهلك ... قال علماء الاسلام كثيرا وكتبوا كثيرا وفرضوا كثيرا ثم ردوا القهقري الى الآن وكان هذا داع لوقوف الامم التالية جامدة تحت هذه الهزيمة العظيمة .. وكما فشلوا في هذا الموضوع فشلوا في كثير من النقط الهامة « سنوضحها في الجزء التالي » التى رمت بحقائق القرآن عنهم من مكان بعيد ... وصل مركز الاسلام بهذه الضربات الى الآن لان يكون أغلب أممه عنوان الخرافات والتعاويذ الوهمية والقلاقل باوهام المهدوية مما بثه المضلون فيه .. والقرآن الحكيم أمام هذه الهجمات واقفا معجبا ومتأسفا على ما يرمى به من تلك النسب والاوهام المضحكة المبكية .. عجيب أن

تمر القرون دون أن يعثر فيه أحد الى حقيقة معني « القضاء والقدر » .. منه جمدت الامم الاسلامية فصارت عنوان الجمود وطاشت بها الاحلام فصارت عنوان الفساد والظلم ... تنوع العالم وتحول ... تتقدم الامم وتتبدل .. والامة الاسلامية هى هى واقفة أمام هزيمة القضاء والقدر .. وأى هزيمة يستحقها من افترى على الله الكذب .. وبدل النور في كلام الله ظلاما ... اذا سألت أمة مسلمة أو شخصا مسلما أصابه خطب قال لك كما يقول المستر « ديسي » هذا « قسمة » فلا تعليل للحوادث ولا تحوط لنتائج ما فات لاتقاء فشل جديد اذ معنى كلمة « قسمه » هو أن لا تدبير فى يده لامكان تنوع الحادث أو تلطيفه وان ما أصيب به كان كتبه الله تعالى لذاته من القدم ولا بد في اليوم والساعة التي أصيب فيها يحصل له ذلك مما لا مفر له منه على أى حالة فهو قسمته من الله تعالى وحظه المحتوم من الخالق لانه يقول ان القرآن وأصول الدين الاسلامي تؤيد ذلك .. فاذا سألته عما اذا كان في الامكان أن يغير الخطة التى أدت الى هذا المصاب أو كان في الامكان ان يغيره الله تعالى بمصاب آخر مما لو سلك مسلكا غيره ... أجابك ان هذا محال فكل شئ مكتوب مقرر لا يتبدل ولا يتغير فيصدق عليه قول سنكا حكيم الرومان اذ يقول : « من الناس من يعيش بلا غرض أو غاية فيعبر في هذا العالم كالعصافة على سطح ماء النهر لا تسير من نفسها بل يحملها الماء من مكان الي مكان » فهل ذلك حقيق في دين الاسلام ؟ وهل مما علمت مما كتبناه في الابواب السالفة يقول القرآن أو يشير اليه بحرف ؟ ... كلا ... محال أن يكون للانسان قسمة مخصوصة من القدم لا يتعداها ... بل مجال الاقدار متسع فسيح يسير وراء ارادة الانسان الحرة .. فمن كان اليوم شقيا يمكنه بحريته أن ينقلب في الغد سعيداً ... ومن كان اليوم سعيداً يمكنه أن ينقلب بحريته ليكون في الغد شقياً ... يقول المسلم باستحالة الفرض بامكان تنوع ما حصل من « القسمة » فيما لو سار بخطة أحسن لان هذه « القسمة » شئ لازم حتما على كل حال ولكن شكسبير يقول : « يغلب أن يكون علاج مصائبنا فينا » والقرآن الحكيم يقول: « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » فاى القولين أصح ؟ ... أقول صريحا كذب المسلم في ادعاء « قسمته » الثابتة وصدق القرآن وشكسبير اذ لا شئ يقسم للانسان الا بعمله الذاتي وارادته الحرة المملوكة ليده من الخالق ...

يقول المسلمون « بالقسمة » على الوجه السالف وقد علمت مما ذكرناه مقدار مركزه وبعده عن الحقيقة ولكن اللورد « افبرى » الانكليزي يقول : « ان معظم ما يصيبنا مما نكره تعود تبعته علينا فاذا لم يكن لخطاء ارتكبناه فلتساهلنا واهمالنا » ويقول أيضاً : « قل ان تدنوا المصائب منا والغالب أن نسعى اليها » فاى القولين أصح ؟ .. أقول كذب المسلمون في ادعائهم وصدق القرآن الحكيم القائل « وما أصابك من سيئة فمن نفسك » وصدق « افبرى » أيضا

ان آيات القرآن العظيم حكيمة عالية أعجزت مشاهير الفلاسفة والعلماء من المسلمين عن أن يدركوا حقائقها بالنسبة لهذا الموضوع « القضاء والقدر » فكان فشلهم مؤديا الى فشل أفراد الامة الذين يحترمون كل ما يقول العلماء من الاستسلام لجمود الاقدار من كل قلوبهم.. فقلما تجد الفرد يهتم لامر في الحياة الا اضطراراً أو بالارتكان على الغير أو بعامل التحكك في الامم العاملة الساهرة التي اثمرت « الحرية » وانتهاز الفرص في كل عمل نافع للمدنية وحب الانسانية بدماء الجد والتعقل ... فلا ميل طبيعيا عند الكل لمبدأ « وجوب التفكر والعمل » ولذا أن هموا الامر وجدته مشوشا وان نفروا لمهمة كثيرا ما تجدها خرافية أو وهمية مكسوة بطلاء مستعار باسم الدين ... وكل ذلك ولا شك ناتج من اختمار مبدأ « القضاء والقدر » بالعقول بشكل وهمي كاذب ... يقول الفيلسوف المسلم الشهير « بن رشد » في كتابه « فصل المقال » عن موضوع القضاء والقدر ما يأتي « وهذه المسألة من أعوص المسائل الشرعية وذلك اذا تؤمل دلائل السمع في ذلك وجدت متعارضة وكذلك حجج العقول » اه هذا ما قال به هذا الفيلسوف من أن التعارض والتضاد موجود فعلا في المسموع والمعقول سواء في القرآن والسنة ... ولكني أقول صراحة انه « لا وجود لهذا الخلاف بالمرة » لا في المسموع ولا في المعقول — ولقد انقسم قادة الافكار الاسلامية السابقين الي فرق كثيرة في هذا الموضوع الهام ... أهمها ثلاث فرق كبرى كلها مضحكة مبكية لا يلتوى العقل فيها الي حقيقة تشبع شره العقول فالله تعالي يقول فى القرآن انه نزل لضم جراح الامم التى تهالكت من كل اختلاف سواء في الاعتقادات والاعمال بل نزل « ليبين للناس ما اختلفوا فيه » يكون لهم كشمس هادية في كل اعتقاد ... ثم يخاطب الكل فيه بلسان التذكر والمثابرة

على التأمل في عدم الاختلاف بقوله « وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد » ثم يضع لهم مقدما مبدأ البحث في فهم معانيه المتحدة في كل عمل واعتقاد بقوله « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » ولكنهم خالفوا ذلك بالمرة فتجد شعار المنقطعين للعلوم الدينية في كل مسئلة وخصوصا في هذا الموضوع هو شعار : « فيه خلاف » أقول صراحة : كذب المختلفون وصدق القرآن كلام الله العظيم ...

أمر غريب بل أمر يدهش ... هل سمعت بكتاب واضح نير كالقرآن الحكيم يفهمه العامي تتيه فيه عقول الفلاسفة والعلماء في موضوع هو أساس كل ارتقاء مادي ومعنوى بل أساس كل عمل « باستقلال النفس » الذاتى ... فينقسمون فيه ويخذلون به وتتقهقر الامم الاسلامية أمامه في التاريخ الى هذا الحد المخجل ؟ .. عجب كثير ... أمر مخجل ... لقد علمت مما أوضحناه في هذا الكتاب على اختلاف الآيات القرآنية أن « لا خلاف » في القرآن في موضوع « القضاء والقدر » بل ولا في غيره مما سنشرحه في الاجزاء التالية وان كل ما قيل في هذه القرون العديدة افك على الله والقرآن الحكيم .

ان المذاهب الكبرى الثلاثة التي انقسم اليها قادة الافكار الاسلامية هى : اولا مذهب « الجبرية » وهم القائلون بان الانسان « مجبور » من الله تعالى فعلا وتقديراً على كل مايحدث منه سواء له أو عليه ... فلا يوجهون لانفسهم حجة أوامر الله تعالي في الدين من اتباع الخير والتباعد عن الشر والكفر فقالوا نحن على أى حال فيها مجبورون بحكمته مقهورون بمشيئته وقدرته فلو شاء لهدانا ... وهذا في الغالب رأى الاكثرين من عامة الامة وخواصها.. والثاني مذهب « المعتزلة » وهم الذين اعتقدوا عكس الاعتقاد المتقدم وتمسكوا به فقالوا ان الله تعالي لم يجاز بالشر ولم يقدره فى نظامه وأن ليس له تعالى فيه ارادة مطلقا ... والثالث مذهب « الاشعرية » وهم الذين أرادوا أن يتوسطوا بين هذين الاعتقادين المتطرفين فقالوا ان للانسان كسبا للخير والشر معا ولكنهم جعلوا هذا الكسب بقدرة الله تعالى وارادته الازلية أيضا ونسبوه للانسان تقديراً لا حقيقة لعلة ملامسة ذات الانسان لفعل الخير أو الشر فقط فجعلوه أمام الله تعالي أشبه بقلم الكاتب الذي يكتب فيقال عن القلم انه كاتب لتعرض ذاته للكتابة ولكن حقيقة الكاتب الذي يكتب هو القابض على القلم نفسه ... فهى نسبة

تقديرية ليس الا ... فان قيل « فعل هذا الانسان خيرا » فهو لتعرض ذاته لهذا العمل فقط كآلة للفعل ولكن الفاعل في الحقيقة هو الله تعالي ... وان قيل « فعل هذا الانسان شراً » فهو لتعرض ذاته لا كتساب الشر فقط كآلة جامدة ولكن الفاعل في الحقيقة هو الخالق أيضاً ... وهذا رأى أغلب العلماء ومتنورى الامة وغرضهم من نسبة العمل للانسان تقديراً لعدم لغو التكاليف الالهية لفظا فقط ... فهم في الباطن تابعون لمذهب « الجبرية » في الحقيقة كما قال شيخ الاسلام « ابراهيم الباجورى » وغيره كما سبق حيث يقول « وبالجملة فليس للعبد تأثير ما فهو مجبور باطنا مختار ظاهراً فان قيل اذا كان مجبوراً باطنا فلا معني للاختيار الظاهرى لان الله قد علم وقوع الفعل ولا بد وخلق في العبد القدرة عليه أجيب بانه تعالى لا يسئل عما يفعل »

هذه خلاصة هذه الاعتقادات الثلاثة ... واني أقول صراحة أنها كلها « باطلة » وأن لا وجود لنتائجها الحقيقية طبقا لهذه الفروض الوهمية .. وان نظام الله تعالي في القرآن الحكيم فيما يختص با كتساب الانسان وعلاقته بالله تعالى فوق كل ذلك ... بل ما في القرآن الحكيم من هذا المقصد يطابق العقل في كل مراقيه العالية والتقدم الانساني اللامتناهى مع ثبوت عزة الله تعالى وكماله وعدله في كل حال لا فرضا ولا تأدبا كما يتوهمون ... بل يسير الكمال العقلى والقرآن في هذا الموضوع جنبا لجنب متآخيان وبشرط أن تتحد جميع آيات القرآن الحكيم في هذا المقصد اتحاداً محكما بحيث لا تري رائحة بسيطة من رائحة التضاد المزعوم فى أي آية بالنسبة للاخري كما هو واضح مما أيدناه في هذا الكتاب ... وترى النتيجة العامة هى قول الله تعالي « وأن ليس للانسان الا ما سعى » بتمام « حريته » واختياره الذاتى باستقلال تام سواء في فعل الخير أو الشر وأنه لا يصاب من الله تعالى بشئ من خير أو شر الا جزاء حقا عما عمل هذا الانسان بحريته التامة في كل منهما « وما تجزون الا ما كنتم تعملون »

أما عدم ملائمة هذه المذاهب الثلاثة للحقيقة والقرآن والعقل فواضح بديهي « فالجبر » من الله تعالى على الانسان في كل ما يعمل لا وجود له مطلقا بالبداهة العقلية وحرية الانسان الواضحة في الا كتساب وكل الآيات القرآنية تؤيد ذلك مما يجعل الانفراد بهذا الاعتقاد

محال ... وكذا فرض « المعتزلة » فهو محال أيضاً لان الله تعالى فتح للانسان الطريقين في وقت واحد « وهديناه النجدين » وان من أراد الكفر بحريته محال أن يرده الله تعالي الي الايمان الا اذا رجع اليه بحريته كما أنه تعالي يجازي بالشر وقدره لمن يختار الكفر بحريته المذكورة « وهل نجازي الا الكفور » أو يعمل عملا ما يستحق الجزاء « وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله » وكل ذلك ينفى فرض المعتزلة نفياً قاطعاً أيضاً .... وأما مذهب « الاشعرية » الذين يريدون جمع هذين الطرفين المتضادين فهو أكثر « استحالة » منهما .. لان من النظريات الطبيعية الثابتة أن الجمع بين الضدين فى وقت واحد وذات واحدة محال .... فمع فرضهم الغير مقبول طبيعة وعقلا من أول وهلة فهو باطل أيضاً لانه يرجع بطبيعة العقل والحقيقة الى مذهب « الجبرية » وان كان فيه « فرضاً » نوع اكتساب نسبي أو تقديري للانسان . قال الفيلسوف « بن رشد » عن مذهب « الاشعرية » وعدم انطباقه على الحقيقة ما يأتي : « وأما التوسط الذي تروم الاشعرية ان تكون هي صاحبة الحق بوجوده فليس له وجود أصلا اذ لا يجعلون للانسان من اسم الاكتساب الا الفرق الذي يدركه الانسان من حركة يده عند الرعشة وتحريك يده باختياره فانه لا معنى لاعترافهم بهذا الفرق اذ قالوا ان الحركتين ليستا من قبلنا . لانه اذا لم تكن من قبلنا فليس لنا قدرة على الامتناع منها فنحن مضطرون . اه »

ونحن نقول ان الصعوبات الكثيرة التى افترضها بن رشد نفسه وغيره من الفلاسفة أو أرباب هذه المذاهب الثلاثة للتوفيق بين مذاهبهم والقرآن والعقل والحقيقة مما أقسم القرآن على نفسه مع انه بعكس ذلك وهو بعيد عن مقاصدهم المتضاده ... ونحن لانريد ان تذكر كل الوجوه التي يذكرها كل فريق فقد كتب فيه كثيرون يرجع اليه كل من أراد الوقوف عليه ..... ولكنهم جميعاً رجعوا القهقرى عن الحقيقة كما أشرنا الى خلاصة مذاهبهم باختصار .... حتى اعتبر كثيرون من العقلاء ان هذه المسئلة « غير قابلة للحل » فكانت هزيمة قادة الافكار امام أسوار حصارها « هزيمة كبرى » أسرار حقائقها كانت لم تزل غامضة عنهم للآن .... وان عدم اختلاف الآيات القرآنية في معانيها بالنسبة لهذا الموضوع كما يقول القرآن : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا » .. أمر

كان يعد فوق العقول البشرية عندهم للآن أيضا . . . . هذا أمر غريب . . . بل مدهش أيضا . . . ان يقول القرآن « لاخلاف » وان يصرح الكل بعده بالقول « فيه خلاف » أو يقولون ان كان لاخلاف كما هو الصحيح فنحن عجزنا عن التوفيق بين آياته . . . . نعم . . . . عجز الجميع عن الوصول الى اكتناه الحقيقة للتوفيق بين العقل والحقيقة والقرآن وآخرهم من صرح بهذا « العجز » هو ذاك الفاضل العلامة المرحوم الشيخ « محمد عبده » فقد اكتفى هو أيضاً بهزيمة السالفين ولم يبد رأياً قاطعاً عن القرآن بالنسبة لهذا الموضوع . . ولم يبت فيه قولا غير انه أبدى رأياً عقلياً محضا خلاصته : « ان للانسان اكتساباً وارادة مستقلة ولكن الله تعالى له قوة قد تكون فوق ارادته أحيانا » وهذا الرأي بالطبع حق بديهي للعقل للكل . . غير ان الضالة المنشودة هى : كيف نطبق آيات الله تعالى كلها في القرآن العظيم مع هذه الحقائق العقلية المشاهدة ؟ بل كيف يوجد شيء في الدين هو أساس السعادة والشقاء يسمى « القضاء والقدر » ثم يترك بلا حل ليتخذ منه كل فرد رأيا حسب أهوائه مما عرض جوهر القرآن للانقسام والنسف الذي يتبرأ منه الى الابد ؟ حتي أثر هذا الفشل في جسم الامة ورمت نفسها منه في احضان الجمود . . . . أقول ان ما نراه بالمعقول المحض الذي يرتاح له الضمير والحقيقة يسير في هذا الموضوع مع القرآن الحكيم متآخياً الى النهايه . . . . ولكنه رحمه الله أعرض عنه « عاجزا » عن هذا التوفيق كغيره من العقلاء الذين رأوا ان التوافق مع فروض وهمية لا توافق العقل والحقيقة توجب اتساع الخرق مع كونه رأى ان السالفين لم يتركوا باباً الا طرقوه للحل وكانت نتيجتهم الفشل أيضا . . . قال في كتابه : « رسالة التوحيد » عن ذلك ما يأتي : « ان البحث فيما وراء ذلك (أى وراء رأيه العقلى السالف الذى ذكرناه) من التوفيق بين ماقام عليه الدليل من احاطة علم الله تعالى وارادته وبين ماتشهد به البداهة من عمل المختار فيما وقع عليه الاختيار هو من طلب سر القدر الذى نهينا عن الخوض فيه لانه اشتغال بما لاتكاد تصل العقول اليه . . وقد خاض فيه الغالون من كل ملة خصوصاً من المسيحيين والمسلمين ثم لم يزالوا بعد طول الجدال وقوفاً حيث ابتدأوا وغاية مافعلوا ان فرقوا وشتتوا فمنهم القائل بسلطة العبد على جميع أفعاله واستقلالها المطلق وهو غرور ظاهر ومنهم من قال « بالجبر » وهو هدم للشريعة ومحو

للتكاليف وابطال لحكم العقل البديهي وهو عماد الايمان اهـ » هذا ما قاله المرحوم الشيخ محمد عبده .. ونحن نقول ان هـذا التوفيق الذى يقول عنه انه « من طلب سر القدر » صار الآن بما أوضحناه في الابواب السالفة محلولا ومعلوماً بوضوح .. وان هذه العقدة الدينية صار حلها الآن حلا نهائياً مرضيا .

الخلاصة

نريد ان نذكر هنا خلاصة ما كتبناه في الابواب السالفة بوجه التقريب لنكشف العلل الحقة الاولى التي كان يدونها الاعتقاد « بالقضاء والقدر » الى الآن خطأ كبيرا ومحوّرا الى « الباطل » بدل « الحق الصريح » الذي يوضحه القرآن العظيم فنقول :

ان الله تعالى بمطلق ارادته خلق الانسان بحق « ماخلق الله السموات والارض الا بالحق » وصوره على أحسن شكل لانه تعالى قادر على ذلك في كل وقت وهو « سبحانه » لعزته الكمالية يريد ان يمنحه بالتدريج الكمال اللامتناهي . فبعد وجوده في هذه الحياة علم الانسان من نفسه انوجوده الذاتي حق وجميل لانه يتمنى دائماً دوام الوجود والتمتع بالحياة الكمالية فيه حتي ان الشيطان عند ما أراد أن يغر آدم عليه السلام بالاماني الباطلة غره باعظم شئ في أمانيه الذاتية وهو دوام البقاء بلا موت والخلد فى الحياة لدوام التمتع « قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » — فكان في مركزه الحالي وهو في منتصف الطريق من الكمال المذكور عليه واجب أدبى نحو الله تعالي الذى يريد أن يهبه هـذا الكمال اللامتناهى في المستقبل « جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون » وهـذا الواجب هو «شكر الله » تعالي باخلاص واطاعته لغرض المزيد من تلك المواهب في الحياتين .. وقلنا انه واجب « أدبي » لان الله تعالي في الحقيقة مستغن عن هذا الشكر « بالمره » لولا انه واجب « مقدس » على الانسان لانه ان لم يؤده فلا بد طبعاً ان يسير في ضده وهو الكفر « اذ هو لا بد ان يسير على كل حال » مما يؤول به الى العذاب بالحرمان الابدي من كل شئ هو فى يده ويتمتع به الآن « من كفر فعليه كفره » فكانت أهمية الشكر بالنسبة لذات الانسان في الحقيقة عظيمة الى النهاية بل ولا تقدر لانه بها سيزاد في هذه الحياة نعمة ورحمة مع منحه أعظم منها في المستقبل أيضا بقدر درجة اخلاصه « ان شكرتم لأزيدنكم »

فلا نبالغ اذا قلنا ان علة وجوده وسعادته الكلية تنحصر في آداء هذا الشكر الذي تجتمع كل معانيه الحقة فى « العبودية » والاعتراف بكمال الله الواهب كل شيء وألوهيته الفردة الحقة فى العالم « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ... اما عزة الله تعالى وأنفة جلاله العظيم وكبريائه الذاتى الكمالى « تعالى » عن أن يؤدي هذا الانسان له هذا الشكر (باضطرار) أولغرض الاحتياج اليه ... كلا ... (ان الله غني عن العالمين) ... بل من هذه الوجهة كان واجبا مقدسا لله ولكن بكيفية تليق لعزة الله تعالى وكماله أيضا فى آن واحدوهى : ان يكون هذا الشكر بتمام رضى الانسان وارتياح ضميره ارتياحا تاما لانقص فيه بقدر وضع خلقته التى وضعه الله عليها وهى انه فى امكانه القيام به أوعدمه وبقدر مايحتاط به من النعم فى الحياة .... ولهذا السبب الوحيد منحه الله تعالى بمطلق ارادته (الحرية) المطلقة لانها الحق لعلة (عزة) الله تعالى الذاتية التى لاتقبله الا بتمام الرضى المذكور وهذا لايكون الا بالحرية المذكورة مع تسليم الله تعالى للخلقة الانسانية من حياة وقدرة وعقل (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) وسبقت كلمته تعالى بعدم مساس هذه الحرية اثناء هذه الحياة لانها لم تك الا للشكر المذكور بالكيفية الكاملة السالفة ... فكانت لهذا الغرض وحده أيضا قصيرة ومحدودة « أولم يتفكروا فى أنفسهم ماخلق الله السموات والارض الا بالحق وأجل مسمى » حتى بعد ان يؤدى هذا الواجب السهل البسيط ترقى في حياة اخري في هذا الكمال الموعود الذي يرى بعينه الآن بعضا منه مما كان لم يعلم به من قبل مطلقا « أو لم ير الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً » وان الله الذى أوصله الى هذا المركز الحالى يمكنه « بالطبع » ان يوصله الى ماهو أحسن منه بكثير مما يذكره القرآن عن الحياة الثانية « فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » ولاجل ان يعرف الانسان نفسه انه فى تمام « الحرية » لاداء هذا الشكر والاطاعة لما فيه رحمته وليعلم ان عليه هذا الواجب المقدس أم لا منحه الله تعالى « الامانة » بازاء الحرية المذكورة أيضا وهى « العقل » فيعلم به حقيقة مركزه في الوجود وبه يقدر نعم الله تعالى التى تحيط به فيعمل بقدر استطاعته والوسط الذي يتواجد فيه « ولا يكلف الله نفسا الا وسعها » مايشير عليه هذا العقل من كل واجب مطلوب .... وبسبب هذه « الحرية » مع « العقل »

اللذين هما في الحقيقة لاجل عزة الله الذاتيـة كما سبق لغرض الشكر بالصورة السالفة . . فتح الله تعالى للانسان الطريقين في آن واحـد « وهديناه النجـدين » أى طريق الشكر المطلوب وطريق الكفر . — . لانه لولا امكانه الكفر بحريته فى أى وقت بلا معارضـة ماعلم انه « حر » فى ذاته لغرض هـذا الشكر الواجب أداؤه الا بحريته المذكورة وتمام رضاه . . . فان شكر فان الله تعالى يرضى لهـذا الشكر لانه لم يخلق ويمنح كل هذه المنح المتعددة الا لاجله . . وان كفر بدل الشكر فالله تعالى لا يهمه ذلك مطلقا ولـكنه لرحمته لا يرضاه له وفي آن واحد لا يمنعه عن هذا الكفر بقـدرته مطلقا . . . لانه تعالى لو أكره انسانا وأرجعه عن الكفر « اذ هو على كل شىء قدير » لعاد الى ضده وهو الشكر ولـكان هذا الشكر بعدها باضطرار واكراه ومن « المحال » ان يقبله الله تعـالى بهذا الشكل بعد نعمة العقل اذ ان ذلك ينفى أيضا عزة الله الذاتية التى كانت هى العلة الوحيدة فى منح هذه الحرية مع العقل بل وينفى فى آن واحد الغرض من وجود هذا العالم وما فيه لاجل مسمى محدود « ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم . . . ولذا سبقت كلمة الله أيضا بحق بعدم مساس هذه « الحريه » المقدسة في هذه الحياة مطلقا « ولولا كلمة سبقت من ربك » ليتأكد الانسان ان انهماكه وتماديه فى الكفر مهما كان حتى الى الموت لا يردعه الله تعالى عنه مطلقا لان ذلك عائد بالحرمان من الرحمة على نفسه . . . فهو تعالى قدر الكفر ولـكن فتح طريقه لحرية الجميع حتى في امكان كل أهـل الارض الكفر بالله « وقال موسي ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله غنى عن العالمين » ولـكل انسان ان يشكر أو يكفر « انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » فى أى وقت شاء .

ولما كان فى امكان كل انسان ان يختلف بحريته بين طريق الايمان والكفر حيثما شاء أخذ سبحانه الرقابة على كل نفس « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » وجعـل من رحمته جزاء حسنا مضاعفا فى طريق الايمان والاحسان « من جاء بالحسنة فله خير منها » وجزاء سيئا بسيطا فى طريق الكفر بقدر أهمية السيئة « وجزاء سيئة سيئة مثلها » لا لغرض المنع البات من الكفر بل لغرض التنبيه فى عدم التوغل فيه بقصد الرحمـة فكان في حكمه الدستورى وقضائه العادل خير حاكم رحيم « وهو خير الحاكمين » . . . ومن تمام عدله

أيضا وكمال علمه الذاتى ورحمته أعلن الانسان بان معاملته تعالى فى الجزاء المذكور عن الطريقين يرجع به تعالى الى قانون حق عام مكتوب بيده « كدستور الهى » على الجميع « وعنده ام الكتاب » بلا تمييز فيه لاحد من الناس فى الاصل الفطرى « كان الناس امة واحدة » وهو نظام القضاء والقدر العام كى تعمل كل نفس باجتهادها الذاتى مااستطاعت من خير أو شر وبقوتها ماقدرت عليه في الحياة ولتقدم على كل شيء من النوعين غير خائفة ظلما من أحد اذ هو سبحانه الكفيل وحده بضمانة العدل العام المطلق طبقا لبنوده على الجميع « ولا يشرك فى حكمه أحدا » فلا نبيا ولا وليا ولا ملا كا يشارك الله تعالى فى حكمه . . . . بل فى هذا القانون العادل كل مايمكن لكل انسان ان يعمل فى الطريقين في آن واحد وفى كل وقت وفي أى وسط « ان الله بكل شيء عليم » وعلى أي حالة مع نتائجها الكلية والجزئية في الحياتين بعدل مطلق فمع حرية الانسان المطلقة في الاكتساب من الخير أوالشر من غير ان يخصص الله شيئاً منهما من الازل فهو تعالى يعلم قبل ان يوجد الخلق كل مايمكن ان يعمله الانسان من الطريقين في أي وسط بل وكتبه أيضا بالدقة مهما تنوع الاختيار «ألم تعلم ان الله يعلم مافي السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير »

فان فعل الانسان خيراً ما فقد كان معلوما له عند الله تعالى قبل اختياره له فى حيز الامكان لافي حيز التخصيص والاضطرار وذلك لعلة فتوح طريق الشر فى الوقت نفسه الذي كان فى امكانه أن يعمل فيه شرا ما وكان معلوما لله تعالى أيضا من قبل في حيز الامكان مع فعل الخير الذي اختاره الانسان . . . ولكن لتباعد الانسان عن عمل مافي الطريق المتضاد كان مافيه خفيا عن علمه وغائبا عن افكاره لولا انه معلوم لله تعالى ولكنه لم يطلعه عليه مطلقا « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا » . . . وكتب فيه سبحانه أيضا بحق جزاء كل عمل مما فى الطريقين ليوقعه ويصيب به كل من يختار أي نوع منهما بالعدل «ماأصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم» بلاتخصيص لاحد شيئاً من الازل ولكنه تعالى لرحمته من نتائج حوادث الامم وانهماكها في المنكرات قد يختار بعض افراد بعلم عادل أيضا ليجعلهم أنبياء ورسلا ليوحى اليهم مايشاء من الاوامر الرحيمه « الله

يخلق مايشاء ويختار » ... اذ في هذ القانون الالهى « كتب على نفسه الرحمه » أيضا فخص نفسه كذلك بالهداية للايمان ترغيبا للناس في تحويل ارادتهم بحريتهم المقدسة اليه « ان علينا للهدي » وتلك المساعدة بقدر ميل الانسان الى الاخلاص وبشرط التحفظ على مبدأ « الحرية » العظيم « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .. فكان هذا النظام الحق داعيا لطلبه تعالى التسابق فى نوال كل خير ومغفرة ورحمة اذ لولا النظام الذي ذكرناه ما كان لزوم لاعلان هذا التسابق الذي يدحض أيضا عدم كتابة شيء مخصوص ومحدود لاحد من الناس « سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السموات والارض » قبل اختياره الذاتى ولذا كان لامانع مطلقا لاحد من الناس ان يؤمن بدل ان يكفر « وماذا عليهم لو آمنوا بالله » وكان المتفضل عندالله تعالى تبعا لذلك من كان أكثر تقوى لله بقدر اجتهاده وحريته « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ... وبخلاف ذلك فانه لما كان الشكر لازما بتمام الحريه الانسانية جعل تعالى أيضا من ضمن نظامه الحق فى الكتاب « الفتنة » أوالتجربة أوالامتحان ليعلم منها سبحانه قوة اختيار الانسان للايمان أوالكفر وهل يرجع لاقل شيء من الشكر الى الكفر ؟ .... وانه تعالى في هذه الحاله مهما اختار الانسان بعد ذلك من الثبات على الشكر أوالرجوع الى الكفر بأى كيفية وعلى أى حالة يعلم بها الله تعالى تمام العلم قبل وقوعها في حيز الامكان لا فى حيز التخصيص لكونها مفتوحة للانسان من طريقين متضادين فى آن واحد والتخصيص نفسه المطلوب معلومينه متروك لاختيار الانسان طبعا ولما يرتضيه ضميره وما يؤيده له عقله اذ ليس للانسان الا اختيار واحدمن الطريقين بحريته فعلم الله تعالى اذا لا يتغير مطلقا لاقبل الاختيار ولابعده ولا وقته ولاقبل وجود الانسان ولا بعد وجوده .. فاذا اختار الانسان مافي طريق الايمان مثلا علم به الانسان وخصصه الله تعالى له نهائيا مع نتائجه في الحياتين مع كونه معلوما لله تعالى له فى حيز امكان ان يختاره لامخصصا له ليصاب أيضا بنتائجه التى ستصيبه بعد اختياره المذكور وفى آن واحد بعد عن علم الانسان مافى طريق الكفر وبعدت عنه نتائجه فى الحياتين أيضا مع كون الله تعالى يعلم به وبنتائجه وكان مفتوحا لاختيار الانسان فى الوقت نفسه الذى اختار فيه الايمان السالف وكان في امكانه الوقوع فيه بدل الايمان المذكور .. فترى من

ذلك ثبوت علم الله تعالى بلا تغيير مطلقا لا قبل الاختيار ولا وقته ولا بعده

فان أصاب الله تعالى مؤمنا بمصيبة فى الحياة فهى لغرض الامتحان أوالفتنة حتي اذا ثبت بها على الاخلاص كان له الاجر العظيم ... ومن تأمل لاساس هـذه النتائج كلها علم أنها مبنية على وجوب « عزة » الله الذاتية وتفرده الكمالى المطلق مراعيا عباده مع هـذا النظام بكل رحمة ولذا أبعد عن رحمته كل انسان يحط من قدر هذه « العزة » الالهية ... كان ينسب لله البنات كما فعل بعض الامم « وجعلوا لله البنات سبحانه » أوان يدعى ان الله تعالى يحل في جسم ثور كما يفعل الهنود أوفي جسم انسان ... أويعتقد ان لبعض المخلوقات واسطة بين الله ... أو .. أو ... كل ذلك مما يوضحه القرآن يزيل حقيقة التدين المبنى أساسه مع الغرض من الوجود فى هذه الحياة للجميع على « عزة » الله تعالى وكماله المطلق وبازائها حرية الانسان العاقل مدة هذه الحياة المذكوره

واذا راجع المطالع ما كتبناه في الابواب السالفة عن هذه المواضيع علم عللها الاصلية بأيضاح أكثر وأتم .. وانما هذه الخلاصة لتقريب الفهم من الحقيقة اذلا ضرورة ان نذكر علة كل نظام لله تعالى يذكره القرآن فى العالم بل نريد ان نستخرج مما سبق نتيجة بديهية وهى « بطلان » كل المذاهب القديمة بطلانا واضحا فيما يختص باكتساب الانسان مع بطلان الاعتقاد بالقضاء والقدر بالشكل المقلوب الحالى وكونه صار تواء مالاسم الاسلام في كل بلد لاتعرف الاسلام حتى رجع به الاسلام القهقرى الى النهاية .. فكلها آراء خارجة عن الحق والدين وان ماذكرناه هنا يطابق كل آيات القرآن الحكيم والعقل والحقيقة والنواميس العالمية بلااستثناء...وسنداوم ايضاح جميع النقط التى يتوهم منها البعض الرجوع الى الافكار القديمة وكل آت قريب

فما أيدناه هنا لو رجعنا به الى مذهب « الجبرية » مثلا لوجدناه بالبداهة «محالا» وكذا مذهب « المعتزلة» الذين يتبرؤن من عدم تقرير الله تعالى لطريق الكفر أوالشر .. أوعدم جزاءه أحدا بشر في نظير سوء أعماله فهو « باطل » أيضا وكذا مذهب «الاشعرية» فهو باطل أيضا لانه يرجع بالعقل الى « الجبرية » وبطلان التوهم بان الله تعالى خص اناسا من القدم بالشقاء بلا سبب وآخرين للتمتع والنعيم بلاعلة — فكل ذلك « محال » ولا يليق

انتسابه لله تعالى

هذا ويوجد كثير من الغلطات الكبرى في مواضيع أخرى فى الدين ويعتقده كثير من كبار المسلمين أصولا للدين ويدرسونه الآن مع ان القرآن الحكيم يتبرأ منه أيضا وسنشرحه فى الاجزاء التالية «دع عنك خرافات العامة اللامتناهيه» وسنعود كلما سنحت الفرصة لايضاح أغلب الآيات القرآنية وتطبيقها علما وعقلا وعملا على مايؤيد الحق والحقيقة بحيث لا تنافر ولا تضاد بل كلها كما يقول القرآن فى مستو واحد « ولو كان من غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » بل كلها ترجع الى عزة الله تعالى وكماله ورحمته والى حرية المخلوق فى الاكتساب ففى يده السعادة والشقاء « وأن ليس للانسان الا ما سعى » ولا ينبئك مثل خبير

اساس الدين الاسلامى

علمنا مما سبق أن نظام الله تعالى العام مبنى على أساس ألوهيته الحقة ودعائم حرية المخلوق الذاتية لعبادته ولو أردنا أن نسأل أنفسنا عن الواقع المشاهد في كل مخلوق وعن حالته الطبيعية فى الوجود «حتى الجراثيم التى يتكون منها بعض الاجزاء الحية » لا يمكننا أن ننكر استقلاله الذاتى في نفسه مهما كان جنسه وشكله .... فكم من طائر حقير تقترب من عشه فيضربك بقوة جناحيه ما لم تظهر له المسالمة وتتظاهر له بها وذلك دفاعا عن نفسه ليستمر فى حالته الطبيعية بحريته التي وضعه البارى بها وخلق فطرته عليها . . . ولو سألته وأمكنك أن تفهم كلامه لاجابك بقوله : أيها الانسان انى خلقت في هذه الحياة بهذا الاستقلال والحرية الذاتية وجعل الله تعالى في نفسى ما يجعلنى مثلك أدافع عن هذا الثمن الغالى اذ به وحده كان الغرض من حياتى وبه خلقنى الله تعالى لاعبده باختياري وتأملى... وان كنت لا تعلم باطنى ولكن من ظاهر دفاعى تعلم أن في روح تشعر مثلك تماما . . . وبها أدافع عن نفسى كما تدفع عن نفسك كل الطواريء المخيفة لحفظ كيانك الوجودى وليس لك ذلك الا اذا استمددت قوتك ونشاطك ودفاعك من الايمان بالله القادر . . . أفهل هذا الطير يقول كما يقول علماء الاسلام ان الله تعالى اذا كان كتب له أن يصاب بأذية

ممن قد اقترب على قفصه فبها ... وان لم يكتب له ذلك من الازل نجى ؟ ... كلا ... ما أقبح هذا المقال وما اكبر مسئولية قائله عند الخالق سبحانه .... فان الطير يشعر فى ضميره أن دفاعه الذاتى هذا وحده هو الذي ينجيه وان كان يجهل قوة المغتصب فهو يفعل أمرا طبيعيا وضعه الله تعالى فى نفسه وبه سيحاسب كالانسان تماما اذا فرض واستسلم لخصمه بلادفاع مع ان استسلامه مستحيلا اللهم الا اذا عدمت قوته وصار لا حول له ولا حيلة غير قدرة خالقه التى ينتظرها لمجرد ايمانه فقط وثباته عليه

فالاساس الفطري لجميع الخلائق على اختلاف أشكالها هو : « الاستقلال الذاتى » في الوجود لان ذلك هو الغرض الوحيد من الخلقة بل ذلك هو الغرض الشريف الذي أراده الله تعالى للخلق عموما وجعلهم بنظام عام جميل به يري كيف تعمل تلك الخلائق المتعددة بهذا الاستقلال ومعه منحه المختلفة في أنفسهم لاداء واجب مقدس هو الشكر الخالص لالوهيته المقدسة « وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » وما علاقة المخلوقات ببعضها سواء كانت انسانية أو حيوانية أو نباتية أو جمادية لا علاقة نظامية فقط لا تأثير لاحد أو شيء على الآخر الا بنواميس طبيعية غاية في الجمال والترتيب بحيث لا تمس هذا الاستقلال مطلقا . —

واذا كان الاستقلال الذاتى هو أساس كل مخلوق ... فان الدين الاسلامى هو الدين الوحيد الذى يوضح كيفية هذا الاستقلال الذاتى في الانسان الذى هو أشرف الموجودات ولوازمه التى تلحق به ... وقد وضحه الله تعالى في كتابه العزيز « لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون » وأبان أن الغرض منه هو نفس الغرض الذى به منح هذا الاستقلال للجميع ولكن بشكل يلائم مواهب الانسان العديدة فى كيفية وجوده . . . وعلى ذلك فيمكننا أن نحصر اجمالا أساس الدين الاسلامى في هذه الكلمات الثلاثة الآتية :

(١) الاستقلال الذاتى (٢) التعقل (٣) الايمان بالله تعالى وما يتبعه واذا أردنا أن نقول عن هذه النقط الثلاثة بتعبير آخر يمكننا أن نقول أيضا ان أساس الدين الاسلامى هو : (١) الحرية (٢) العلم (٣) الايمان بالله تعالى والثلاثة تجتمع فى كلمة واحدة هى : « دين الاسلام » أي الدين الفطرى للمخلوقات اذ ان هذه النقط بعينها هى المبنى عليها وجود كل موجود

في العالم على اختلاف جنسه وشكله ووضعه ونوعه ... فاذا أردنا أن نختبر حيوانا أعجميا عنها بقطع النظر عن الانسان لاجابنا بها لسان حاله لولا عجز الانسان عن معرفة لغة الحيوانات المذكورة .

فاذا تقابلنا بحيوان من صنف الغزال في البرية مثلا وسألناه ماذا تفعل في هذه الهضاب الجميلة وما هذا الانعزال عن العالم ... بل ماهذا النفور وحبك الاستقلال ؟ .. ولو انتظرنا الجواب لاجابنا لسان حاله ... بأن الله تعالى وضعه وخلقه لهذا الغرض نفسه .أى ليكون كل نوع بعمله الذاتى ولقال:

عن الاستقلال

أنى أمرح وآكل وأتمتع كيف أشاء بما تشتهيه نفسى من أنواع الحشائش منة على من لخالق سبحانه وأسير فى الارض كيف أشاء كما خلق تعالى للانسان أيضا كل ما في الارض يأخذ منها ماشاء ان يأخذ ويتعلم فيما شاء ويتفكر في السماء ويتأمل فى عجائب الطبيعة بحريته واستقلاله لا يمنعه الله تعالى عن شيء مطلقا . . . وانى لم أقل كعلماء الاسلام السابقين ان الله تعالى كتب لى جزاء مخصوصا من الحشيش الاخضر بالذات فى ام الكتاب من الازل لا يزيد ولا ينقص كما كتب خطواتى التي أخطوها قبل ان افعلها في تلك الفيافى وجنات الاحراش والغابات بصفة خصوصية !! كلا !! .. بل خلقنى الله تعالى على هذا الوضع والتقدير الفائق مستقلا في نفسى تمام الاستقلال . . وترك لى سبحانه تمام الحريه بحق في كل أعمالى وأحوالى وخلق في نفسى مايرشدنى الى كل حقيقة فى العالم بنسبة تركيبى الطبيعى وخلقتى التى وضعنى عليها . . . فكلما خطوت خطوة علم بها وكتبها على وكل حركة من حركاتى وفكرة من أفكاري يعلمها تمام العلم لاول وهلة .. وكذلك يعلم بالحشيش الذي يدخل فى جوفي وما ينتعش به فؤادي من الماء القراح ... وانه تعالى يعلم كثيرا مما يمكنى عمله ويعمله نوعى وتتقلب فيه قبل ان يوجدنا ولكنه تعالى أوجدنا على تلك الحرية وجمال الخلقة ليعلم من كل منا ماذا يريد لنفسه من طيب وخبيث بحريته من كل مايعلم سبحانه وانى أشعر في نفسي بهذا الاستقلال لا اوهام اعتقدها فيمن كان مثلى أو أعظم منى وليس بين عيني غير نقطة واحدة رئيسة هى التمسك بالايمان العظيم فالتجارب أثبتت لى انه أساس كل نجاة وأساس كل فضيلة .

وعن العلم

تراني لا أعبد الانسان هذا المخلوق ذو الهيبة المؤثرة على مثلي وما هو أشد مني ومن نوعي ومن جميع الحيوانات ... ولا أعتقد فيه شيئاً من فعل خير أو شر ضدي ... ولكن بما خلق الله في نفسي من تلك الفطنة مع الاستقلال تراني أفر من قساوته بمهارة داخل الغابات وجنات النبات .. وبتأملي الذاتي وتبصري المستديم من صغري أحضر قبل شروق الشمس من الجبل وأهبط الوادي الجميل قريباً من هذا النيل الكريم لاشرب منه ماء حلوا ذلالا قبل أن ترتفع حرارة الشمس أو تزدحم الارجل الانسانية التي لا ترحمني على النهر ... فكم منهم يغازلني على بعد فاذا أمنت لريائه لا يلبث أن يخدعني ويوقعني في فخ الاسر والضيق فيحرمني لذة الاستقلال والحرية فبعلمي بتلك الاحوال وحذري صرت سعيدا وبتجاربي أسير حراً فطناً خبيراً

وعن الايمان بالله تعالى

أنظر من بعيد بتلك الاعين التي منحني الله اياها لعدوي الاسد والنمر وأمثالهما العديدين .. فاستجير منهما بخالقي الذي أوحده وأؤمن به كلما لمحت أحدهما من بعيد وأدعوه أن يكفيني شره حفظاً لحياتي العزيزة فلا ألبث حتي أختبأ حيث أشاء وحيث شاءت رحمة الخالق بي ... واذا سألتني كيف أعرف ذلك لقلت لك أنا روح مثلك في الحياة لا في الدرجة وجعل في الاله سبحانه ميزانا حقا كعقلك ولكن يناسب خلقتي ومركز وجودي في العالم « قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه » وبه وضعني على هذا الشكل بحريتي لافعل ما أشاء ولاقوم بواجب واحد مقدس بعد تعقلي الكثير مما تراه من أعمالي وحركاتي وما لم تعلمه ... وهذا الواجب « هو الشكر لله تعالي باخلاص » على هذه المنن المتعددة الكثيرة مع الثبات على الايمان ... وانه تعالي لم يجعل لنا الاسد وأمثاله من الحيوانات التي تفترسنا وقساوة بني الانسان كلما سنحت لهم الفرصة الا ليكونوا لنا «فتنة» فقط من غير أن يضروا بشئ مطلقاً الا بحق يؤيد وقوعه الخالق لعلل عادلة رحيمة ... حتى اذا سهى أحدنا عن ذكر الله تعالى قيض الله له أسداً أو انسانا يلتقمه في الحال ... فلا يشعر الا وهو في العذاب المهين انتقاما لكفره ولعدم أدائه الواجب ... كما أنه تعالى جعلنا أيضاً طعمة للجائع أحيانا فخلل لذلك اصطيادنا لهذا الانسان الذي أكرمه ونعمه حتى في اقتناص الارواح فاذا وقع أحدنا في فخه

أو ناره ... أو مع أسد جائع أو نمر وكان بايمانه صابراً وثابتاً كان له من الله تعالى في الآخرة الاجر العظيم « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه لا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء »

فترى من اجمال مقالى وحقيقة أعمالي وأحوالى .. ان وجودى الطبيعى مبني على مبدأ لزوم التسليم للخالق فهو المبدأ الحق الذى يحب الله تعالي أن يتمسك به كل مخلوق بحريته لانه وحده الموصل لكمال السعادة ... والله من رحمته يرغب السعادة الروحية والابدية للجميع « فديني هو الاسلام » وكما رأيت من اجمال افصاحي انه بني على ثلاث نقط : أولها الاستقلال الذاتي مع الحرية وثانيها التعقل والتأمل أو العلم بكل ما حولى وثالثها الايمان بالله تعالى الذى هو نهاية أغراضي فتراني أتمسك بالنواجذ بكل ما ذكرت فبذلك وحده تأكدت نوال السعادة والهناء وكذلك ستدوم فطرتي في السعادة المقبلة الابدية — هذا حقا ما يمكن ترجمته عن لسان هذا الحيوان اذ على هذه النقط نفسها يدور محور الدين الاسلامي الجليل في كافة مواضعه المختلفة المتنوعة بل عليها كان القرآن معجز البشر يدور على مركزه بما فيه من ألفاظ ومعان سامية ... بل عليها بني الله العالم من أساسه وهى لذلك مفتاح جميع المواهب الالهية الظاهرة والخفية لسعادة البشر . —

فالاستقلال الذاتي للمخلوقات على تنوعها مع النواميس المتعددة التى تحفظ كيان الجميع على هذا الشكل رمز لكمال قدرة الله الخالق فى جمال الابداع والتعقل مع الاستقلال رمز لاظهار مواهب الله المختلفة الموجودة في كل مخلوق اذ ثمرة هذا التعقل هى العلوم على اختلافها وما ينتج عنها . والايمان بالله تعالى مع الشكر له هو الغرض من الاثنين بل هو النتيجة العامة الحقة لكل علم وحكمة «ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله » ... فالثمرة الوحيدة العامة من خلاصة الوجود بمشتملاته من العلوم والحكمة هو الايمان بالله تعالى مع الشكر ولذا كان من الايمان كل فضيلة في العالم « ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين » ومن نظر نظرة سطحية الى أحوال الامم المختلفة من ابتداء البعثة المحمديه الى الآن لاندهش جداً من تقدم الامة الاسلامية في ابتداء نشأتها تقدما سريعا بسبب سيرها على أساس الدين المحكم ثم انطفائها دفعة واحدة الى الآن ... حتي يتخيل

للناظر أنها لن تقوم لها قائمة الى الابد بسبب هـذا الجهل المطلق باساس الدين وهو النقط الثـلاثة التي أوضحناها الآن . — ولو كانت استمرت على حقائقه الي الآن لـكان وجه المعمورة اكتسب شكلا غير شكله الحالي ولوصل الى حد الكمال من الرونق والتقـدم والارتقاء — ولقد أظهر الله فى العالم كثيراً من الامم التي مزقت شمل استبداد الملوك وغيرهم للوقوف تحت لواء الحرية ومنهم تلك الامـة الفرنساوية التي كانت سبباً في تنور أوروبا الى حقيقة الفضائل الانسانيـة المختبئة في الحرية فبنت ملـكها الواسع ومجد رجالها العظماء على ثلاث كلمات لا تخرج في مبناها عن الحجر الاول من أساس الدين الاسلامي وهى : الحرية والأخاء والمساواة ... ومجموعها الاسـتقلال الذاتي بلوازمه ... ومنهم أيضاً تلك الامـة الانكليزية التى حنكتها تجارب الازمان قرونا حتى استخرجوا قوانينهم الدستورية التى تحفظ حقوق الجميع وكل منهم يردد كلمة هي عنوان مجدهم للآن وهي الاستقلال الذاتي أو « الاعتماد على النفس » كما يقولون فالفرد منهم أمة في ذاته والـكل سائرون بنظامات دستورية وضع أساسها الشعب في حرية أعماله العامة . وقد حذا حذو أولئك الامم كثير من الامم الاوروبية والامريكية وصاروا كما هم الآن متمسكين بالنواجذ على هذه المبادئ الجميلة التى خلق الله الانسان على نظامها ... بل قد تمسكوا أيضاً بالمبدأ الثاني للديانة الاسلامية وهو التعقل بحق لاكتساب العلوم بانواعها وفوائدها فات وكثرت لجني نتائجها العظيمة فتجلت لهم لذلك المدنية فى ثوبها الجميل وأظهروا بكدهم الذاتي كثيرا مما اختبأ من الفضائل الانسانية ونحن مع احترامنا الـكلي «لحرية» كل انسان وكل أمة فيما تتدين به وتعتقد فيه أنه الاحسن من كل دين « لـكم دينكم ولي دين » نقول ان فرنسا ظهرت كعادتها في سبق الامم لاجتلاء الحقائق العقلية في الدين فتبرأت علناً من بعض تعليمات لرؤساء الدين لا ترى من الوجوب تقييد حريتها بها ... كما نتبرأ نحن من أوهام دخيلة في الاسلام أما النقطة الثالثة من أساس الدين الاسلامي وهى الايمان بالله تعالي وحده ووجوب تنزيهه والتي هى خلاصة الحياة وأس الاسلام فالسعى خلفها ضعيف الا من بعض الفلاسفة الفرنساويين وغيرهم ممن خطوا لانفسهم دينا خاصاً سموه « الدين الطبيعي » فهم يؤيدون في مبادئهم وجوب تنزيه الخالق تنزيها تاما أما غيرهم فما زالوا يعبدون الله تعالي بنوع من الاعتقاد بشرك التثليث وألوهية المسيح عليه

السلام ... لذلك كانت هذه المدينة أقرب الى التسمية « بالمدينة المادية » فقط دون مدينة القرآن التى تعتبر في نظامها الديني « مدنية مادية وروحية » في آن واحد كالحديث « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » وكقوله تعالى « فعند الله ثواب الدنيا والآخرة » ويظهر أنهم لم يوجهوا لهذا الموضوع اهتماما خاصاً من الكل يذكر كغيره . . ولم يعيروه قسطا من تعقلهم الذاتي كما يتعقلون في كل أمر ... ولعل عدم اهتمامهم بالامور الدينية والاعتقادات مما يجعلهم متأكدين ان تلك الابحاث الاعتقادية هي فوق العقول البشرية كما كان يقول علماء الاسلام للآن ان عقيدة القضاء والقدر هى فوق العقول البشرية أيضاً . ولو فقهوا أسرار هذه الحقائق كلها من القرآن العظيم لعلموا

أولا — ان الاستقلال الذاتي والحرية يجب ان تكون لافراد البشر على السواء كفرض لازم للكل . . . هذا ان أرادوا خيراً لانفسهم ولغيرهم فذلك أساس نظام الخالق الطبيعي لكل موجود في العالم

ثانياً — نشر العلوم المفيدة على اختلافها مهما كانت وكل يدرس مايلائم ميله الفطري ويجب ان يكون عاماً بين جميع أفراد البشر على السواء ليعلم كل فرد حقيقة الحياد فانه لاحياة بلا علم

ثالثاً — الاخاء العام بلا تمييز في الجنسية بكيفية لا تمس الشرطين السالفين وهذا لا يكون الا باتخاذ مبدإ واحد يتحد فيه جميع البشر في الوجهة والمقصد . ويشترط ان يكون أحق جميع المبادئ وأسماها وأشرفها عقلا وحقيقة وأرجع بها الى طبيعة الانسان الفطرية في كل تقلباتها الى الموت (راجع من صحيفة ٣ لغاية صحيفة ٩) وهذا بالطبع لا يكون الا بمبدأ « الايمان بالله تعالى وحده والاخلاص اليه » اذ هو مبدأ الانسانية الفطري فهناك يكون الاخاء العام الطاهر المبني على أساس متين لا يتزعزع « انما المؤمنون اخوة » وتبعاً له تتبع أوامر الله تعالى من اجتناب الخمر والميسر الهادم للبيوت والفسق المفقد للشرف والفضيلة ووجوب الزكاة والصيام والصلاة فضلا عن فوائدها الصحية فان ذلك من أول مطهرات القلوب ولحصول التسامح ونشر السلام في العالم من تقليل مصائب الفقر وردع فساد الفوضوية وأمراض المشروبات الروحية المهلكة وحدها لكثير من أفراد البشر .

وبما ان الايمان من الامور الباطنية المحضة التي لا يعلم بها الا الخالق وحده حيث

يجوز ان يتقلب الانسان في الايمان والكفر في لحظة بحريته من غير أن يعلم به من هو بجانبه ولولم يتكلم فان القرآن جعل دلالة بواطن الانسان ظاهر عمله وأقواله . . فاذاً يمكنا أن نميز المؤمن بعمله وأقواله وسيماه كذلك . . وغيره بالمثل . . . وبما ان الايمان هو أشرف ما يتمسك به الانسان كان كل مايصدر من المؤمن مشترط فيه الكمالات الانسانية بانواعها مهما تقلبت على أي شكل . . . وكفى هذا القول الموجز دلالة على حسن نتائج الايمان الصحيح . . اذ من موجباته الاولية الاخاء العام في البشر . لان القرآن وحده الذي هو امام المؤمنين العام يعد مهمة جميع الرسل بلا استثناء لغرض الهي مطلوب من كل نفس بشرية لسعادة ذاتها خاصة وليس لعلة الرسل أنفسهم واتخاذ كل فريق من الناس رسولا لنفسه يتفضل به على الآخرين ويقول انه أحق بالاتباع من غيره . . . كلا . . . بل يوضح ان اجمل الغرض من الجميع هو : « الايمان بالله تعالى وحده » وعبادته ليس الا : « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » اذ كل الرسل على اختلافهم لم يكونوا الا لهذا الغرض الاساسي وحده قال تعالى « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون » هذا وان تغيير الكتب السموية بالتتابع كالتوراة والانجيل والقرآن في تنوع الشرائع واختلاف المعجزات لم يك الا لما اقتضاه الوسط وترقي الانسان التدريجي في العالم وما زال في الاستمرار حتى ختمت بهذا القرآن الحكيم الجامع لأصول شتات الجميع على الوجه الاكمل الموافق للطبائع البشرية المختلفة على مرور الاعوام . وهو الذى يحث العقول بالتقاط شرائعه ومبادئه المسعدة الجميلة مع مطابقتها لفطرة الترقي التدريجي الانساني الى مالا نهايه .

فجميع الرسل والانبياء في نظر الله واحد وجميع الخلق المرسل اليهم كواحد لا تفاضل الا بتفاضل العمل الذاتي والتفاوت في الاخلاص . « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض » فاذا وجدنا زنجياً مؤمناً بالله تعالى ويعمل عملا صالحاً مجيدا . . . فالاسلام والقرآن لايحقر مثل هذا السواد بشرته كما يفعل الامريكان وغيرهم بل يفضله على أبيض البشرة ممن يكون شريراً ضعيف الايمان بالله قليل العمل المفيد أو عديمه . « ولعبد مؤمن خير من مشرك

ولو أعجبكم ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم . » فالتفاضل في هذا الدين لا يكون الا حيث تظهر الفضيلة الصحيحة بالايمان وطهارة القلب بالاقوال والاعمال الحقة المفيدة ... والعكس يحدث حيث تظهر الرذيلة أو مايوصل اليها في جميع البشر . وليس بعد ذلك مبدأ حق يمتاز عليه أى مبدأ عام لتأييد السلام العام في العالم . اذ أساسه الاخوية البشرية العامة والفضيلة الروحية بالايمان بالله والاعمال الصالحة المفيدة ونتيجة كل ذلك بالطبع السعادة العامة المؤكدة .

ان ديناً أساس مبادئه أن لايكون فرق بين أفراد البشر مهما اختلفت اللغة والجنسية والشكل الا بما يكتسبه الفرد من الايمان بالله المطهر للقلوب والعلم والفضائل الانسانية والاعمال المفيدة لهو دين الحق والعدالة . ان ديناً يجعل سائر البشر بكلمة واحدة هى « الايمان بالله » وحده اخوة كما كانوا في الاصل الروحاني لهو دين الفطرة والانسانيه ... دين لايجعل لغير الله تعالى سلطة في العالم سائدة فوق الكل حتى ان أضعف ضعيف يمكنه بنور الايمان ان يقف أمام أعظم قوة رهيبة لتأكده من سطوة الله الآخذة بالعدل لهو دين التوحيد العام لجميع المبادئ الانسانية المختلفة الى أصلها الطبيعي ..... دين يتبرأ من الدخيل فيه تبرأ السليم من الاجرب وان توج نفسه ظاهراً بكل ألفاظ الاسلام والايمان والشرف وأعماله السيئة تغاير ألفاظه وادعاءه ثم يرميه بالنفاق لهو دين العقل والشرف « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا » .... دين يحض متبعوه بقوة على أشرف عمل في العالم وهو دوام التعقل فى كل شئ والتبحر في العلوم الفلكية والطبيعية مهما كان نوعها وشكلها ليعلم الناس منها كيف يكون فناء العالم المؤكد حصوله كما يشير القرآن في آياته وليستفيدوا ويعلموا قدرة الله في تركيبه الجميل المدهش لهو دين العلوم العامة وميدان العقول الخصب الفسيح . « قل انظروا ماذا في السموات والارض » .... دين يتبرأ من الخائن مهما نسب الى أعظم عظيم في الامة لهو دين الحق والمساواة والفضيلة « وضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين » ولا ريب في أن بعضا من أفراد الامة

الاسلامية المتنورين من المتأخرين الذين نظروا الى دواء الامة من بعيد ورأوا كيف تنقذ من جمودها الحالي وضعوا بعضا من الحقائق الخالصة بصفة نصائح فلسفية تبعا لحالة الوسط الذى يعيشون فيه من نتيجة اختبارهم وتجاربهم الحقة العالمية لكونها هى السلم الاول والبلسم الوحيد لكل أمة قامت على دعائم القوة المتينة التى لا تتزعزع ... فمنهم المرحوم السيد احمد خان مؤسس كلية عليكره الهنديه فقد قال عند تأسيسها : « ان خلاصنا لا يكون الا في الوقت الذى يصبح فيه أمر التعليم بيدنا فلا تسترقنا مدارس الحكومة بنظاماتها يومئذ نأخذ العلوم بيميننا والفلسفة بشمالنا . وعلى رؤسنا تاج « لا اله الا الله محمد رسول الله » . ومن تأمل لخلاصة هذه النصيحة وقلبها كيفما شاء وجدها تشتمل على طلب المذكور الاستقلال الذاتي والحرية أولا فى التعليم ثم التقدم في العلوم العالمية والفلسفة وغيرها ثم تاج لا اله الا الله محمد رسول الله الذى هو الايمان باخلاص الى الخالق وهي لا تخرج عن النقط التي نشير اليها في شيء وان كانت دائرة الحرية التي حددها فى كلامه محصورة .

ومع أهمية تلك النصيحة فانها قد تلقى من بعض أحزاب التقهقر اعتراضا وذلك لعدم ارتكانهم فيها على أصول دينية من القرآن تلجم أفواههم عند النعيق بخلاف ما اذا قيل الآن وثبت للجميع بالبراهين المتعددة من المبادئ السالفة ان أساس الدين الاسلامي .. بل الاساس المطالب به كل مسلم أو كل فرد في العالم أمام خالقه قبل أن يعرف كل حقائق الدين ان يحافظ على النقط الثلاثة الآتية أولا والتي لا يتم الدين الا بها وهي :

(١) الحريه أو الاستقلال الذاتي للنفس فى العالم

(٢) تعلم العلوم على اختلافها بقدر وسعه فيما تميل اليه فطرته

(٣) الايمان بالله تعالى الذى يشمل كل الكمالات الانسانيه

فكل فرد مطالب امام الله ونفسه ودينه والحقيقة والصالح العام ان يعمل لهذه المبادئ الثلاثة العامة الثمينه ... اذ ان السعادة العامه الدنيويه والاخروية متوقفة خصوصاً على نوالها بكل قوة نفسيه وماليه وسنذكر فى « الجزء الثاني » ان ابراهيم الخليل عليه السلام كان يسير على هذه المبادئ أيضاً — ونحن لا يمكننا أن نزيد على ما قدمناه من الشواهد العديدة التي يشهد بها العقل والعلم والنواميس العمرانية وغيرها على ثبوت بناء أساس الدين الاسلامي

على هذه المبادئ غير لزوم التأمل من كل مسلم مخلص الى كلام الله تعالى .. فمن ذلك الحكاية الآتية عن محاجة أهل الجنة لاهل النار مما يزيد ما أيدناه ايضاحا وتثبتاً قال تعالى « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون . وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الي يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون . فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولاهم يستعتبون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون » فمن هذه الحكاية نعلم أن أساس السعادة المقبلة مبني على التعلم في هذه الحياة ثم الرضوخ بنتائج العلوم الحقة الى الايمان بالله تعالي وحده آلهاً اذ أن الحجة التى انتصربها فريق الجنة على المجرمين هو قولهم : « ولكنكم كنتم لاتعلمون » وقول الله تعالى بثبوتها « كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون » ... أي أنهم لم يصلوا الي الدرجة الثانية من أساس الدين الاسلامى وهو لزوم « العلم » توصلا به الي الايمان .. ولم يقولوا لهم ولكنكم لا تؤمنون اشارة الى أنه لا ايمان حق بغير علم والعلم مهما اختلف شكل حقائقه يوصل الى الايمان الصحيح فلا يشترط ان يكون علما خاصا وان كان كتاب الله تعالى أحسن ما يتوصل به للايمان بل مطلق العلوم الصحيحة توصل أيضاً الى الايمان ... لان العلم لم يك الا لتشغيل العقل وتشغيل العقل في الحقائق العالمية على اختلافها هو كل العلم بالدين وبآيات الله حتى قال تعالى توصلا للايمان بالعلم ان مطلق النظر لما في السماء أو الارض كاف لذلك : « قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » وان قول الله تعالى « وقال الذين أوتوا العلم والايمان » اشارة واضحة للمنتصرين بحجتهم لاستوفائهم أساسات الدين الاسلامي الذي لا يقبل غيره يوم القيامة : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » وبالطبع فان « الحريه » التى هى الاساس الاول في الحياة كانت ثابتة لكل من الطرفين المتحاجين . ولولاها ما كانت هذه المحاجة والمعايرة في التقصير عن التعقل لنوال العلوم التى بها يسهل الوصول الى درجة الايمان العظيمة وما أحسن تلاوة القرآن توصلا الى الايمان من أقرب طريق . اهـ

الحكم الاسلامية . والمواعظ الفلسفية الدينية

١ — بعد اختبار حق متواصل . رأيت القرآن أفضل معجزات الرسل

٢ — يستحيل أن تطرق باب الاخلاص . ولا يهديك الله لنور الحقيقة

٣ — لا شيء في العقل محال على الخالق . ولكنه تعالى لا يعمل الا مايقتضيه كماله المطلق

٤ — الارادة الانسانية أشد قوة فعالة في العالم فهي أعظم من قوة الحديد والنار ولا شيء يقدر على اعتراض سيرها مطلقا مهما كان الا قوة « الخالق وحده » بحق ولكن ليس بقصد ايقافها بل لحفظ النظام بين ارادات متضادة السير

٥ — أجمل تاريخ للانسانية . من بدء نزول الآيات القرآنية

٦ — الايمان بالله تعالى تابع للفطرة . ولكن حرية النفس عند الخالق أول أمر مقدس

٧ — أراد الله وقضى بحق أن يكون : للقلب اختيار مطلق . لا شيء يؤثر عليه في العالم

٨ — المخلوق لنفسه والله للجميع

٩ — من الشرك . سوء الظن بالخالق

١٠ — جزاء الله تعالى للخلق في بحر هذه الحياة بقصد الرحمة . لا بقصد الانتقام

١١ — سعادة الروح بدوام العمل مع التقوى

١٢ — لا حزن في هذه الحياة الا للجهول أو المسرف

١٣ — ان فعلت حسنا ووجدت سيئاً . فهو لسيئاتك الماضية

١٤ — المؤمن رزين عامل عاقل . الفرح والحزن ليسا من صفاته

١٥ — المؤمن يصاب . ولكن لمغفرة الذنوب أو الفتنة

١٦ — القلب لا يتعلق بالله وبغيره . فانت مخير

١٧ — عمل الفساد والتقوى لا يجتمعان أبداً

١٨ — اذا أردت أن تعرف معنى كلمة « مالانهاية » فهي المسافة الكائنة بين الخمول والتقوى

١٩ — حسن الانشاء والتفكر موهبة نادره

٢٠ — طمع الانسان فى الخالق بكل الاماني واجب . ولكن البدء بالشكر على مافي اليد أوجب

٢١ — ان الله تعالى ليس تحت مشيئة أحد في العالم . ولكنه تعالى ينيل الانسان من الخير كل ما يطلبه بالدقه

٢٢ — مركز طائر الانسان والهام الله تعالى للانسان في المذكرة

٢٣ — هل تعرف أول الكذابين ؟ .. من قال أقوالا عن الدين تخرج عن حد العقل والتجارب العلمية الصحيحة

٢٤ — فرق في الحياتين بين من آمن بالله يوما وبين من آمن بالله يومين

٢٥ — الدين شقيق العقل ... وما غمض في القرآن العظيم موضح فيه ولكن الله تعالى يعطى الحكمة بقدر ما يشاء بنظام عدل وحق

٢٦ — ضياع الدين في جميع الازمان ... ممن يدعون الرئاسة فيه بجهل

٢٧ — من أول صفات الخالق الاستقلال والحرية والعدل . وهى في الانسان لو آمن

٢٨ — بين المؤمن والكافر حجاب كثيف لا يرى أحدهما منه حالة الاخر وان كان الاثنان فى وسط واحد .

٢٩ — قد يختار القلب بحريته الذاتية في لحظة قصيرة الايمان والكفر بالتتابع

٣٠ — ان لم تشغل يدك وقوتك في العمل النافع المفيد فاشغل لسانك بذكر الخالق

٣١ — أكثر الدين بالاعمال لا بالاقوال

٣٢ — صبر المؤمن درس مفيد لطهارة الروح

٣٣ — القليل من الناس من يعرف حقائق الحكم

٣٤ — نعم الطائر المرشد الحق ... طائر الانسان عند الخالق

٣٥ — يمد الله تعالى يده في هذه الحياة لكل من طلبه وأراده مهما كان . الا في الآخرة

٣٦ — يأسف الله تعالى عليك ان لم تتخذه أول محبوب لنفسك

٣٧ — هل تعرف لماذا خلقت ؟ لتستعمل مواهب خلقتك الذاتية فيما وضعت لاجله . وفي نفسك دليل ماهر

٣٨ — مهما فعل الانسان فلا يبني سماء ولا يخلق بعوضة وأداء الواجب هو الحقيقة

٣٩ — اختبرت العالم طويلا بحرية تامة وامعان حق . فرأيت أحق ما يجب أن يقال

إن القرآن ليس من صنع البشر

٤٠ — عجبت لامم تدعى الاسلام ويحكمون بملوك مطلقين حتي بالوراثة

٤١ — عهد الخالق للناس الرحمه . وعهد الناس للخالق الايمان مع الاخلاص

٤٢ — أقدس شيء في المخلوق حرية الارادة . ولذا سبقت كلمة الله تعالي أن لايمسها في هذه الحياة وان كان سبحانه يفعل ما يشاء بنظام حق

٤٣ — معالجة الارواح بالفضيلة . أربح وأحق من معالجة الاجساد بالحياة مع الرزيلة

٤٤ — يعجب ضعيف الايمان لذكر الآخرة . ونفسه تشعر بالابدية

٤٥ — النفس حارسة لشجرة ايمانها . فقد تعرضها للزوال فى لحظة

٤٦ — لا تقف الروح مطلقا في هذه الحياة . فهى في علو او انخفاض

٤٧ — النفس كاتب ماهر دقيق لا يخطأ في درج الصادر والوارد

٤٨ — حسن نتائج العلوم . زيادة نور الايمان

٤٩ — كلمة اليأس لا وجود لها في العالم . الا في قاموس الجاهل

٥٠ — الاقدام على العمل النافع من أول واجبات المخلوق . وحسن النتيجة من شؤون الخالق

٥١ — قارئ القرآن بعقل . لا يحتاج الاستفهام من أحد

٥٢ — الانسان سفينة دفتها العقل يديرها كيفما شاء بحرية تامة مطلقة وأم الكتاب بحرها الغير محدود

٥٣ — من لم يصبر بحريته في هذه الحياة لنوال الحق على الشديد . فسيصبر في الاخرى بالرغم على الاشد

٥٤ — لو أنالنى الله تعالي طلبي في اكتشاف المجهول ... لاستخرجت ما اختبأ من علوم العالم من القرآن

٥٥ — اذا هرم تاريخ الانسان ... فقد هرم تاريخ العالم

٥٦ — كل شيء يعوض بما هو أجمل وأحسن الا خسران النفس بالكفران

٥٧ — بنزول القرآن قد بلغ الانسان الرشد . فلا ملك مطلق ولا مانع للحرية الابحق

٥٨ — قد خسر الغالون فى الدين بلا علم

٥٩ أشد الناس جهلا من بالله كفر . وان كان أعلم البشر

٦٠ — من اشتاق لتأثير بعض مبادئ السحر فلينظر لمن يكفر

٦١ — الامي اذا تبصر عقل القرآن .. فهو لا يحتاج لاتهام الكاذبين

٦٢ — قد وصلت الامة الاسلامية بفتنة القرآن درجة رديئة لم تكن لامة من الامم

٦٣ — لولا الغاوون مع الشعراء ... لكان أفضل الغزل في الايمان

٦٤ — رب حقير في الرعية . افضل من الملك عند الخالق

٦٥ — طريق الانسان في الحياة وعر مؤلم . ولكن لذة الحياة في التغلب على المصاعب

٦٦ — خلقنا لنعلم ... فالحياة هي العلوم .

٦٧ — ثبات القرآن بلا تغيير . ما زال الرحمة الكبرى للبشر

٦٨ — اقرض القرآن اوروبا درسا ازهر ثم اثمر ... ومن فوايظه ستقرض اوروبا بني الاسلام دروس ماغمض عن ابصارهم في القرآن ... وسيعلم التاريخ ان صحيفته الوحيدة الطاهرة البيضاء في تاريخ بني الانسان هي: تاريخ حقيقة الاسلام

٦٩ — قد تتباين الافكار في موضوع واحد . الا من اؤتى من الله الحكمة

٧٠ — قد يغير الله سوء القدر .. بتغيير سوء النيه

٧١ — اذا كان ولا بد من اجتياز المصاعب فلا بد من التدرج السهل العادل حتي لا تشعر النفس بالملل

٧٢ — نظام ارسال الانبياء والرسل . كنظام تدرج مدارك عمر الانسان . ونعم اختتام القرآن

٧٣ — لاتندهش من كثرة العلوم الحقة في العالم . فالله تعالى قد وزع المواهب

٧٤ — كل مؤمن امام في الدين . وكل امام عن جوهر الدين مسئول

٧٥ — موردة القرآن تسع عقول بني الانسان

٧٦ — دين الله تعالى لا يضعف ... ولكن يضعف المتدين

٧٧ — حصول الغفران من الخالق اسهل شيء في الحياة . ولكن يتوقف على الطالب ولو بالاشارة فما اجهل المذنب الغافل .

٧٨ — الهام الله تعالي في النفس رسول صادق ولكن لا اكراه في الدين

٧٩ – الانسان كلمة الخلق

٨٠ – لو تجسم كل الجمال في صوره – لكان القرآن للعقل اجمل

٨١ – أدع للآباء بالرحمة وان اورثاك الضر – فلا تكلف نفس الا وسعها

٨٢ – من اتي بمثل القرآن امكنه ان يخلق مثل العالم

٨٣ – اذا قام كل فرد بواجبه تكون واجب الكل من نفسه

٨٤ – نزل الدين لتبديد الاوهام فتشعبت الاوهام في الدين وهو برآء

٨٥ – تصريف الآيات القرآنيه . اشبه بتنويع الآيات العالميه وكلاهما لازم للجمال والكمال

٨٦ – لم يخلق الله تعالى ناموسا يعارض النفس في حريتها المطلقة في التدين

٨٧ – ليت الآثام تقتصر على اضرارها الذاتيه بل تتعدى الى بعد القلوب عن اكتساب الفضائل

٨٨ – اول واجب على خليفة الاسلام . نشر اللغة العربيه في العالم

٨٩ – اساس الفطرة الانسانيه العجز عن ان تحيط بكل شيء علما في العالم . فليتخذ الانسان الاحسن من كل شيء حتى في الدين

٩٠ – اذا اختلف رؤساء الدين في امر فانت مسئول فقط عما تفهمه عنه بنفسك باخلاص من القرآن وليس منهم

٩١ – لا تأويل في القرآن . ولا تكلف نفس فوق طاقتها

٩٢ – العالم والقرآن يترجمان عن الحقيقة

٣٩ – يتغير قدر الله تعالى على الناس بقدر تقلب قلوبهم الا من حقت عليه كلمة الله بسبب أعماله

٩٤ – دستور الله تعالى في هذه الحياة واحد على جميع البشر على السواء الا في الآخرة . فدستور كل ما فعل

٩٥ – كثير مشركون بالانبياء والاولياء ويدعون الايمان ومن الاسف انهم يفتخرون بذلك

٩٦ – القرآن العظيم . هو الكنز الثمين في العالم

﴿ تم الجزء الاول ﴾

فهرست الكتاب

صحيفه

٣ باى دين يتمسك الانسان

٤ هل الفكر ثابت

٥ طبيعة الفكر والعالم

٥ من المحرك للفكر

٦ الارادة الانسانيـة

٦ ماذا يجب أن يريد الانسان

٩ وجود الله تعالى لا ينكر

١٧ ماذا يجب أن تكون صفات الخالق

١٨ هل يوصلنا القرآن الى السعادة العامة فى الحياتين

٢٥ الفلسفة الربانية

٢٦ العقل والتجارب العلمية والقرآن

٢٦ أسباب الفلسفه الربانيه

٢٩ أصل الفلسفه الربانيه

٣٠ هل الخلق بالحق

٣٣ الخلق لاجل مسمى ..ولماذا ؟

٣٨ بعض صفات الروح

٤٥ الامانة أو العقل

٦٢ ما السبب في تسمية العقل

٦٩ طائر الانسان رسوله الخاص عند الخالق

٧٣ حرية الارادة والقرآن العظيم

٨٢ الفتنة

٩٥ القضاء والقدر

صحيفه

١٥٠ كيف تكون سعيدا

١٦٢ الحريه اول مواهب الله للانسان .. ولماذا ؟

١٦٦ حل العقده الدينيه . هل صحيح في الاسلام ؟ كل شي قسمه

١٧٦ الخلاصه

١٨٢ اساس الدين الاسلامى

أهم الخطأ والصواب . الواقع في هـذا الـكتاب

سطر	صحيفـه	خطأ	صواب
٢	١٥	زيفهم	زيغانهم
٢٤	١٦	في آخر الصحيفه يضاف جملة:	أنظر الى الناس الذين يولدون
١٧	٢٨	بمنزل	بمعزل
٩	٣١	قمن	فمن
١٥	٣٨	اشاراة	اشارات
٢٤	٣٩	فالهمهما	فالهمها
٨	٤٠	الطيبه	الطبيه
٢١	٤٦	بينها	بينهما
٤	٥٢	اذ طفي لم تري	اذا طفئ لم تر
٦	٥٨	لغصن	لغرض
١٨	٥٨	أسفلنا	أسلفنا
٩	٥٩	في بني	من بنى

سطر	صحيفه	خطأ	صواب
٣	٦٠	(بل يخطيء هو الروح نفسها الذى)	(بل ما يخطيء هي الروح نفسها التى)
٨	٦٠	منجمات	متممات
١٣	٦٥	فاينق	فلاتعي
٤	٦٧	للمبني	للنبي
٧	٦٧	ينكس	ينكث
٥	٧١	يلهون	يلهمون
١٣	٧٥	يرجون	يرجعون
١	٧٨	بعضنا	بعضنا بعضا
٩	٧٨	العلم	العمل
٢١	٧٩	يحلوا	يخلوا
١	٨١	بقولهم	بقوله
١١	٨١	لا يطليق	لا يليق
٧	١٧٦	يدونها	بدونها

Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University

1
28
06
1
1